التصوف الإسرائيلي

الدكتور
حمدي رشاد الطحاوي

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهدية ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، واشهد أن محمدا عبده ورسوله... أما بعد

إن اليهود اليوم يحاولون تصدير رسالة قوية للعالم بأنهم امة عظيمة لها تاريخ تليد وديانة سماوية سامية يحملها شعب مميز ومُختار من قِبل العناية الإلهية وأنهم جديرون بقوة الدين والتاريخ للبقاء بأرض فلسطين لأنها حسب زعمهم الأرض المقدسة التي خصهم الله بها ليتجمعوا فيها ويقيموا عليها هيكلهم المقدس انتظارا لمجيء المشايح، أو الميسح اليهودي الذي سيحكم العالم ألف عام قبل أن تقوم الساعة بحسب النبوءة التوراتية.

والحقيقة أن تاريخ اليهود بصفة عامة يسوده الغموض والتشويش لكن الثابت منه أنهم تعرضوا لنكبات تاريخية عديدة جعلتهم مشردين في أصقاع الأرض في ترحال دائم يلتمسون الأمن والعيش الكريم بين جنبات الأمم والشعوب المستقرة في المنطقة وكان تأثرهم عظيما بلغات ،وعادات ،وثقافات ،وأديان ،وحضارات الأمم التي عاشوا في كنفها حينا من الدهر، وفي طليعة ذلك الحضارة الفرعونية والكنعانية والبابلية والفارسية والمسيحية والإسلامية التي عاشوا في كنفها أزهي عصورهم وتأثروا بها بشكل كبير في مختلف شئونهم الدينية، ولاسيما في مجال التصوف حيث تأثر المتصوفون اليهود بالفكر الصوفي الإسلامي وأفكاره المستنيرة غير أن المتصوفين اليهود جنحوا بنقاء التصوف الإسلامي، وتبنوا أفكار باطنية حلولية، ووظفوها لتحقيق أغراضهم المنحرفة حيث تبني المتصوفة اليهود فكرة حلول الله واتحاده بالشعب والأرض الإسرائيلية، ووظفوا كل النصوص التوراتية التي استلهموها وصاغوها في كتاب الزوهار الذي فسر التوراة تفسيرا باطنيا كرس فيه لنبوءة الشعب المختار الذي تحل فيه روح الله وتسكنه وتباركه وتبارك أرضه

وقد تلقفت الصهيونية تلك الأفكار وتبنتها وروجتها لتجمع بها شتات اليهود الذين تفرقوا في أرجاء المعمورة تناشدهم العودة إلي ارض الميعاد ارض الأباء والأجداد ليقيموا وطنا قوميا لليهود تحكمه الشريعة اليهودية وتكتمل به النبوءات التوراتية حيث يحل الله في الشعب والأرض لتحكم إسرائيل العالم وينضوي تحت سيطرتها كل الشعوب والأمم.

والمدهش في الأمر أن تلك الأفكار والنبوءات متغلغلة في وجدان أغلبية الشعب الإسرائيلي، وتتبناه أغلبية الأحزاب والتيارات الدينية داخل المجتمع، وخير دليل على ذلك الانتخابات البرلمانية الأخيرة التي جرت في يناير 2013م ، والتي فاز فيها تسعه وسبعون متطرف يميني بعضوية الكنيست الإسرائيلي يؤمنون بتلك الأفكار ويعتنقونها بقوة مما يجعل من دراسة التصوف اليهودي مدخلا مهما لدراسة وفهم المجتمع الإسرائيلي ماضيه وحاضره ومستقبله .

الباب الأول البناء العقائدي للتصوف اليهودي

ويشمل ثلاث فصول:

الفصل الأول
مفهوم التصوف اليهودي

الفصل الثاني
الجذور الوثنية في التصوف اليهودي

الفصل الثالث
مصادر التصوف اليهودي

الفصل الأول

مفهوم التصوف اليهودي

إسرائيل كيان قائم علي الدين اليهودي أساساً، ويلعب المتدينون دوراً بارزاً، وجوهرياً في المجتمع الإسرائيلي ماضيه، وحاضره، ومستقبله، والتصوف اليهودي أحد ركائز الدين إذ يعتبره كثير من المفكرين، والمنظرين اليهود الركيزة الثالثة بعد التوراة، واللغة العبرية كأساس للدين اليهودي الذي يُعد من بين الأديان التي لم تتكون منذ البدء كعقيدة واضحة محددة، بل هي أشبه بالوادي الكبير الذي تجمعت فيه مختلف الأنهار، والمجاري، والمستنقعات والبحيرات، التي لم تمتزج ببعضها، بل تراكمت إلي جوار بعضها، ولكنها مع ذلك تجتمع تحت راية الوادي، وحدوده، وشروطه البيئية الخاصة[1].

ويمكن تحديد تاريخ اليهود، واليهودية بشكل عام بالمراحل الست التالية:

1- المرحلة الشفهية البدائية:

وهي المرحلة الأولى التي يسودها الكثير من الغموض، والفرضيات، والمجادلات بين المؤرخين العلميين، والفقهاء المؤمنين، و تتعلق بكل تاريخ اليهود السابق لفترة السبي البابلي، وتبدأ منذ الألف الثاني ق.م، مع قصة خروج النبي إبراهيم من أور العراق، ثم خروج اليهود من مصر مع النبي موسى، ثم تكوين دولتي إسرائيل، ويهوذا، حتى السبي البابلي القرن السابع ق.م[2]

(1) أحمد عثمان: تاريخ اليهود، مكتبة الشروق، القاهرة1994م،126/1؛ شبرمه عبد الكريم اللبدي، اللغة والسياسة، دار المنار، بيروت1998م، ص46-48 بتصرف.

(2)انظر : ملف الثقافة اليهودية، ميزوبتاميا، دورية موسوعية تعني بإحياء الهوية الوطنية،تصدر عن مركز دراسات الأمة العراقية http://www.mesopot.com

2- المرحلة الكتابية البابلية:

بين القرن السابع والقرن الأول ق.م، والتي تحولت فيها اليهودية من انتماء جغرافي قومي لدولة يهوذا في جنوب فلسطين إلى انتماء ديني واضح.

إن هذا التحول الكتابي المتأثر إلى حد بعيد بإنجازات الحضارة البابلية، قد وضع اليهودية في الطريق إلى تخطي بدائيتها ، وإلهها البشري البسيط، نحو نوع من الأخلاق الإنسانية، والإيمان بإله سماوي عادل.

إذ قامت الجالية اليهودية في بابل بكتابة تراثها الشفهي الحكائي، والعقائدي في أسفار (أجزاء وفصول) مختلفة جمعت في كتاب واحد اسمه (العهد القديم)، الذي أطلق على أسفاره الخمسة الأولى تسمية (التوراة) وهي التي نسبت إلى النبي موسى شفهياً، أو كتابياً، بالإضافة إلى أسفار الأنبياء[1]، وغيرها ،وأعقب العهد القديم كذلك تدوين شروحات، وجدالات دينية جمعت في كتاب كبير اسمه: التلمود[2]- أي التلمذة والتعلم-[3].

3- المرحلة التنظيمية:

(1) **أسفار الأنبياء:** نوعان: أسفار الأنبياء المتقدمين، وأسفار الأنبياء المتأخرين، أو الأنبياء السابقين. وتتكون الأولى من أربعة أسفار: يوشع (يشوع بن نون) والقضاة، وصمويل، والملوك. وتتكون الثانية من أربعة أسفار ثلاثة منها مسماة بأسماء الأنبياء: أشعيا وأرميا وحزقيال؛ وتضم تعاليمهم. والسفر الرابع يسمى الاثني عشر، ويشتمل على تعاليم اثني عشر نبيًا آخرين.أحمد شلبي: اليهودية، النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثامنة، 1988م ص244؛ الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس، الطبعة الأولى، 2003م.

(2) **التَّلْمود:** مجموعة من المأثورات الشفوية اليهودية الدينية، والمدنية مع تفسيرات جدلية لمعانيها. ويأتي التلمود في المرتبة الثانية بعد التوراة، باعتباره أقدس الكتب وأعظمها أثرًا في الديانة اليهودية. وتعدُّ الديانة اليهودية الدراسة المتفرغة للتلمود، من أجَلِّ الأعمال، ويتكون التلمود من جزءين اثنين: المِشْنَا والجَمارا. والمشنا النَّص المسجل للقانون اليهودي الشفاهي التقليدي، وتُلْحَق الفقرات القصيرة من المشنا بشروح مستفيضة جدًا. وتُكَوِّن هذه الشروح مجتمعة الجمارا، ولم يتفق العلماء الذين كتبوا الجمارا في تفسيراتهم للمشنا. ونتيجة لذلك فإن الجمارا تشتمل على العديد من المناقشات حول التفاصيل الصغيرة للقانون اليهودي.

يتكون التلمود من63 قسمًا تُعرَف بـ الرسائل التي تنقسم إلى ستة نظم أو أجزاء، ويتناول كل جزء موضوعًا مختلفاً. مثلاً، تناول جزء ناشِم (النساء) الزواجَ، والطلاقَ، وأمورًا أخرى تتصل بالعلاقات بين الرجل والمرأة، وتتناول أجزاء أخرى موضوعات مثل النظافة، والأعياد الدينية، والقانون المدني والجنائي. انظر: أحمد إيبش التلمود كتاب اليهود المقدس:، دار قتيبة، دمشق 2006 ،ص55.

(3)انظر : ملف الثقافة اليهودية، مرجع سابق

وهـي المرحلـة الثانيـة بـين القرن السـادس والأول ق.م، وهـي متداخلـة زمنيـاً مـع المرحلـة البابليـة فـي فلسطين، وتحـت قيـادة النخبـة البابليـة القادمـة بزعامـة (إزاربيـل) أولاً، ثم بعدها بقرن تحت قيـادة (نـاحيم وعزرا)التـي تحولـت اليهودية فيها إلى ديانـة محددة، ومتمايزة عقائدية، وعرقياً، من خلال فرض سيطرة رجال الدين (الحاخامات، أي الحكماء) وفرض الطقوس، والاحتفالات، وفرض العزلة، والحرمة على الاختلاط بغير اليهود.

4- المرحلة العرفانية العالمية (اليونانية- المصرية):

بين القرن الثالث ق.م حتى القرن الثاني الميلادي؛ حيث تحولت الإسكندرية- المصرية- إلى مركز لتطوير اليهودية، وانفتاحها على الفكر العرفاني الروحاني المشرقي مع الفكر اليوناني الفلسفي، كذلك ظهور الترجمة اليونانية للتوراة التي عرفت بالترجمة السبعينية[1] والتي ظهرت في القرن الميلادي الأول، إلي جانب ظهور الكثير من الكتابات اليهودية الروحانية المغايرة لمضامين التوراة، وقد أطلق عليها:الأسفار المنحولة، أو الأسفار غير القانونية [2]، وفيها ظهرت لأول مرة في اليهودية مفاهيم: خلود الروح، والثواب والعقاب، والجنة والنار، والتي أثرت كثيراً على الأجزاء المتأخرة من التلمود، ويبدو أن هذا التيار اليهودي الروحاني الجديد قد ساهم بالتمهيد لظهور المسيحية[3].

في هذه الحقبة بدأت اليهودية تتحول إلى ديانة توحيدية سماوية كبرى معترف بتأثيرها الحاسم على باقي العقائد الكبرى السائدة في حوض البحر المتوسط، والعالم القديم (اليوناني- الروماني).

---

(1) **الترجمة السبعينية:** هي الترجمة اليونانية للعهد القديم التي أجريت في القرن الثالث قبل الميلاد. حيث يذكر أن بطليموس أراد أن يضم إلى مكتبة الإسكندرية الكتب المقدسة لليهود، والبعض يرى أنه بسبب عدد اليهود الذين لايعرفون العبرية قام اثنان وسبعون من الأحبار بالترجمة. ويرمز لها بعددها اللاتيني **LXX** أي سبعون. يُنظر :سلوى ناظم: الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الواقع والأسطورة، دار الكتاب، الطبعة الأولى، 1988م، ص3؛ وانظر: الموقع الانجليزي الخاص بهذه الترجمة، والذي يفصل الفروق بين النسخة العبرية، والنسخة السبعينية Genesis / The Septuagint versus the Masoretic

(2) وهي عبارة عن عدة أسفار تقرها كل من الكنائس الكاثوليكية، والأرثوذكسية ضمن بالعهد القديم من الكتاب المقدس المسيحي، وترفضها مجمل الطوائف اليهودية، والكنائس البروتستانتية، والإنجيلية، والأسفار هي : سفر طوبيا طوبيت- سفر يهوديت- سفر المكابيين الأول- سفر المكابيين الثاني- سفر الحكمة- سفر يشوع بن سيراخ- سفر باروخ- تتمة سفر إستير- تتمة سفر دانيال.

(3) عبد الوهاب المسيري:اليد الخفية، دار الشروق، القاهرة 1998م، ص29.

5- المرحلة العربية الإسلامية:

وهي المرحلة الواقعة (بين القرن السابع والسادس عشر الميلادي) حيث انتعشت اليهودية في بغداد، والأندلس، والقاهرة، وبرزت تيارات اجتهادية شبيهة بالتيارات الإسلامية، مثل مذهب (القرائين) الرافضين للتلمود، المتأثرين بالمعتزلة[1] في بغداد، وفي هذه الحقبة تأثرت اليهودية كثيراً بالتيار الروحاني (العرفاني التصوفي) الإسلامي، حيث برزت أسماء كبرى من أمثال (موسي بن ميمون)[2] في الأندلس، وكذلك ظهور مذهب القبالا(קבלה) الذي أضاف لليهودية بعدها الروحاني الإشراقي.

6- المرحلة الأوربية الصهيونية:

وهي المرحلة التي بدأت (منذ سقوط الأندلس في القرن السادس عشر حتى الآن)؛ حيث بدأت خلالها اليهودية تتحول بالتدريج إلى حركة قومية متعصبة بتأثير التطورات القومية الحاصلة في أوربا، وكذلك معاناة اليهود من حياة العزلة (الجيتو)[3]، والعنصرية الأوربية التي بلغت ذروتها في إبادة الكثير من اليهود في الحرب العالمية الثانية.

---

(1) **المعتزلة:** فرقة إسلامية، غلّبت العقل على الأصول، والأدلّة، والقياسات الأخرى، وقد شغلت الفكر الإسلامي في العصر العباسي ردحًا طويلاً من الزمن، وأكثر العلماء يرى أن رأس المعتزلة هو واصل بن عطاء، وقد كان ممن يحضرون مجلس الحسن البصري العلمي، فثارت في هذا المجلس قضيّةٌ أثارت الأذهان في ذلك العصر، وهي مسألة مرتكب الكبيرة، هل هو مؤمن مطلقًا، أو كافر مطلقًا، أو هو في منزلة بين منزلتين؟ فقال واصل مخالفًا الحسن البصري: ,أنا أقول إن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن بإطلاق، بل هو في منزلة بين المنزلتين، ثم اعتزل مجلس الحسن، واتخذ له مجلسًا آخر في المسجد. فأطلق على هذه الجماعة المعتزلة بعد أن قال الحسن البصري: اعتزلنا واصل.انظر: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية، مكتبة مدبولي، الطبعة الثالثة، سنة2005م، ص605.

(2) **موسي بن ميمون:** (529–601هـ، 1204.1135م) أهم فيلسوف يهودي في العصور الوسطى، ولد بقرطبة بالأندلس وأقام بمصر، وبها وضع أغلب مؤلفاته. قيل إنه أسلم في المغرب وحفظ القرآن واشتغل بالفقه، ثم ارتد بعد أن توجه إلى الديار المصرية وأقام بفسطاطها. وقيل إنه أسلم بالأندلس. خرج من الأندلس إلى مصر ونزل بالفسطاط وعاش بين اليهود فأظهر دينه وارتزق بالتجارة. وكان عالمًا بشريعة اليهود. حاول أن يبرهن توافق الفلسفة وتعاليم الدين اليهودي، متبعًا أسلوب المفكر اليوناني القديم أرسطو.انظر: عبد المنعم الحفني ،موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية،مكتبة مدبولي ،القاهرة 1998، ص39

(3) **الجيتو:** قطاع من مدينة أوروبية تسكنه أَقلية عرقية، أو دينية، أو مجموعة قومية. والمصطلح أصلاً يشير إلى قطاعات في المدن الأُوروبية، استوطن فيها اليهود، أو أُجبروا على العيش فيها. واليوم، يطلق المصطلح على المناطق الفقيرة حيث أُجبرت الأَقليات القومية على العيش فيها بسبب الضغوط الاجتماعية والاقتصادية، والجيتو القديمة. ظهرت في أوروبا قديمًا في حوالي سنة70م، عندما غزا الرومانيون فلسطين مرة أُخرى بعد ثورة قام بها اليهود. واتجه معظم اليهود إلى أوروبا عندئذ. وفي البداية، استقروا طوعًا في جماعات منفصلة، حتى=

وهـذا الأمـر سـهَّلَ كثيـراً للحركـة القوميـة اليهوديـة (الصـهيونية) المتـأثرة بـالفكر العنصري، والاستعماري الأوربي أن تفرض سيطرتها على يهود العالم، وتقودهم إلى نـوع مـن التعـويض عـن العنصـرية، والمـذابح الأوربيـة، مـن خـلال الانتقـام مـن الفلسطينيين، وتبرير طردهم، وبناء دولة إسرائيل[1].

لغة اليهود نشأتها وتطورها:

قبل التطرق لموضوع البحث المتعلق بمفهوم التصوف اليهودي أحب أن أوضح أن لغـة اليهود بصـورة عامـة، وخصوصـاً فـي العـراق، كانـت أساسـاً (الآراميـة) منـذ سبيهم إلـى بابـل فـي القرن السـادس ق.م، حتـى الفتح العربـي الإسـلامي للعراق فـي القرن السـابع الميلادي. بعدها أصبحت (العربيـة) هـي لغـتهم للكتابـة، وللمخاطبـة، حتى هجرتهم من العراق في خمسينيات القرن العشرين.

أما اللغة العبرية، فإن تاريخها يسوده الغموض مثل باقي تاريخ اليهود واليهودية، وخصوصاً حقبة ما قبل السبي، فحسب الباحث إسرائيل ولفنسون[2] أن اليهود كانوا

=يستطيعوا مواصلة عاداتهم الثقافية بسهولة. وليسهل عليهم إعداد طعامهم وفقًا لقوانينهم التقليدية والعيش قريبًا من المعابد، والحفاظ على الحياة الجماعية.وفيما بعد أُجبر اليهود على العيش في الجيتو. وطالب القادة الدينيُّون أو السِّياسيُّون بفصل اليهود، وأصبحت الجيتو أكثر شيوعًا. وفي1555م أصدر البابا بول الرَّابع مرسومًا يقضي بأن يعيش اليهود الموجودون في الولايات البابوية ـ وهي المنطقة حول روما التي تحكمها الكنيسة الرُّومانية الكاثوليكيَّة . في مراكز منفصلة، واتبعت السُّلطات في كلِّ العالم النصراني ما فعله البابا. وكانت الجيتو التي تمَّ إنشاؤها تُحاط بجدران، وتغلق بواباتها ليلاً.خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين انتهى معظم الفصل الإجباري لليهود.الجيتو الآن. فكرة توطين مجموعة عِرقيَّة في منطقة سكنيَّة منفصلة تم إحياؤها في أَنحاء دولة جنوب إفريقيا بتطبيق نظام الأَبارتهايد، أوالفصل العنصري بين عامي:1948 و1991م. ويستخدم المصطلح جيتو الآن غالبًا لوصف المستوطنات الضَّخمة للسُّود في مدن الولايات المتحدة. ويسكن الجيتو أَيضًا المكسيكيون، والبورتوريكيون والأَمريكيون الناطقون بالأسبانية.انظر: سناء عبد اللطيف صبري، الجيتو اليهودي، الدار الشامية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى،1990م، ص13.

(1) كيث وايتلام: تاريخ إسرائيل القديمة، ترجمة نور فادي، عالم المعرفة، الكويت1999م، ص256.

(2) **إسرائيل ولفنسون:** باحث ومؤرخ، يهودي اشتهر بمؤلفاته عن تاريخ اليهود في بلاد العرب، واللغات السامية، وعدد من أعلام التراث العربي، والإسلامي، وقد كتب مؤلفاته تلك بالعربية إبان الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي، وُلد إسرائيل ولفنسون عام1899م لأسرة يهودية أشكينازية من المهاجرين القدامى، ودرس بفلسطين، وتعلم اللغة العربية والعلوم الإسلامية واليهودية، ثم سافر إلى مصر والتحق هناك بالجامعة المصرية، وصار أول طالبٍ يهودي يحصل على شهادة الدكتوراه من الجامعة المصرية بإشراف أستاذه الدكتور طه حسين. يُنظر:انظر: عبد الرحمن بدوي، من تاريخ الإلحاد في الإسلام، دار سينا للنشر، 1993م، ص7.

يطلقون على لغتهم (اللغة اليهودية) وكذلك لغة كنعان، ولم تذكر باسم العبرية إلاّ بعد السبي البابلي[(1)].

فلغة اليهود قبل السبي كانت الكنعانية، مثل باقي سكان فلسطين وعموم الشام. وقد أطلقوا على لهجتهم (العبرية) من باب التمايز، لا أكثر، وهنالك جدل حول مدى استخدامها في تدوين الكتب اليهودية المقدسة، وخصوصاً حقبة ما بعد السبي.

كما أن يهود بابل تبنوا اللغة الآرامية الشرقية العراقية ودونوا كتبهم بها حتى بعد العودة إلى فلسطين، أيضاً بقيت الآرامية لغة اليهود لأن هذه اللغة الجديدة قد أصبحت لغة بلدان الهلال الخصيب، كتابياً، وشعبياً، بعد أن احتوت تماماً علي اللغتين: الأكدية العراقية، والكنعانية الشامية لهذا فإن لغة السيد المسيح، والمسيحية كانت الآرامية، وليست العبرية.

وقد ظلت الآرامية هي اللغة الأساس، ثم ابتداء من القرن الرابع ق.م، وسيطرة اليونان على الشرق، بدأت (اللغة اليونانية) تشيع في كتابات اليهود، وعموم الشرقيين بجانب الآرامية (السريانية)[(2)].

ومن أبرز الأمثلة على ذلك إصدار ترجمة العهد القديم إلى اليونانية المعروفة بالترجمة السبعينية في القرن الثاني ق.م، وهي ترجمة أيضاً مختلف على صحة تاريخها، ومضمونها، وقد استمرت الكتابات اليهودية تستخدم العبرية، والآرامية السريانية بجانب اليونانية في العراق، وعموم البحر المتوسط، حتى الفتح العربي الإسلامي، حيث بدأت العربية تأخذ حيزها بين اليهود، حتى أصبحت لغتهم الأساسية كتابة، ومخاطبة، بجانب الآرامية، والعبرية، بل أنهم أصدروا كتباً مكتوبة بحروف عربية ولكن بلغة عبرية آرامية، فقد وضعت قواعد اللغة العبرية في بغداد تشبهاً بقواعد العربية في القرن العاشر الميلادي من قبل العلامة اليهودي الكبير سعيد بن يوسف الفيومي[(3)] المعروف باسم (سعاديه) وهو مصري عاش في بغداد[(1)].

---

(1) أ.ولفنسون: تاريخ اللغات السامية، دار القلم، بيروت،1980م، ص78.

(2) حول العبرية ولغات اليهود يُنظر:

Mireille Hadas-Lebel, Histoire de la langue hébraïque, Des origines à l’époque de la Mishna, Collection de la Revue des études juives, Éditions E. Peeters, 1995

(3) سعيد بن يوسف الفيومي (سعديا جاءون) (883–943) وُلد في مصر (في قرية أبو صوير بالفيوم)، وتلقى في قريته تعليماً عربياً فتوفر له العديد من المعارف العربية الإسلامية في عصره، كما درس الكتاب=

ويعتبر سعيد بن يوسف الفيومي من مؤسسي النحو العبري بالاعتماد على النحو العربي، وهو علامة يهودي مصري انتقل إلى بغداد، وأبدع في علوم الدين، واللغة العبرية، وترجم أسفار العهد القديم من الآرامية إلى العبرية، ثم وضع كتابي: اللغة العبرية، والفصاحة، كذلك تأثر سعيد بالعلوم الدينية الإسلامية، وخصوصاً بمذهب المعتزلة، ويظهر هذا التأثير جلياً في معالجته الديانة اليهودية، ويعتبره النحاة اليهود (أبا النحو العبري)، وظهر من بعده عدد من النحاة منهم (مناحيم بن سروق) الذي ألف كراسة في قواعد العبرية، و(دوناش بن لبراط) و(يهودا بن داود حيوج)

=المقدَّس والتلمود، ثم توجَّه إلى فلسطين حيث أكمل دراسته. وقد بدأ في وضع مؤلفاته في سن مبكرة، فذاعت شهرته. وحينما ذهب إلى العراق، عُيِّن في حلقة سورا التلمودية.

وتعود أهمية سعيد بن يوسف إلى أنه ظهر في وقت كانت اليهودية الحاخامية تعاني فيه أزمة حقيقية، نتيجة انتشار الإسلام وازدهار الحضارة الإسلامية بكل معارفها بوتيرة سريعة، الأمر الذي أدَّى بالكثير من اليهود إلى اعتناق الدين الجديد، أو الشك في دينهم، أو محاولة إصلاحه، كما يتبدَّى في اليهودية القرّائية التي رفضت التلمود ومفهوم الشريعة الشفوية. ومن مظاهر هذه الأزمة أيضاً إعلان الحاخام هارون بن مائير عام 921 أن التقويم اليهودي الذي تصدره حلقات العراق خاطئ، محاولاً بذلك تأكيده أهمية المركز الفلسطيني مقابل المركز العراقي. ومن هنا، فقد أصدر الحاخام هارون تقويماً فلسطينياً، الأمر الذي أدَّى إلى انقسام الجماعات اليهودية، فكان الاحتفال بالأعياد يتم في أيام مختلفة. وقد تمكَّن سعيد من الرد على قيادة المركز الفلسطيني استناداً إلى معرفته بعلم الفلك.

وقد كانت حياة سعيد عاصفة، فبعد استقراره في العراق عُيِّن رئيساً (جاءون) لحلقة سورا التلمودية، ثم نشبت معركة بينه وبين رأس الجالوت ، وقد ألَّف في هذه المرحلة كتاب الأمانات والاعتقادات الذي ألَّفه بالعربية (ثم تُرجم إلى العبرية فيما بعد بعنوان(أمونوت وديعوت)، وهو كتاب يهدف إلى الرد على القرّائين، وإلى جعل اليهودية عقيدة مقبولة لليهود المتعلمين من خلال تقديم تفسير عقلاني لها. ويبدو أنه كان يهدف أيضاً إلى تقديم عقائد اليهودية للعالم الإسلامي، فاتبع في مؤلفه هذا أسلوب المتكلمين الإسلاميين ومنهجهم، كما مزج التوراة بالحكمة اليونانية حسب قواعد علم الكلام، وقد كان سعيد بن يوسف يرى أنه لا يوجد أي صراع بين العقل والوحي.

كان سعيد بن يوسف جزءاً من الخطاب الحضاري العربي الإسلامي ولذا فلم يكن يجد أي حرج في الإشارة للتوراة باعتبارها «الشريعة» وللعهد القديم باعتباره «قرآناً»، والاتجاه نحو القدس أثناء الصلاة بأنه «قبلة»، أما المرتل «حزان» فكان يشير له بأنه «الإمام».

وسعيد بن يوسف هو أول من ترجم العهد القديم إلى العربية، كما كتب تفسيراً لمعظم أجزائه، وهو ما جعله متاحاً للجماهير اليهودية التي كانت لا تعرف العبرية. ويُعَدُّ سعيد من أوائل الذين درسوا اللغة العبرية دراسة منهجية. كما أنه نظم بعض الأشعار للصلوات اليهودية وألَّف كتاب صلوات يهودية (سدور).انظر :عبد الوهاب المسيري ،موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ،الجزء الثاني من المجلد الخامس http://www.elmessiri.com

انظر ايضا عبدالمنعم الحفني : موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود، مرجع سابق، ص174.

(1) فاضل عبد الواحد: من سومر الى التوراة، دار سينا للنشر، ص212، القاهرة 1996م.

المشهور عند العرب بـ (أبي زكريا يحيى)، وغيرهم، وقد ألفوا كتبهم من: لغوية، وغيرها باللغة العربية، وسلك جميعهم في كتبهم النحوية مسلك النحاة العرب[1].

وقد نقل اليهود إلى لغتهم العلوم الإسلامية كاللاهوت، والطب، والفلسفة وغيرها ككتب ابن سيناء، وككتابَي:تهافت الفلاسفة للغزالي، وتهافت التهافت لابن رشد، وقد أدى هذا الاحتكاك إلى تهذيب العقيدة اليهودية فيما يتعلق بالذات الإلهية وصفاتها، ولهذا يسمي مؤرخو الأدب العبري العصر الأندلسي ؛ بالعصر الذهبي للغة العبرية، ولقد بقيت العبرية طيلة تاريخ اليهودية مثل اللاتينية لدى المسيحيين في أوربا محصورة بالكتابات، والطقوس الدينية، وفي عموم العالم احتفظ اليهود بالعبرية، والآرامية إلى جانب لغات الأوطان التي يقيمون فيها[2].

وقد سادت لغة (اليديش)[3]بين يهود أوربا الشرقية، وألمانيا، وهي مزيج من السلافي، والألماني مع العبرية الآرامية، ويرجع تاريخها إلى القرون الوسطى، وقد استعملت الأحرف الهجائية العبرية في تدوينها وتكتب من اليمين إلى اليسار، كذلك هنالك اللغة اليهودية الأسبانية، وتتضمن عدداً من الكلمات العبرية، لكنها تعتمد بشكل أساسي على الإسبانية القديمة، كما تكتب من اليمين إلى اليسار أما العبرية السائدة حالياً في إسرائيل فهي مزيج مصطنع من الآرامية، والعبرية القديمة الكنعانية، وقد بدأ بتكوينها بعض اليهود في أوربا في القرن التاسع عشر، و تكتب بالخط الآرامي المربع[4]حيث يعرف الخط العبري عموما بالخط المربع وقد اقتبسه اليهود من القلم الآرامي ويبدو أن الأبجدية العبرية بالخط المربع قد بدأت بعد عزرا أي بعد السبي البابلي ،وقد مرت هذه الأبجدية بمراحل تطور حتى انتقلت إلي ما يُعرف

---

(1)انظر : سليم مطر ، ملف الثقافة اليهودية ، مرجع سابق http://www.mesopot.com

(2) المرجع سابق

(3) تعلَّم اليهود في اوربا اللُّغة الألمانية السائدة في بولندا آنذاك ، كما كان لزامًا عليهم أن يتعلَّموا لغة الشعوب السلافية التي كانوا يحتَكُّون بها، أضف إلى ذلك ما كانوا يتلقَّونه من دروس دينيَّة على أيدي الحاخامات واستماعهم إلى التوراة باللُّغة العبرية، فتشكَّلت من كلِّ هذا لغة هجين هي لغة "اليديش" التي تشكَّلت بطريقة فَوْضَوية غير قائمة على قواعد محدَّدة، وهي لغة ملْتَبِسة يعتقد الكثيرون بأصولها الألمانية، وهذا اعتقاد خاطئ لا أساس له، وتُكْتَب لغة اليديش بأحرف عِبْرية، وهي مزيج من السلافية والعبرية والكثير من المصطلحات التي كانت رائجة في المناطق الشرقية من ألمانيا الملاصقة للبلاد السلافية. انظر: عبد الوهاب المسيري موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية،مرجع سابق ج3 ،ص394

(4) أ.ولفنسون: تاريخ اللغات السامية، مرجع سابق ص48.

بالخط المربع أو الأشوري ،وهو المستعمل الآن في الطباعة وكان قديما مقصور استخدامه علي الشئون الدينية[1].

ومقارنة باللغة العربية، فإن العبرية الحالية لا تتضمن أحرف (ذ غ ض ظ)، وتحتوي على حرفي (پp) و(V)، وكثير من الأحيان يتحول لفظ (و) بالعربي إلى لفظ (V) بالعبري، مثل (حواء) إلى (حفا)، كذلك في أغلب الأحيان يحول لفظ (س) إلى (ش)، مثل (موسى) إلى (موشي)، والعكس كذلك تتشابه العربية، والعبرية في صيغة الفعل، والذي غالباً ما يكون ثلاثيا، وتكتب اللغة العربية ضمن صيغ من الخطوط المتعددة الأشكال، ومن أشهر تلك الخطوط للحرف العربي: الكوفي، والنسخ، والرقعة، والديواني.. إلخ، أما العبرية فبخط واحد هو الخط الآرامي المربع، والعبرية تحتوي على حركات إعرابية مثل العربية، لكنها توضع في أسفل الأحرف فقط.

وتوجد في عبرية إسرائيل مختلف اللهجات، فهناك لهجة اليهود الأوربيين الإشكناز[2]إلى جانب لهجة السفارديين الشرقيين الذين استفادوا من الثقافة والحضارة العربية والإسلامية حيث انبثقت حركة أدبية عبرية واكبت واستفادت من ازدهار اللغة العربية وهذا مما دفع بالسفارديين ان يتميزوا عن الاشكنازيين بمميزات عديدة في اللغة والثقافة مستفيدين من حضارة العرب باسبانيا [3]كما ان هناك لهجات اليهود القادمين من البلدان العربية، مثل اليمنية والعراقية، والمصرية، والمغاربة أي أن لغة اليهود العبرية السائدة الآن هي لغة مشوشة، ومركبة بشكل بدائي لتواكب العصر الحديث، ولتستكمل أسطورة أن اليهود شعب له دين، ولغة، وتاريخ، وحضارة، وهذه

---

(1) انظر :سيد فرج راشد،اللغة العبرية قواعد ونصوص،دار المريخ للنشر ،ص23، الرياض ،المملكة العربية السعودية 1993 م

(2) **الإشكناز**Ashkenazim : من «إشكنازيم «العبرية، و«الإشكناز» هم يهود فرنسا وألمانيا وبولندا. و«إشكناز»، حسب الرواية التوراتية، اسم أحد أحفاد نوح، ومن المحتمل أن تكون الكلمة قد استُخدمت للإشارة إلى قبيلة ظهرت في زمن أسرحدون تَحالَف أعضاؤها مع آشور، وهم الذين تشير إليهم المدونات الآشورية في القرن السابع قبل الميلاد بلفظ «إشوكوزا»، وهم الذين أشار إليهم اليونانيون بكلمة «إسكيثيانز » **Scythians** وهم الإسكيثيون، وتُذكَر كلمة «إشكناز» عادةً مقابل «سفارد»، وبالتالي أصبحت كلمة «إشكناز» مرادفة لمعنى «غربي» وأصبحت «سفاردي «بمعنى «شرقي»، وهو تَرادُف خاطئ لأن كثيراً من يهود الشرق (يهود الفلاشاه وبني إسرائيل) ليسوا من السفارد، ولا علاقة لهم بالتراث السفاردي الإثني، أو الديني. ينظر: عبدالوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية و الصهيونية دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 1999م،88/2.

(3) حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي"اطواره ومذاهبه"، دار القلم، ط4، دمشق1999،ص202

اللغة مزيج غريب تختلط فيه العديد من الكلمات، والمصطلحات، وقواعد اللغات القديمة، والحديثة، ثم أن هذه اللغة تم صياغتها، ووضع قواعد، وأصول لها بعد قرون عديدة من رحيل نبي الله موسي–عليه السلام– وضياع ما تركه بشكل شفوي غير مكتوب فكيف ستستطيع هذه اللغة الحديثة المشوشة أن تعبر عن كل التعاليم، والكتابات اللاحقة المتعلقة برسالة موسي إنها أضعف من أن تعبر عن ذلك بدقة، وموضوعية، وخصوصاً إذا كان الأمر يتعلق بكلام الله في التوراة، وتعاليم موسي ، الأمر محل شك كبير أن تكون هذه اللغة قد صاغت ذلك، واستوعبته بشكل حقيقي، ويتفق غالبية الباحثين في تاريخ الكتاب المقدس أنه قد كتب من قبل اليهود أثناء سبيهم في (بابل) بين القرن السابع حتى القرن الثالث ق.م[1]، أو في أحسن الأحوال أنهم أعادوا كتابته بالاعتماد على ما ورثوه من لفافات متنوعة المصادر، والتواريخ، والحاوية على معلومات متناقضة، ومتكررة، بالإضافة إلى ما حفظته ذاكرتهم، كما أن هذا التناقض، والتكرار في أخبار، وحكايات التوراة هو الذي جلب انتباه الباحثين الأوربيين منذ القرن السادس عشر، وأول من أعلن شَكَّه بأن كاتب التوراة هو موسى، الفيلسوف اليهودي (سبينوزا) [2]الذي تساءل بدهشة: **هل هذا حقا كلام الله؟!**[3].

---

(1) **اروخ سبينوزا** (بالهولندية: Baruch Spinoza) هو فيلسوف هولندي من أهم فلاسفة القرن 17. ولد في 24 نوفمبر 1632 في أمستردام، وتوفي في 21 فبراير 1677 في لاهاي.(، هولندا،) لعائلة برتغالية من أصل يهودي تنتمي إلى طائفة المارنيين. كان والده تاجرا ناجحا ولكنه متزمت للدين اليهودي، فكانت تربية باروخ أورثودوكسية، ولكن طبيعته الناقدة والمتعطّشة للمعرفة وضعته في صراع مع المجتمع اليهودي. درس العبرية والتلمود في يشيفا (مدرسة يهودية) من 1639 حتى 1650م. في آخر دراسته كتب تعليقا على التلمود. وفي صيف 1656 نُبذ سبينوزا من أهله ومن الجالية اليهودية في أمستردام بسبب إدّعائه أن الله يكمن في الطبيعة والكون، وأن النصوص الدينية هي عبارة عن استعارات ومجازات غايتها أن تعرّف بطبيعة الله. بعد ذلك بوقت قصير حاول أحد المتعصبين للدين طعنه. من 1656 حتى 1660 اِشتغل كنظّارتي لكسب قوته. ثم من 1660 حتى 1663 اسّس حلقة فكر من أصدقاء له وكتب نصوصه الأولى. من 1663 حتى 1670 أقام في بوسبرج وثم بعد نشر كتابه رسالة في اللاهوت والسياسة سنة 1670 ذهب ليستقرّ في لاهاي حيث اِشتغل كمستشار سرّي لجون دو ويت. في سنة 1676 تلقّى زيارة من الفيلسوف الألماني "لايبنيتز". ويعتبر كتابه الأخلاق الذي الفه سنة 1677 من أهم الكتب المؤثرة في الفلسفة الغربية توفّي سبينوزا في 21 فبراير 1677 م . انظر :الموسوعة الحرة :http://ar.wikipedia.org/wiki

وللمزيد انظر الموسوعة اليهودية انظر:http://www.jewishencyclopedia.com

(2) عبدالوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية و الصهيونية مرجع سابق، 56/2.

(3) أ. زلمان شازار: تاريخ نقد العهد القديم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،2000م، ص44.إن مسالة التشكيك بصحة التاريخ الوارد في التوراة أصبح أمراً شائعاً منذ عدة قرون، حتى لدى المؤرخين الإسرائيليين، أو الذين أطلق عليهم (المؤرخون الجدد)، وأن شعبية هذا التشكيك جعلت حتى (التايم الأمريكية بتاريخ1995/12/18م) وهي مجلة جادة، ومقربة من اليهود، أن تخصص ملفاً عن هذه القضية تحت عنوان (الكتاب المقدس، حقيقة أم=

وليس بعيداً عن هذا الدين اليهودي بشكل عام، والتصوف اليهودي بشكل خاص من ناحية تأثرهم الكبير بالأديان، وتجارب الأمم السابقة، واللاحقة لهم، وقد اتفق غالبية الباحثين أجانب، وعرب في العصر الحديث، على أن تاريخ اليهودية حسب التوراة مضَخَّم أكثر من اللازم، ويحتوي الكثير من الأطروحات القومية العنصرية واللا إنسانية –كما سنبين في بحثنا–، وبالتالي لا يمكنه أن يكون متفقاً مع أطروحات القرآن الكريم مثلاً فتاريخ اليهود حسب التوراة مختلف كثيراً عما هو وارد في القرآن الكريم، فمثلاً إن القرآن عكس التوراة، لم يحدد تاريخ خروج اليهود من مصر، ولا مكان تيههم، والأهم من هذا أنه لم يحدد البلد الذي استقروا فيها، فلم يذكر فلسطين أرض الميعاد، ولا كنعان، وباقي الأقوام، بل ذكر عبارة (الأرض المقدسة، أما بخصوص مملكة داود، وسليمان التي ادعت التوراة بعظمتها، وأنها امتدت من النيل إلى الفرات، فإن القرآن الكريم لم يحدد مكانها، ولا اتساعها، ولم يذكر أورشليم، ولا بيت المقدس، ولم يتحدث عن بناء (هيكل سليمان العظيم)[1].

والمتمعن في تاريخ اليهودية يكتشف أن العراق (بابل) كان الموطن الأول الذي تأسست فيه اليهودية كعقيدة كتابية ناضجة، ومنه أخذت الجزء الأعظم من مصادرها الثقافية والدينية ففي بابل أصيب اليهود بعشق الكتاب، والكتابة التي تميز بها العراقيون طيلة تاريخهم، وفي بابل نشأ العدد الأكبر من أنبياء، ومؤسسي العقيدة اليهودية، وكما يقول المؤرخ الفرنسي الكبير (جان بوتيرو)– منذ عام1872م بعد أن تم التمكن من قراءة الكتابة المسمارية، والكشف عن كنوز الكتابات العراقية القديمة– :" فقد "الكتاب المقدس" أهميته العظمى باعتباره أقدم كتاب عن تاريخ البشرية، وتحول إلى كتاب أدبي ديني، وعلي ذلك فإن اليهودية لم تتكون كديانة واضحة، وناضجة في فلسطين على يد النبي موسى– عليه السلام– الذي ينسب إليه كتاب التوراة بعد الخروج من مصر في أواخر الألف الثاني ق.م، بل إن بداياتها الأولى،

=خيال) وقد اتفق غالبية المتخصصين على عدم المصداقية التاريخية للكتاب المقدس. يُنظر:جريدة الحياة اللندنية بتاريخ1995/12/24م.

(1) انظر: محمد عبد السلام أبو النيل: بنو إسرائيل في القران الكريم، دار حنين للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003م، ص26.

وتأسيسها كدين كتابي محدد كانت في بابل بعد سبي اليهود في القرن السابع ق.م[1].

أي أن هناك أكثر من ألف عام احتفظ فيها اليهود بتعاليم شفوية حيث لم يترك موسي– عليه السلام– أي مخطوطات، أو كتابات معتمدة [2] كما أن حال اليهود، واليهودية قبل السبي البابلي غامض جداً، فما عثر الآثاريون، والمؤرخون إلاّ على القليل من الآثار، والمصادر الصغيرة التي تمنح بعض المعلومات غير المؤكدة عن تاريخ اليهود قبل السبي، وتبقى التوراة هي المصدر الوحيد المتوفر حتى الآن عن تاريخ اليهود في تلك الحقبة لكن المشكلة أن التوراة لم تكتب إلاّ بعد السبي في بابل، وقد اتفق المؤرخون، والآثاريون على أن التاريخ الوارد في أسفار التوراة ليس له أي دخل بالحقيقة؛ لأنه تاريخ شعبي فيه الكثير من الخيال، والمبالغات، حاله حال كل أساطير، وسير الشعوب، مثل أسطورة كلكامش، والإلياذة، وسيرة بني هلال، وسيرة عنترة" [3].

وقد أجمع المؤرخون أن مملكة داود، وسليمان العظيمة التي ملكت الجن، والإنس، وأجبرت بلقيس ملكة سبأ على المجيء طلباً للأمان –حسب التوراة– ما هي إلاّ مشيخة صغيرة – دويلة صغيرة– مثل مئات المشيخات المتناثرة التي كانت موجودة في المنطقة، بل إن هذه المشيحة من صغرها لم يرد لها أي ذكر في جميع المصادر، والآثار التاريخية المكتشفة، ولم تترك أي أثر حتى لو كلمة على صخرة، أو قطعة نقدية، أو إشارة واحدة في أي من الكم الهائل من الرسائل، والوثائق المتبادلة حينذاك بين الدول، وهذا هو حال80% من الحوادث، والشخصيات التاريخية المذكورة في التوراة[4] فمثلاً من المبالغات المعروفة في اليهودية ادعاؤهم

---

(1) إن تأثير بابل على نصوص الكتاب اليهودي المقدس أمر واضح، ومعترف به، وكما يقول الباحث الإسرائيلي (زالمان شازار):" لقد انبهر العلماء عندما اكتشفوا التشابه الكبير بين الكتابات المقدسة مع الكتابات البابلية إلى حد التطابق الكامل، بحيث فقد الكتاب المقدس قيمته المميزة، يُنظر: زلمان شازار: تاريخ نقد العهد القديم، مرجع سابق، ص165.

(2)انظر : سليم مطر ، ملف الثقافة اليهودية، مرجع سابقhttp://www.mesopot.com

(3) أديب صعب: الأديان الحية، دار النهار، بيروت 1993م، ص11.

(4) أحمد سوسة: ملامح التاريخ القديم ليهود العراق، المؤسسة العربية، بيروت2001م، ص14.

بأن النجمة السداسية هي نجمة داود[1]، بينما كل البحوث التاريخية تؤكد أنها لم تستخدم من قبل اليهود إلاّ بعد القرون الوسطى في أوربا، بالإضافة إلى أنها رمز عالمي قديم وجد لدى المصريين، والهنود[2].

وعلي هذا الأساس يجب أن تكون نظرتنا الموضوعية للدين اليهودي الحالي كديانية توحيدية خالصة، وينسحب علي ذلك رؤيتنا لمفهوم التصوف اليهودي الذي اعتمد في الأساس علي لغة مشوشة، ودين مشوه، وتاريخ مليء بالمغالطات إذ إنهما(الدين والتصوف) تعرضا لتأثر كبير شأنهما شأن اللغة العبرية بأحداث تاريخية اصطبغ بها الكتاب المقدس، واللغة، والفكر الديني الصوفي اليهودي حيث يُعتبر التصوف اليهودي، قبل أن يكون موقفاً فكرياً منتوجاً تاريخيا عكَس إلى هذا الحد، أو ذاك حالة نفسية عامة استدعاها بالضرورة خلال القرن الثاني الهجري ذلك التلاقح الحضاري الذي تنوعت مكوناته الثقافية، ومهد له الازدهار المادي في العصر العباسي؛ واستناداً إلى كتابات سعيد بن يوسف الفيومي(سَعْدِيا جاءون) فإن النّزَعات الأولى للتصوف اليهودي ربما واكبت انطلاقة حركة التصوف الإسلامي؛ لأن التصوف عامة، وهو ما يبدو لم يخرج في جوانبه التنظيمية عن الإطار الزمني لهذا القرن، ولما كان المتصوفة من اليهود لا يملكون من الأدوات التعبيرية إلا ما أنتجه الأدب الصوفي الإسلامي، وهو بالفعل ما اقتبسوه من المسلمين، فإن الضرورة تدعو –وإن باختصار– إلى الإشارة إلى هذه الأدوات من جهة، وتبيان حدود مساهمتهم في هذه الممارسة الروحية، وبعض ما تركوه من كتابات كإرث فكري من جهة أخرى[3].

---

(1) **نجمة داود** Magen David; Star of David ترجمة لعبارة «ماجن ديفيد»، وهي عبارة عبرية معناها الحرفي «درع داود». ونجمة داود عبارة عن شكل مُكوَّن من مثلثين كل منهما متساوي أضلاع، ولهما مركز واحد، وهذان المثلثان رأس أحدهما إلى أعلى ورأس الآخر إلى أسفل. ويشكِّل المثلثان المتداخلان نجمة سداسية ذات ستة رؤوس تلمسها جميعاً محيط دائرة افتراضية، ويمكن دراسة تاريخ هذا الشكل على مستويات ثلاثة، أي باعتباره:– **1** ـ شكلاً هندسياً زخرفياً **2** ـ علامة أو شارة دنيوية دالة على اليهود **3** ـ رمزاً دينياً لليهودية. ينظر: عبدالوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق،162/3.

(2) فيليب حتي: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، دار الثقافة، بيروت 1958م، ص145.

(3) انظر: محمد الغرايب: يهود مجتمع المغرب الأقصى الوسيط، رسالة الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، المملكة المغربية، 2002م، ص87 .

إن الوعي الصوفي اليهودي، والتقليد القبالي ينهلان من مصادر اليهودية الأكثر عمقاً، ويتعلق الأمر بالتوراة، وما وضع حولها من حواش، والتلمود وتفسيره والهَالاَخا، والثيولوجيا، والمُوسَار، والمِدْراش، والهاگدا"[1]، إلا أننا نرى أن مساهمة هذه العناصر جميعاً لم يكن إلا عاملاً واحدا ضمن عوامل ثقافية أخرى[2]وَجدت في تربة الإسلام الخصبة، والمتميزة كل هذه الأسباب أدت إلى إبراز خصوصيتها، لكنها ظلت، كما ظل التصوف اليهودي، رافداً من روافد الثقافة الإسلامية، وإحدى صورها، لذلك لم يبتعد تعريف الباحثين اليهود للتصوف اليهودي عن تعريف المسلمين للتصوف الإسلامي؛ لأن اليهودية كانت قد تهيأت بفضل متانة البنية التحتية لمجتمع الندرة الإسلامي لتستقبل كل المؤثرات القوية من داخل هذا المجتمع، ولاسيما التصوف الذي اعتُبر من قبل البعض أهم مساهمة إسلامية ،والتصوف اليهودي قبل تحوله فيما بعد إلي تصوف حلولي، غنوصي[3]، وابتعاده عن نقاء التصوف الإسلامي التوحيدي الواضح سعي إلى الارتقاء بالنفس، والاقتراب بها من ملكوت السماوات، والدخول في رحاب الألوهية، أو ما أطلق عليه في العبرية (دِيبِيقُوت)، وهو مصطلح يتماشى، وفكرة تجديد الوحدة الإلهية التي تضررت من الخطيئة الأولى، وتحقيق التناغم الكوني الذي هو ذاته مرتبط بشفاعة المسيح[4].

والمتصوف هو من دفعته حاله إلى نوع من الوجد يزهد به في الدنيا، وفي النفس، ويجعل وجوده مقتصراً على تطهير روحه بواجب العبادة، والتقشف، والتعفف، والزهد، ومجموع عناصر هذه الحالة هي أولى درجات الارتقاء في سلم التصوف اليهودي، وهو نفسه أول عتبة أمام المتصوف المسلم للدخول إلى عالم الزهد،

---

(2) ABRHIM ZAFRANI; Kabbale vie mystique et magie. Maisonneuve et Larose, Paris 1986, p. 14.

(3) تعود أصول التصوف اليهودي عند بعض الدارسين تارة إلى التأثير المسيحي، وتارة إلى الزهد الذي ساد أوساط الهنود، والفرس، وأخرى حسب بعض المصادر اليهودية إلى الاحتساب، والقناعة التي اتسم بها بعض علماء التلمود، وإلى أدب الهِالاخاة، وإلى تصوف المِرْكَابَا التي طبعت جميعاً القرون التي سبقت ظهور الإسلام.انظر: محمد الغرايب، يهود مجتمع المغرب الأقصى الوسيط، مرجع سابق ص55.

(1) **الغنوصية** كلمة ذات أصول يهودية، وأصبحت بُعداً أساسياً في اليهودية الحاخامية وفي تراث القبَّالاه. ولكننا نذهب إلى أنها، في واقع الأمر، هي النموذج المتكرر والكامن وراء معظم (إن لم يكن كل) الفلسفات والأنساق الحلولية الكمونية الواحدية (الروحية والمادية) عبر التاريخ.انظر:عبدالوهاب المسيري ،موسوعة اليهود والهودية،ج8، مرجع سابق ،ص291

(3) ABRHIM ZAFRANI; op. ci.t, p. 18

وتشترط هذه العتبة أموراً ثلاثة يُكرِه الإنسان نفسه عليها، وهي: المعرفة، والمحاسبة، والمحبة؛ لكن عنصر المعرفة الصالحة يتجلى جوهره حسب المتصوف في الإكثار من ذكر الله وترديد اسمه[1].

وقد اقتبس المتصوفة اليهود المصطلح الصوفي الإسلامي[2]، واستعملوه بشكل واسع، فالعدد سبعة[3] الوارد ذكره في التوراة، والقرآن الكريم، والذي يعني في ما يعنيه دوماً الأوج، أو النهاية والذي تم وفْقَه ترتيب المستوى الثاني من سلم التصوف، الذي يتكون من فروض، ومراق تنتهي باليقين [4]، وبالرجوع الي سفر يصيرا في علاقة

G. C. ANAWATI et L. GARDET; Mystique musulmane. Paris 1976, pp.187-205.(1)

أورد مؤلفا كتاب التصوف الإسلامي(G. C. ANAWATI et L. GARDET)المذكور أعلاه الميزة التي طبعت روحيا ترديد التّامْبُوتْسو (البوذية اليابانية) وهبوط المركابا، والذكر، والصلاة من اجل المسيح المنتظر وأضافا أيضا أن: "التأويلات اليهودية "لهبوط المركابا" التي ازدهرت بعد ذلك بكثير في القبّالة الكلاسيكية غدت بالضرورة في حاجة إلى مقارنة، يأتي هذا التأثير في إبانه ليعطي إطارا جذابا إلى كل ما نعتقد أنه أحد المضاعفات التقنية للذكر (...) وهي تقنية ترتبط بشكل وثيق بترديد اسم الله وتنظيم التنفس في شكل مصاحب لحركة الرأس"،وفي ملحق كتاب التصوف الاسلامي المذكور أعلاه ميز المؤلفان "تجربة موسى" بمكانة خاصة في التحليل، فرغم أن الله سبحانه توجه بالخطاب إلى أنبياء عديدين، إلا أنه جعل من موسى كليمه وخصه بهذا الفضل دون غيره، وقصة موسى كما هي واردة في "قصص الأنبياء" لابن كثير تبدو وكأنها "قصة نورانية" حقيقية حسب تعبير برنار سوهيلر في مقال له بمادة موسى بدائرة المعارف الإسلامية، وهكذا تم إبداع "نوع من القداسة" سيأمل موسى إلى تمثيله أكثر فأكثر في التقاليد الصوفية.انظر: محمد الغرايب، يهود مجتمع المغرب الأقصى الوسيط، مرجع سابق ص58

(2) رغم أن اللغة العبرية تمتلك كثيراً من المصطلحات الصوفية التي تحمل المعنى نفسه في اللغة العربية، إلا أن العلماء من اليهود فضلوا استعمال المصطلح العربي، من ذلك مثلاً: مصطلح الظاهر، والباطن. فقد استعمل الفلاسفة هذين المصطلحين نفسيهما بدل حيصوني (الخارج) وبينيمي (الداخل) العبريين كما استعملها القباليون بدل: نيگلا (الظاهر) ونيستار (الباطن)، والتوراة نفسها تقوم على ثنائية متناقضة: ظاهر وباطن، وخفي سري، وواضح جلي (عوراينا ستيم وثجاليا). انظر: محمد الغرايب، يهود مجتمع المغرب الأقصى الوسيط، مرجع سابق ص162.

(3) " للتوسع أكثر في علاقات الحروف الأبجدية بخلق السماوات وغيرها.انظر:محمد الغرايب، يهود مجتمع المغرب الأقصى الوسيط، مرجع السابق ص168.

(4) **فمراحل التصوف الإسلامي** يمكن تقسيمها إلى قسمين، وهما: المقامات، والأحوال.

المقامات سبع مراتب هي على التوالي:

1- التوبة2- الورع 3- الزهد 4- الفقر5- الصبر6- التوكل 7- الرضى.

أما **الأحوال**، والتي تقتضي مرور الزاهد إلى مرحلة التصوف، فثمانية تأتي مباشرة بعد استكمال المقامات بشكل يكون قد طهر النفس، وهي كما يلي تباعاً: 1- **القرب2- المحبة 3- المخافة 4- الرجاء 5- الشوق 6- الأنس7- المشاهدة 8- اليقين**. وعندما تكتمل هذه الأحوال يكون المتصوف، أي الإنسان الكامل، قد بلغ أقصى درجات السمو انظر: المرجع السابق، ص174.

الحروف الأبجدية بخلق السماوات يبين القباليون اليهود أن الله عندما خلق الكون خلقه من سبع سماوات، وسبع أراض، وسبعة أيام، وسبعة أنهار، وسبعة أسابيع، وسبع سنين، وسبع مرات سبعة أعوام، وسبعة آلاف سنة كعمر للوجود، واتخذ الله لعرشه السماء السابعة مكاناً، وجعل في كل سماء من السماوات العلا نجوماً، وكواكب، وملائكة يأتمرون بأمر الله، وفي هذه السماوات جميعا حَفَظة (ملائكة) تتراكب متحملة نيره تعالى، منهم خداماً، لا يشبه بعضهم بعضاً، فمنهم من خصه بستة أجنحة، ومنهم من خصه بأربعة، ومنهم من جعل له أربعة وجوه، ومنهم من وهبه وجهين، ومنهم من خصه بوجه واحد، ومنهم المخلوق من نار، ومنهم المخلوق من ماء، ومنهم من هو نفخة من نفس مصداقاً لما جاء في التوراة:"**يخلق رسله نفساً وخدامه ناراً حارقة**"[1].

تحيط كل هذه السماوات ببعضها، وتلتحم كما تلتحم قشور البصل ببعضها، ولا تفتر كل سماء من رعدتها خشية من الله، فبأمره مجراها، ومرساها، وبقوّته، وحوْله جرى حكمه على العالمين أما رقم ثمانية[2] فله تأويل صوفي، وقبالي في الثقافة اليهودية، ففي اليوم الثامن يفترض وجوباً ختان كل طفل ذكر ولد قبل أسبوع، وكل طفل تجاوز يومه الثامن بعد الولادة ولم يُختن حُرِم من الوقوف في الحضرة الإلهية، وقد جاء في التكوين: "**في اليوم الثامن يختن كل ذكر منكم في كل الأجيال.**" [3] وفي بيراخوت ذكر الربي شمعون: "إن كل رجل يرزق بذكر، أي بابن، ينضم إلى الشِّخِينة(التجلي الآلهي الأنثوي)، وهي بداية كل الأبواب العلوية، البوابة المرتبطة بالاسم المقدس، ويبقى الدم الذي يسيل من جرح الطفل المختون حاضراً إلى جواره سبحانه، وعندما يُدعى العالم للحساب، والعقاب ينظر الله إلى هذا الدم فيصفح عن

---

(1) سفر الأمثال الإصحاح الثامن

(2) **رقم ثمانية في الديانة اليهودية** يعني عدة أشياء ذات علاقة حميمية في عمق ثقافة اليهود، فالأيام الثمانية ترجع لنظرية السِّفِيرَوت في القبالا وهي سلسلة الفيض التي تنبثق من الإرادة الإلهية ، وهي القدرات الإلهية الكامنة التي تتحول إلى القداسة المتجلية، والتي تأخذ شكل إشعاعات صادرة من النور الذاتي للإله على هيئة تجليات، وهذه الإشعاعات هي التي أوجدت العالم. ولذا، فإن السفيروت هي القوى الكامنة والتجليات النورانية نفسها، وهي أيضاً مراحل التجلي والبؤر والصفات الإلهية ودرجات الوجود الإلهي. لكن هذه الأشياء تشكل، أولاً وأخيراً، الوساطة بين الكون والإله وتكون بمنزلة حلقة الوصل بينهما، و تترجم بعبارة «التجليات النورانية العشرة». بداية من مِلْخُوت وانتهاء بكِتِر وهي التي يطلق عليها مبناه، ويلطف الختان من شدة ووقع الميئَاه.انظر:المرجع السابق، ص175.

(3) سفر التكوين الإصحاح السابع عشر

العالم، وإذا حدث لأسباب قاهرة عدم ختان الطفل في يومه الثامن فعدة من ثمانين حولا"، فالمختون في ثمانية أيام كالمختون في الثمانين من العمر، فكلاهما سواسية في نظر العادل، ففضل هذا الدم عظيم على الناس فهذا الدم عهد بين الله وخلقه بحسب رأيهم، ومن قدر هذا العهد حق قدره استحق من الله الدنيا والآخرة

ولما كان التصوف الإسلامي نموذجاً يُحتذى في أوساط المتصوفين من الطائفة اليهودية فإن نقط التشابه لا تعدم في الأدبين لدى المجموعتين، أو لنقل إن خطوط التبعية في الأدب الصوفي اليهودي للتصوف الإسلامي تبدو واضحة في طقوس العبادة اليومية إلا أننا سنقتصر في ضرب المثل لذلك على قيام الليل عند اليهود، واللجوء إلى الخلوة تجنباً للقاء الخلق حيث يزخر الزوهار[(1)]، والأدب الرباني للفترة التلمودية، وما بعدها بالحديث عن مواكبة الذكر، والتفكر، والتعبد في الخلوة، وقد ورد في أحد نصوص التلمود أن "أتقياء الأزمنة القديمة للمَشْنا[(2)] كانت عادتهم انتظار ساعة من الزمن قبل الشروع في الصلاة حتى تنْصبّ أذهانهم على أبيهم الذي في السماوات، وإذا ما انغمسوا في الصلاة، وجاء ملِك مُحَيِّيا إياهم ما ردوا

---

(1) **كتاب الزوهار** (זֹהַר) كلمة (عبرية) ، تعني الإشراق أو الضياء) هو أهم كتب التراث الكابالي، وهو تعليق صوفي مكتوب بالآرامية على المعنى الباطني للعهد القديم، ويعود تاريخه الافتراضي، حسب بعض الروايات، إلى ما قبل الإسلام والمسيحية. يُنسَب الكتاب إلى أحد معلمي المشناه (הַתַּנָּאִים) الحاخام شمعون بن يوحاي (القرن الثاني)، وإلى زملائه، ولكن يُقال إن موسى دي ليون (مكتشف الكتاب في القرن الثالث عشر) هو مؤلفه الحقيقي أو مؤلف أهم أجزائه، وأنه كتبه بين عامي 1280 و1285. يتضمن الزوهار ثلاثة أقسام هي: الزوهار الأساسي، وكتاب الزوهار نفسه، ثم كتاب الزوهار الجديد. ومعظم الزوهار يأخذ شكل تعليق أو شرح على نصوص من الكتاب المقدَّس، كما يضم مجموعة من الأفكار عن الإله وقوى الشر والكون. القضايا الرئيسية التي يعالجها الكتاب طبيعة الإله وكيف يكشف عن نفسه لمخلوقاته، وأسرار الأسماء الإلهية، وروح الإنسان وطبيعتها ومصيرها، والخير والشر، وأهمية التوراة، والماشيَّح والخلاص. ظهرت أولى طبعات الزوهار خلال الفترة من 1558 إلى 1560 في مانتوا وكريمونا في إيطاليا. وظهرت طبعة كاملة له في القدس (1945 ـ 1958) تقع في اثنين وعشرين مجلداً، وتحتوي على النص الآرامي يقابله النص العبري. وقد ظهرت ترجمات لاتينية لبعض أجزاء كتاب الزوهار (ابتداءً من القرن السابع عشر). كما تُرجم إلى الفرنسية في ستة أجزاء (1906 ـ 1911)، وإلى الإنجليزية في خمسة أجزاء (1931 ـ 1934). ومن أشهر طبعاته طبعة فلنا التي يبلغ عدد صحفاتها ألفاً وسبعمائة صفحة. بعد مرور مائة عام على ظهوره، أصبح الزوهار بالنسبة إلى المتصوفة في منزلة التلمود بالنسبة إلى الحاخاميين. وقد شاع الزوهار بعد ذلك بين اليهود، حتى احتل مكانة أعلى من مكانة التلمود.

انظر: الموسوعة الحرة ،كتاب الزوهار ، http://ar.wikipedia.org/wiki

وللمزيد انظر بسرعة النور/كتاب-الزوهارالمركز- التعليمي/قبالا- http://www.kabbalah.info/ar/

(2) **المشنا**: النَّص المسجل للقانون اليهودي الشفاهي التقليدي. وتُلْحَق الفقرات القصيرة من المشنا بشروح مستفيضة جدًا. وتُكَوِّن هذه الشروح مجتمعة الجمارا. ولم يتفق العلماء الذين كتبوا الجمارا في تفسيراتهم للمشنا. ونتيجة لذلك فإن الجمارا تشتمل على العديد من المناقشات حول التفاصيل الصغيرة للقانون اليهودي وسيأتي التعريف بها تفصيليا في ثنايا البحث.

تحيّته حتى لا ينقطع حبل صلاتهم، أو إذا ما حدث وجاءت أفعى والْتَوت على عرقوبهم ما انتبهوا إليها"[1].

ومن المهم أن نعرف أن الديانة اليهودية لا تُجيز إتلاف النصوص التي يرِد فيها ذكر اسم الله حتى وإن لم تعُد هناك حاجةٌ لهذه النصوص، ولذا تُحفظ تلك الأوراق في غرف خاصة في الكُنُس تسمى بالعبرية "غنيزا" وتعني المخزن، ولكن عندما فتح مخزن كنيس بن عزرا في القاهرة قبل أكثر من قرن عُثِرَ فيه على شيءٍ غير متوقع: كانت في الغرفة المغلقة أعمالٌ لكتَّابٍ صوفيين مسلمين، وأتقياء يهود من القرون الوسطى كُتِبَت بالعربية والعبرية على السواء، ويتجلى في تلك الأعمال الاستلهامُ الواضح من الصوفية الإسلامية، ويعود كثيرٌ من هذه المخطوطات إلى فترة الحاخام إبراهيم بن ميمون(1186–1237) [2]، ابن الفيلسوف اليهودي موسى

(1) نجد هذا الأمر بداية عند الغزالي في كتابه: ميزان العمل، طبعة القاهرة 1923، وقد عمد هنري لاووست إلى الإشارة إليها ثانية في تحليله لمذاهب المتصوفة في كتابه:

La Politique d'Al Ghazali. Geuthner, Paris 1970, pp. 72-73

(2) **إبراهيم بن موسى بن ميمون:** وُلد في مصر عام ١١٨٦م وتوفي عام ١٢٣٧م، عن عمر واحد وخمسين عاماً. نشأ إبراهيم في عالم متعدد الثقافات حيث تعايش المسلمون واليهود والمسيحيون مع بعضهم البعض وكانوا يكنّون الاحترام المتبادل، وكان اليهود في مصر يطّلعون على الكتب التي كتبها الكتاب والعلماء من كل المذاهب في ذلك العصر، مثل كتب أبي نصر الفارابي، وابن سينا وابن رشد وكانوا يقرؤونها بعمق شديد ليستفيدوا مما جاء فيها، وقبل أن يبلغ العشرين سنة من عمره صار رئيسَ يهود مصر بعد وفاة والده ومن المعروف أن عائلته استمرت في قيادة يهود مصر من جيل بعد جيل حتى الجيل الخامس، و كان للحاخام إبراهيم ولدان أحدهما داود الذي خلفه على الرئاسة والأخر كان اسمه عوبديه بالمعنى عبد الله، وقدذاع صيت الحاخام إبراهيم بين اليهود في مختلف أرجاء الوطن العربي وأصبحوا على اتصال دائم معه حيث كانوا يرسلون له الأسئلة المتعلقة بالخلافات الدينية، والمسائل الشرعية اليهودية والاجتماعية والمسائل العائلية المتعلقة بالزواج والطلاق وكان يرسل لهم الأجوبة الصحيحة وقد عُثر على كثير من المخطوطات التي ألفها الحاخام إبراهيم في المكتبة المسماة بالعبرية «الجنيزة» وهي تقع في كنيس ابن عزرا في الفسطاط (ومن المعروف أن هذا المكان ضمّ كثيراً من المخطوطات اليهودية التاريخية القديمة ولكنها لم تلقَ الرعاية الفائقة وكان ينقصها الكثير من الترتيب والتبويب. وكان الباحثون الأجانب والعرب يقلبون بين هذه المخطوطات علّهم يجدون كتباً يفتشون عنها وعن أصحابها.

كان الحاخام إبراهيم طبيبا للسلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب الذي حكم مصر من ٦١٥ هـ حتى ٦٣٥ هـ (١٢١٨م حتى ١٢٣٨م) بينما كان والده الحاخام موسى بن ميمون طبيباً للسلطان صلاح الدين الأيوبي، وقد اعتقد الحاخام إبراهيم بأن الممارسات الصوفية الموجودة عند بعض المسلمين في أيامه كانت طريقة العبادة عند الأنبياء عليهم السلام، وذكر في كتابه كفاية العابدين: «وأنت تعلم ما عند هؤلاء المُتصوّفين من الإسلام التي وُجد فيهم...من سير أوائل إسرائيل القُدم، ما لم يوجد أو قلّ وجوده في مُتأخّرينا.» في التفاصيل الدقيقة ليحصل الشخص على الطريقة الفاضلة بما في ذلك الصدق، والرحمة، والكرم، والوداعة والتواضع والإيمان، والقناعة، والامتناع، والإهانة والعزلة. وذكر الحاخام إبراهيم بأن عند الانتهاء بنجاح من هذه الطريقة وتحقيق الاتحاد الإلهي مع الله تعالى. فإن ارتداء الخرقة الصوفية يدل على صاحبه بأنه أكمل هذه الطريقة. لذلك نعرف بأن المؤلف وصل إلى غايته لأنه لبس الخرقة.. انظر كتاب كفاية العابدين ترجمة=

بن ميمون وكان الحاخام إبراهيم بن ميمون شخصيةً قياديةً على الصعيدين الديني والسياسي في عصره، كما كان من أكثر ممثلي النهج الصوفي في العبادة اليهودية ويسمى في الأدبيات العبرية بالحسيدوت المشتقة من كلمة "الحسيديم"[(1)] أي التقوى، و" تقي" يعني أن شخصًا تقيًا يسلك دربًا روحانيًا يشبه النهج الذي يتبعه المتصوفة المسلمين.

والحاخام إبراهيم بن ميمون (1186–1237م) عبَّر في كتاباته عن إعجابه بالصوفيين بشكلٍ صريحٍ، وقدَّم شخصيات توراتية بوصفها شخصيات تقيَّة تنحوا منحى الصوفية، وكتب في الصوفيين أنَّهم الورثة الحقيقيون لتقاليد العبرانيين كما نسب بعض شعائر الصوفيين الإسلاميين المميزة إلى أنبياء بني إسرائيل، قائلاً إنَّ اليهود قد نسوا هذه التقاليد الروحية في خضمِّ محن المنفى، وإنَّه لا بدَّ لهم من العودة لممارستها بيد أنَّ الحاخام إبراهيم بن ميمون لم يترك الأمور في إطارٍ نظريٍ بحت، بل أدخل سلسلة من التحديثات على الصلاة في الكنيس اليهودي، مثل غسل اليدين، والرجلين قبيل أداء الصلاة، وهذا أمرٌ لم يكُن من الشعائر اليهودية المفروضة، وكذلك انتظام المصلين في صفوفٍ كما هو معمولٌ به لدى المسلمين، ثم التوجُّه نحو القدس، ويقول موسي بن ميمون في شأن القبلة :"إن أبانا إبراهيم حدد القبلة في جبل المرايا"[(2)] كما يتوجَّه المسلمون نحو الكعبة عند أداء الصلاة، ناهيك عن حركات الجسد أثناء الصلاة كالوقوف، والركوع، والسجود، ورفع اليدين عند الدعاء، والابتهال إلى الله، لكن أكثر ما يلفت الانتباه هي تلك الممارسات الصوفية، مثل التأمل الفردي في الظلام (الخلوة)، أو إقامة الذِكر، و كل هذه الطقوس، والممارسات

=نسيم دانا (جامعة "بر إيلان" القدس ١٩٨٩م) ص ٤٧– انظر أيضا : موقع المجلس اليهودي الأمريكي– ابراهيم بن ميمون http://aslalyahud.org/subpage

(1) **الحسيديم**: جماعات يهودية ظهرت في فترات مختلفة في تاريخ اليهود، وتنتمي إلي مؤسسها بعل شم طوف في القرن الثامن عشر الميلادي، وهم يؤمنون بالفكر الصوفي القبالي انظر: هدي درويش: الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام دراسة مقارنة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة 2006م، ص126.

(2) **جبل المرايا**: الذي بني عليه سليمان الهيكل بالقدس. انظر: موسي بن ميمون، دلالة الحائرين، ترجمة وتقديم حسين آتاي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة2002م، ص656.

التي عاد، واكتشفها الحاخام إبراهيم بن ميمون في الإسلام نسبها إلى مرجعيات في العهد القديم [1]

وقد تبعت عائلة إبراهيم بن ميمون هذه التقاليد الصوفية في الورع، والتقوى على مدى أكثر من عقدين من الزمن، ولم يكُن التديُّن اليهودي الصوفي حالةً فريدةً في مصر، بل نجد آثاره الكثيرة في الصوفية اليهودية لدى يهود الأندلس قبل تهجيرهم، ولدى اليهود الدمشقيين، واليمنيين، والفلسطينيين، والفرس كما كان هنالك في علم الإيزوتيريك– الطريق إلى معرفة الذات عبر التطبيق العملي– الذي مارسه المتصوفون اليهود الأسبان من أتباع الحاخام إبراهيم أبو العافيه(1240–1291) [2] شَبَه كبير بالطقوس التي اعتمدها المتصوفون المسلمون، نذكر منها الأناشيد المركبة، والتنفس المضبوط، وحركات الرأس الخاصة، كل تلك كانت تطبيقات عملية لم تكن معروفة في التصوف اليهودي قبل القرون الوسطى، وقد أدخل الحاخام إبراهيم أبو العافيه إلى منهج التصوف اليهودي عنصر الانخطاف، الذي يتحقق أثناء ممارسة شعيرة الذِكر لدى الصوفية، حيثُ يردد ذِكر اسم الله ويكرر إلى أن يصل الإنسان إلى حالة من النشوة، والانخطاف أو الجذبة

أما مدرسة التصوف اليهودي الشهيرة في صفد الجليل [3] فلا بدَّ وأن تكون قد تأثرت بالصوفية الإسلامية أيضًا إذ كانت صفد في القرن السادس عشر، أي في عصر إسحاق لوريا رائد مدرسة القبَّالة الثانية مركزًا مزدهرًا للصوفية الإسلامية، وكان فيها مدرسة صوفية كما ذكر الرحالة التركي أوليا جلبي[4]،وهناك قرائن

---

(1) نيمت شكر: على خطى الصوفية بعباءة يهودية، ترجمة:

يوسف حجازي،1 /http://ar.qantara.de2010/11

(2) **إبراهيم أبو العافية** صوفي قبَّالي وُلد في إسبانيا، وانخرط في دراسة الشريعة والتلمود، وفي الدراسات والحسابات القبَّالية. وقد درس كذلك مؤلَّف ابن ميمون دلالة الحائرين ، ولكنه فسره وفق المنهج القبَّالي. سافر إلى فلسطين واليونان وإيطاليا، باحثاً عن أسباط يسرائيل العشرة المفقودة. ولما بلغ أبو العافية الواحدة والثلاثين من عمره غلبته روح النبوة، وزَعم أنه وصل إلى معرفة الإله الحقيقي وسيأتي التعريف به تفصيليا في ثنايا البحث

(3) أسس **اسحاق لوريا** (1534– 1572م) مدرسة التصوف اليهودي في صفد رغم حداثة سنه عام 1550 م وهو حبر ومتصوف يهودي عاش واشتهر ومات في صفد "الجليل" الفلسطينية أيام الدولة العثمانية ، ويعتبر لوريا المؤسس الحقيقي للقبالا المعاصرة، ويشار لتعاليمه بالقبالة اللوريانية.. مات لوريا في صفد الفلسطينية العثمانية ودفن في المقبرة القديمة في صفد وسيأتي التعريف به تفصيليا في ثنايا البحث.

(4)**أوليا جلبي** (1611 ـ 1684م) كاتب ومؤرخ عثماني ولد في اسطنبول وقام بزيارة مناطق متعددة، داخل الدولة العثمانية وخارجها، لمهمات رسمية، أو لمرافقة كبار الموظفين العثمانيين أو بصفة شخصية، كما شارك=

نلاحظها في الغناء الروحي لدى القبَّالة حيث تُنشد أبيات القصائد على غرار الإنشاد لدى الدراويش المولويين[1]، وكذلك تشكيل حلقة أتباع حول صاحب الطريقة، ناهيك عن ممارسة الخلوة، والذكر المسماة بالعبرية هيتبوديدوت، وهازكاره.

كما شارك شبتاي زفي[2] الذي أعلن نفسه نبيًا أثناء نفيه إلى مدينة أدرنة العثمانية في حلقات الذكر الخاصة بالدراويش البكتاشيين[3]، وقد اعتنق الإسلام لاحقًا، لكنه كان مرائيا يظهر الإسلام ويبطن اليهودية أما أتباعه من اليهود فظلوا مرتبطين به وأخذوا عن البكتاشيين بعض الطقوس الصوفية كالأناشيد الروحية، وأدخلوها على شعائرهم.

=في الحملات التي وجهت إلى الشام وفلسطين وغيرها، وسجل مشاهداته في مؤلف بالتركية يقع في عشرة مجلدات ويحمل عنوان «سياحة نامة» أي كتاب الأسفار، ويتميز بأهمية معلوماته من النواحي الإدارية والتاريخية والجغرافية، كما أنه يلقي أضواءً مهمة على البنى الاجتماعية والاقتصادية لعدد من المناطق وللشعوب التي زارها انظر: Mordtmann, J.H. [H. W. Duda] (Ewliya Celebi) The Encyclopaedia of Islam New edition B. Lewis, Ch. Pellat and J. Schacht (eds.) Vol. II London 1965 pp.717-

(1) **المولوية:** أنشأها الشاعر الفارسي جلال الدين الرومي ت672هـ والمدفون بقونية، أصحابها يتميزون بإدخال الرقص، والإيقاعات في حلقات الذكر، وقد انتشروا في تركيا، وآسيا الغربية، ولم يبق لهم في الأيام الحاضرة إلا بعض التكايا في تركيا، وفي حلب، وفي بعض أقطار المشرق. انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مرجع سابق، ص:251؛ عبدالكريم الحفني، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية، مكتبة مدبولي، الطبعة الثالثة، سنة2005م، ص599.

(2) **شبتاي تسفي:** ولد شبتاى فى مدينة أزمير بتركيا عام 1926م، نشأ فى بيئة يهودية متزمتة، لم يعمل بالتجارة كوالده إلا أنه اشتغل بالتعلم وبرع فيه حتى صار حاخاماً ونال مرتبة الأستاذية، عاش حياة غريبة، فكان دائم العزلة، والتأمل والتفكر، وابتدع طقوساً خاصة به بعيدة عن التعاليم اليهودية، كما كان يقوم بتحريف الكتاب المقدس وكان يكثر الصوم والاستحمام ويبالغ فيه.لم يكن سبتاى بالإنسان السوى، بل كانت تنتابه حالات غياب عن الوعى، وكان معتل الصحة والمزاج، تزوج أكثر من امرأة، وقيل أنه لم يمسهم وكان ذلك تمهيدا للفكرة الخبيثة بأنه تزوج التوراة، كان سبتاى كثير الهجرة والتنقل، فعاش فى سالونيك والاسكندرية والقاهرة وأثينا وفلسطين، وكانت عقيدة شبتاى متمثلة فى إيمانه بمذهب القبالا، وهو مذهب يهودى مصدره التلمود، وهو علم التأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود. انظر موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، مرجع سابق، ص134،انظر: هدي درويش، حقيقة يهود الدونمة؟،عين للبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية، القاهرة2003، ص9.

(3) **البكتاشية:** هي إحدى الفرق الشيعية التي تزيت بزي الصوفية، ولكنها مع ذلك تربت وترعرعت في تركيا آخر عاصمة للخلافة الإسلامية. وتنسب هذه الطريقة إلى خنكار الحاج محمد بكتاش الخراساني النيسابوري المولود في نيسابور سنة 646هـ 1248م، والطريقة البكتاشية مزيج كامل من عقيدة وحدة الوجود، وعبادة المشايخ وتأليههم، وعقيدة الشيعة في الأئمة، وقد تأثرت هذه الطريقة بالعقيدة النصرانية إلى درجة كبيرة ومن هذه الجوانب التي قلدت فيها معتقد النصارى.انظر: هدى درويش: المنهج الصوفي للطريقة البكتاشية وتأثيره على السلطة الحاكمة في تركيا، مجلة كلية الآداب، جامعة الزقازيق، نوفمبر 2001، ص7.

وربما تأثرت حركة الحسيديم في شرق أوروبا بالإسلام في القرن الثامن عشر، حيث كان لواء "بوضوليا" في جنوب بولندا الذي انتشرت منه عقيدة الحسيديم آنذاك تحت الحكم العثماني أي إنها انطلقت من هذه المنطقة التي كانت مركز الشبتائيين الذين كانوا على صلة وثيقة بمدينة سالونيك العثمانية آنذاك، معقل الشبتائيين بامتياز، ولا تزال الشعائر القبَّالية، والحسيدية الصوفية تُشكِّل جزءًا مهمًا من التقاليد اليهودية اليوم، وبخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، وإسرائيل[1].

ويبدو أن حالات التصوف في الوسط اليهودي، غالبا ما ظهرت في أوقات معينة، ربما تميزت بالشدة، أو في أماكن لا تختلف في شدتها عن هذه الأوقات إلا قليلاً، وهو ما سنحاول التطرق إليه إجمالاً، ونعتقد أن التصوف عموماً لم يكن ممارسة روحانية فوق التاريخ، ولكنها كانت، وستظل منتوجاً تاريخياً، وتعبيراً روحياً عن حاجة اجتماعية، أو حتى سياسية، وهو ما جعل التصوف اليهودي، بغموضه، وانحرافه بفعل المتصوفة اليهود، قد تحول إلي روحانية غير إيجابية.

كما إن تفسير التوراة سواء كان التفسير الحاخامي، أو التفسير القبالي هو الذي أعد طوال قرون الفكر اليهودي الصوفي لممارسة التأويل من خلال التعليق، والشرح، والتحليل لتلك النصوص[2].

فإذا كان" الزوهّار "خطاباً حياً فهو من جهة مُوجِّه لإبداع أدبي قبالي باطني ومتنوع، ومن جهة أخرى تعبير عن الراهنية، وديمومة الحياة الصوفية"، وانعكاس ديني لصراع كبير، بين اليهود، والعرب إذ يعتبرون العرب أبناء إسماعيل أبناء جارية لم يباركهم الرب، ولا يجدر بهم أن يسكنوا أرض اليهود المقدسة بوصفهم شعب الله المختار كما جاء في التوراة: "**طوبى لشعب إسرائيل لأن الله اختاره من بين الشعوب ليخصه بعلامة العهد ...**"[3].

---

(1) انظر:عبد الوهاب المسيري: من هم اليهود وما هي اليهودية؟ أسئلة الهوية وأزمة الدولة اليهودية، دار الشروق، الطبعة الرابعة، القاهرة 2008م، ص375.

(2) يورجدن هابرماس:الفلسفة الألمانية والتصوف اليهودي، ترجمة نظير جاهل،المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان،1996م، ص60.تمت ترجمة الكتاب من النسخة الفرنسية الصادرة عن دار غاليمار:

prafels philosophqucs et politiques,Jurgen Habermas

(3)سفر التكوين 10-17

وليس ثمة شكلاً يهودياً، محدداً للتجربة الصوفية، وإنما هناك أشكال متعددة، وكل تعميم يقع في خطأ كبير اذ يمكننا أن نعتبر أن كل تجربة صوفية هي تجربة فريدة، وأن نتذكر أنها في النهاية لا توصف، ويتضح بالتالي أن ثمة مجازفة كبرى في التأكيد على أن "كل المتصوفين قالوا الشيء نفسه".

المتصوفة في الأصل لا يقولون "شيئاً"، وإنما هم يحاولون نقل تجربة تبدل الكائن البشري، وهذه تجربة فريدة من نوعها تماماً، ولا يمكن تحديداً أن تعبّر بكلمات عادية تتطلب دراسة تعاليم المتصوفة العناية بدقة، وبتواضع بفهم كلماتهم، مع الاهتمام بفهم المعاش الذي تريد ترجمته، على الأقل جزئياً[(1)].

يري المفكر اليهودي (جيرشوم شالوم) في كتابه الاتجاهات الكبرى للتصوف اليهودي:" أن التصوف اليهودي يعني سمو القيم الروحية ،وهو ضروري لأنه مُفسر للعديد من قيم الدين، ويعود له الفضل في إبراز النواحي الايجابية للديانة اليهودية التي يعتبر أنها تقوم علي ثلاث أسس جوهرية هي التوراة، والتصوف واللغة العبرية[(2)].

إن مفهوم التصوف اليهودي– الذي انتزع كل أدواته– من مفهوم التصوف الإسلامي يأتي في صورته الأولية متناسقاً، ومنسجما مع الطرح الإسلامي للتصوف من حيث الارتقاء بالنفس البشرية، والتحليق بها في رحاب السمو الروحاني للتعاليم الآلهية، وهذا أمر يبدو مقبولاً، ويمكن التجاوز عن كل الاقتباسات التي تمت طالما كان الهدف هو الارتقاء بالنفس البشرية، والتي تحث علي الفضيلة، والعدل، والإيمان بالله الواحد، لكن المفكرين اليهود انحرفوا بالتصوف اليهودي، وابتعدوا كثيراً عن تلك المفاهيم، كما انحرفوا تماماً عن نقاء التصوف الإسلامي الذي كان المنهل، والملهم

(1) علي سبيل المثال يتبع السفارديم التلمود البابلي، والأشكناز يتبعون التلمود الأورشليمي، وعلى هذا الأساس قامت كنس مختلفة بعضها عن بعض في الصلاة، والتلاوة، فيدمج الأشكناز في صلواتهم أبياتاً من الشعر تعود إلى القرن الثامن الميلادي، وأما السفارديم فيقتبسون أبياتاً من تأليف شعراء اليهود في الأندلس مشبعة بالثقافة العربية، ويغلب اللحن الشرقي في تلاوة السفارديم للتوراة، ويحفظ الأشكناز التوراة في قماش عادي، بينما يحفظها السفارديم في صندوق خشبي مطلي بالفضة والذهب، ويوجد نص الخروج الذي يتلى في عيد الفصح باللغتين العربية، والعبرية، ومازال كبار السن من السفارديم يتلونه بالعربية، ولا يحتفل السفارديم بليلة رأس السنة الميلادية، بعكس الأشكناز الذين يحيونها في الألعاب، والتسلية كالغربيين. انظر: أودي أديب، اليهود الشرقيون في إسرائيل، مركز دراسات الوحدة العربية، دمشق2003م، ص29.

(2) Gershom Scholem. Major trends in Jewh Mysticism,Schcken Books-New York pp 38 -39

للمتصوفة اليهود الأوائل، وأصبح مفهوم التصوف اليهودي المعاصر مزيج من الحلولية، والوثنية، إضافة إلي توظيفه لخدمة الأهداف الصهيونية،التي تضامنت مع الحسيدية في اللجوء إلي حالات النشوة للهروب من الواقع التاريخي كما ساعدت الحسيدية في إنماء الأفكار الصهيونية وذلك من خلال إشاعتها للأفكار الحلولية التي لا تتطلب إعمال العقل في الأمور[1] وأصبح الفكر الصوفي القبالي هو الوقود المُغذي لعقيدة الحرب، والقتال، والاستيطان، واغتصاب الحقوق، واغتيال الأبرياء، والخطورة أن ذلك الفكر المنحرف يجد أرضية خصبة في التيارات الدينية العديدة المنتشرة داخل المجتمع الإسرائيلي حيث يعبر المتصوفة اليهود عن كل ذلك بقولهم:" توراتنا هي حرفتنا"[2] كما سيتضح ذلك بالتفصيل في ثنايا البحث.

---

(1) هدي درويش:عقيدة القبالة اليهودية ودورها في تشكيل العقلية اليهودية العنصرية المعاصرة،مجلة الدراسات الشرقية ،العدد33 ،القاهرة 2004 ، ص 240

(2) زئيف دوري–عيمرام جونان:المتصوفة اليهود بين العقيدة والجيش، ترجمة وتقديم أحمد صلاح البهنسي،ص8 ، مركز الدراسات الشرقية،جامعة القاهرة 2008

الفصل الثاني
الجذور الوثنية في التصوف اليهودي

إن درجة تأثر التصوف اليهودي بما حوله من عقائد أدَّى إلى ظهور خاصيته الجيولوجية التراكمية التي تتبدَّى في الاقتباسات العديدة غير المتجانسة من الحضارات الأخرى، وخصوصاً إبَّان المواجهات الأساسية الستة للعقيدة اليهودية مع الحضارات:الفرعونية، والكنعانية، والبابلية، والهيلينية، والمسيحية، والإسلامية، وأخيراً مواجهتها مع الحضارة العلمانية الحديثة في الغرب[1].

الانحراف والوثنية في أسماء الله:

انحرف اليهود عموما والمتصوفون منهم خصوصا بالعقيدة اليهودية عن الجادة حتي طال هذا الانحراف المسائل الإلهية عندهم خصوصا مايتعلق بأسماء الله كما انحرفوا في جوانب أخرى عديدة، فقد ورد في العهد القديم أسماء متعددة للإله في حين أن بعضاً منها يوحي بالخصوصية لهم، كما أن بعضها أيضاً يفيد المرحلة، بمعنى أنه اسم الله عرفوه في فترة من الزمن، وقبل ذلك كان خافياً عنهم،[2] ولنذكر علي سبيل المثال أسماء:

ألوهيم אלוהים:

أي الآلهة بصيغة الجمع، وهي التسمية التي أطلقها التعدديون الذين اعتبروا أن التوحيد إنما هو انصهار جميع الآلهة مع بعضها لتشكل إلهاً واحداً،وقد وردت هزه االصيغة في معني الجمع في سفر الخروج **(لا يكن لك آلهة أخري أري أمامي)** [3]وهذا هو الاسم الدارج عند اليهود اليوم، وتطالعنا الترجمة العربية من العهد القديم، ومن بداية الأسفار بتكرار الاسم(الله) كثيراً، ويرى (زكي شنودة) إلى أن الاسم (ألوهيم) هو الذي تم ترجمته إلى (الله) وهو لفظ في صيغة الجمع بالعبرية، ومعناه

---

(1) عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، 5/5.

(2) انظر: سليمان بن قاسم بن محمد العيد، عقيدة اليهود في الإله من خلال العهد القديم دراسة نقدية في ضوء القرآن الكريم http://www.alukah.net

(3) سفر الخروج 20:3.

الدقيق في تلك اللغةهو (الآلهة)[1] وذهب إلي ذلك (سهيل ديب) الذي اعتبر أن هذا الاسم هو انصهار جميع الآلهة مع بعضها لتشكل إلهاً واحداً[2].

أدوناي אדוני:

منذ أواخر القرن الرابع قبل الميلاد رأى كهنة اليهود، وعلماؤهم أنهم يرددون اسم (يهوه) بكثير من الاستهانة، والاستهتار بما لا يليق بلفظ الجلالة ، فحرموا على الجميع النطق بهذا الاسم فلم يعد يحل لأحد أن ينطق به إلا رئيس الكهنة وحده أثناء الصلاة في الهيكل، ومن ثم أصبحوا حين يريدون أن ينطقوا باسم الله يقولون (أدوناي) أي السيد، أو الرب، وهما اللفظان اللذان وردا في الترجمات العربية.

وقد نسب اليهود إلى اسم (أدوني) بعض أسمائهم، ومن ذلك (أدوناي صادق) [3] أي الرب عادل، و(أدونيا) [4] أي (الرب هو الله)[5].

إيل איל:

كان الاسم ايل معروفاً عند اليهود قبل أن يعرفوا اسم (يهوه) الذي علمهم موسى إياه، ومعناه بالعبرية (الله) ويقال إنها التسمية التي استخدمها الموحدون الحقيقيون، واستخدم هذا الاسم أيضاً في تسمياته المختلفة في الأشخاص، والأماكن والمقدسات وغيرها، فيضعونه أحياناً في أول الاسم وأحياناً أخرى في آخره ، ومن ذلك:

- (أليداع) אלידע [6] أي (من يعرف الله).- (أليعازر) אליעזר [7] أي (الله معين).
- (إيل بريث) אלוהים של האמנה [1] أي (إله العهد).

---

(1) زكي شنودة: اليهود نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم، مكتبة نهضة مصر، الطبعة الأولى،1974م، ص292.

(2) رشاد الشامي :موسوعة المطلحات الدينية اليهودية،المكتب المصري للمطبوعات،القاهرة 2003 م ،ص40

(3) (يشوع : 1/10).

(4) (صموئيل الثاني :4/3).

(5) انظر :سليمان بن قاسم بن محمد العيد، عقيدة اليهود في الإله من خلال العهد القديم دراسة نقدية في ضوء القرآن الكريم ،انظر:http://www.alukah.net .

(6) سفر صموئيل الثاني:16/5.

(7) سفر تكوين:2/15.

– وكانوا يضيفونه في آخر الاسم فيقولون (إسرائيل) ישראל [2]
أي(الذي جاهد مع الله).

– و(ميخائيل) מיכאיל [3] أي (من مثل الله).– و(جبرائيل) גבריאל [4]
أي (رجل الله).

– و(بيت إيل) בית אל [1] أي بيت الله.

– وربما اختصروا الاسم فقالوا (دانيال) **דניאל** [2] أي الله قضى.

– و(حزقيال) **יחזקאל** [3] أي (الله يقوى).

– وكثيراً ما يرد الاسم مع صفة من صفات الله مثل(إيل عليون) עליון אלוהים أي كما جاء في الأصل العبري أي (الله العلي) .

- و(إيل شداي) אלוהים אדירים كما جاء في الأصل العبري كذلك، أي (الله القدير) أو القوي[4]

يهوه יהוה:

هذا الاسم هو الذي يشغل حيزاً كبيراً عند الباحثين عند الحديث عن آلهة اليهود لما فيه من غموض، وإشكال[5]، وقد ورد هذا الاسم بلفظ آخر من المادة نفسها في نفس النص بلفظ (أهية) كما في النص: (فإذا قالوا لي ما اسمه فماذا أقول لهم فقال الله لموسى أَهْيَهِ الذي أَهْيَهِ. وقال هكذا تقول لبني إسرائيل أهيه أرسلني إليكم وقال الله أيضاً لموسى هكذا **تقول لبني إسرائيل يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلني إليكم هذا اسمي إلى الأبد)**[6].

وهذه الكلمات بالعربية ليس لها معنى، وليست من أسماء الله سبحانه وتعالى ولا من صفاته، ولا تحمل معنىً حسناً يليق بالله سبحانه وتعالى. إلا أن ذكي شنودة ذهب إلى أنه لفظ عبري معناه (الموجود) أو (الكائن) أو (الذي كان) لأنه مشتق من اللفظ العبري (هيه) أو (هوه) الذي يفيد الوجود، أو الكينونة، وقد أطلقت التوراة اسم

---

(1) سفر قضاة:46/9.

(2) سفر تكوين:28/32.

(3) سفر العدد:13/13.

(4) سفر دانيال:16/8.

(يهوه) على الله في المواضع التي اعتبرته فيها إله اليهود وحدهم، وهو الذي أعلن نفسه بهذا الاسم لموسى، في حين أن هذا الاسم كان خافياً عنهم قبل ذلك(7).

وفسرها الدكتور عرفان عبد الحميد فتاح (أهيه الذي أهيه) بـ (هو من هو) وهذا المعنى لا يتناسب مع سياق الكلام؛ لأنه قال بعد ذلك: أهيه أرسلني إليكم.

فدل على أن (أهيه) اسم، وقال: (يهوه) هو اسم الإله القومي لإسرائيل، إله الآباء الأول إبراهيم وبنوه، ونسبة إليه جاءت التسمية باليهودية (8).

كما تؤكد أن (يهوه) هو اسمه إلى الأبد بمعنى لا يدعى بغيره، ويحاول العقاد بيان اشتقاقه فيقول:" إن اسم (يهوه) لا يعرف اشتقاقه على التحقيق، فيصح أنه من مادة الحياة، ويصح أنه نداء لضمير الغائب (يا هو) لأن موسى علَّم بني إسرائيل أن يتقوا ذكره توقيراً له، وأن يكتفوا بالإشارة إليه" (9).

ويرد هنا سؤال: أليس (يهوه) كلمة عبرية معناها (الله) باللغة العربية؟ يجيب على هذا السؤال أحمد شلبي فيقول: " إن الإجابة على هذا السؤال تجيء بالنفي القاطع؛ لأن الصفات التي ذكرها اليهود لـ(يهوه) تبعُدُ كل البعد عما يتصف به الإله عند أي جماعة من جماعات المتدينين، وتجعله هذه الصفات لا مرشداً، ولا هادياً، وإنما تجعله يمثل انعكاساً لصفاتهم، واتجاهاتهم... فهو ليس خالقاً لهم بل مخلوق لهم. وهو لا يأمرهم، بل يسير على هواهم، وكثيراً ما يأتمر بأمرهم، وفي يهوه صفات

---

(1) سفر التكوين: 8/12.

(2) سفر دانيال:6/1.

(3) سفر حزقيال:3/1.

(4) انظر :سليمان بن قاسم بن محمد العيد، عقيدة اليهود في الإله من خلال العهد القديم دراسة نقدية في ضوء القرآن الكريم ، مرجع سابق ، http://www.alukah.net

(5) سهيل ديب: التوراة بين الوثنية والتوحيد، مرجع سابق، ص223 وما بعدها .

(6) (سفر الخروج 3/13-15).

(7) زكي شنودة: اليهود، مرجع سابق, ص293.

(8) أحمد شلبي: اليهودية، النهضة المصرية، الطبعة الرابعة،1974م، ص22-31.

(9) عباس العقاد: الله، المكتبة الثقافية، القاهرة 1976، ص113 .

الحربية إن هم حاربوا، وصفات التدمير لأنهم مدمرون، وهو يأمرهم بالسرقة إن أرادوا أن يسرقوا، ويتعلم منهم ما يريدونه أن يعلم"[1].

وكان اليهود ينسبون إلى اسم (يهوه) أسماءهم، أو أسماء مدنهم، أو المواضع المقدسة لديهم، فمن الأسماء:

- (يهوه يداع) יהוה יודע [2] أي الله يعرف .
- ومنها (يهوه يريب) יהוה יריב [3] أي الله يحارب .
- ومنها (يهوه ياقيم) יהוה של חיי [4] أي الله يقيم.
- ومن أسماء مدنهم (يهوه شما) יהוה שמא [5] أي: الله هناك.
- ومن أسماء مذابحهم (يهوه شلوم) יהוה שלום [6] أي: الله سلام .
- ومن أسماء المواضع المقدسة لديهم (يهوه يرأه) יהוה רואה [7] أي (الله يرى).
- ويختصرون أحياناً اسم (يهوه) في أول الاسم الذي ينسبونه إليه فيقولون (يهوه حنان) יהוה חנן [8] أي (الله حنون) و(يهوه صداق) יהוה פשוט [9] أي (الله عادل).
- كما يختصرون الاسم في آخره فيقولوا: (بناياهو) בניהו [10] أي (الذي بناه الله)[11].

---

(1) عرفان عبدالحميد بتاح: اليهودية عرض تاريخي ص189،190، دار البيارق، بيروت،1997

(2) سفر صموئيل الثاني: 18/8.

(3) سفر أخبار الأيام الأول : 7/24.

(4) سفر الملوك الثاني: 34/23.

(5) سفر الخروج 35/48 .

(6) سفر القضاة : 24/6.

(7) سفر التكوين:14/22.

(8) سفر الملوك الثاني : 23/25.

(9) سفر عزرا: 2/3.

الاعتقاد بالشرك والخرافة في صفات الله:

انحرف مفهوم التوحيد عند المتصوفين اليهود كثيراً في صفات الله كما انحرفوا في أسمائه، فتجد الحديث أحياناً عن إله واحد، وأحياناً أخرى عن آلهة متعددة ، ومن ذلك نسبتهم إلى الله قوله:" **هذا آدم قد صار كواحد منا في معرفة الخير والشر والآن كي لا يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة ويأكل ويحيى إلى الدهر فطرده الله من جنات عدن**". [1] وذلك لانحرافهم عن العقيدة الأصلية التي نزلت من السماء وتأثرهم بالحضارات وأعراف الأمم المجاورة لهم مثل الكنعانيين

التأثر بالأساطير الكنعانية الوثنية:

تأثر اليهود عموما والمتصوفين منهم خصوصا بحضارة الكنعانيين في كثير من المجالات، فبعض صفات يهوه هي من صفات بعل إله الكنعانيين، وبعض التحريمات (مثل طبخ الجدي في لبن أمه) هي عادات كنعانية قديمة.وكثير من الأعياد اليهودية، مثل عيد الفصح، وعيد الأسابيع، وعيد المظال، ذات أصل كنعاني، وقد كشفت الكتابات الأوجاريتية[2] مدى عمق تأثير الفكر الديني الكنعاني في العبادة الإسرائيلية، ويُقال إن المزمور29 مأخوذ من نشيد كنعاني وُضع أصلاً لبعل العاصفة، وعُثر عليه في أوجاريت[3]. ويبدو أن القصص الدينية للأقوام

---

(1) سفر التكوين20، انظر :علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ،الفصل في الملل والأهواء والنحل ،المجلد الاول،http://www.islamicbook.ws

(2) سميت **الأبجدية الأوجاريتية** نسبة إلى موطن اكتشافها في مدينة أوجاريت(رأس شمرة حالياً) في شمال سوريا، فقد تمكن سكان هذه المدينة في حوالي القرن الخامس عشر قبل الميلاد من اختراع نظام جديد للكتابة، يمثل أبجدية هجائية، أي أن يكون لكل صوت من أصوات اللغة رمز واحد فقط. وعلى هذا النحو استعار الأوجاريتيون رموز الخط المسماري، واستطاعوا أن يكتبوا لغتهم بثلاثين حرفاً أبجدياً ، يؤدي فيها كل حرف صوتاً محدداً من أصوات لغتهم.

انظر: سعيد فايز السعيد: حضارة كتابة، دار البيارق، دمشق 1998م، ص66

(3) **أوغاريت** (بالإنجليزية: Ugarit) هي مملكة قديمة في سورية كشفت أنقاضها في تل أثري يدعى رأس شمرا وكذالك في رأس ابن هاني تتبع محافظة اللاذقية على مسافة 12 كم إلى الشمال من مدينة اللاذقية على ساحل البحر الأبيض المتوسط. يقدّر عدد سكان مدينة أوغاريت في القرن الثالث عشر قبل الميلاد بـ 8000– 6000 نسمة وذلك اعتمادًا على بقايا البيوت العشرة آلاف المكتشفة فيها، أما سكان باقي المملكة فيقدرون بـ 50000 إلى 35000 نسمة، موزعين على 150–200 قرية ومزرعة تابعة للعاصمة. وتبين النصوص وجود سكان حوريين وحيثيين وقبارصة في العاصمة أوغاريت، كذلك بعض الجبيليين والأرواديين والصوريين والمصريين.

كما يشير عالم المصريات النمساوي مانفريد بيتاك (بالإنجليزية: Manfred Bietak) إلى أن الهكسوس في حوالي 1600 ق.م. كانوا على علاقة وثيقة مع الأوغاريتين وذلك من خلال ما بينته الحفريات في أوريس عاصمة الهكسوس، وقد أشارت العديد من المصادر القديمة إلى أوغاريت وحضارتها ومدى تقدم سكانها وازدهار الصناعة والتجارة مع حضارات البحر الأبيض المتوسط وكانت لأوغاريت أهمية تجارية كبير.انظر : علي أبو=

السامية الأخرى، مثل الأدوميين، قد وجدت طريقها إلى الفكر الديني الصوفي اليهودي كما يتضح من سفر أيوب، ويذكر العهد القديم بعض الشعائر، والعقائد التي تم تبنيها، ثم استُبعدت في مرحلة لاحقة، مثل التضحية على المذابح، والثعبان النحاسي، ومركبات الشمس في الهيكل، والعجول الذهبية، ولكن هناك شعائر أخرى لم تُنبَذ مثل التضحية بكبش للمعبود عزازئيل[1].

وكما انحرف المتصوفون اليهود في أسماء الله وصفاته فإنهم بالغوا في إلحاق العديد من الأساطير والخرافات الوثنية البائدة بالفكر والعقيدة اليهودية فسفر التكوين وهو السفر الأول في التوراة المدونة، هو سفر أقرب إلى التصور، والتخيل من الحقيقة الدينية، والواقع الديني، والمدقق في ثناياه يجد أن الربط بين أحداثه يكتنفه التناقض تارةً، والأخذ بأساطير الشعوب الأخرى تارة ثانية، ويؤكد ما جاء في

=عساف، ملاحم وأساطير رأس شمرة (نصوص من أغاريت دراسات ونصوص قديمة«3»)، وزارة الثقافة السورية، دمشق 1988،ص121

(1) **عزازل** (بالعبرية עזאזל) اسم غامض يوجد في الكتاب العبري والأبوكريفا ويستعمل أيضا بدل رميل وجبريل. يظهر الاسم أولا فى سفر اللاويين حيث يكرس كبش "لعزازل" ويحرر للصحراء كجزء من شعائر يوم كيبور. ويعتقد أن عزازل يعني "الله كان قويا" أو "الله يقوي" من كلمة عزز العبرية بمعنى قوي وكلمة إل أي الله، ويكتب الاسم أيضا عزايل وهذا يترجم عادة ملاك الموت،ويظهر عزازل لأول مرة في الكتاب العبري في سفر اللاويين 16: 8 حيث يأمر الله هارون أن " يلقي هرون على التيسين قرعتين قرعة للرب وقرعة لعزازيل" في يوم التكفير الإسرائيلي. الكبش أو التيس المختار بالقرعة لله يقدم كقربان ذنب بينما كبش عزازل "يرسله إلى عزازيل إلى البرية" حسب اللاويين 16: 21–22. وفي سفر اللاويين 16: 26 "و الذي أطلق التيس إلى عزازيل يغسل ثيابه ويرحض جسده بماء وبعد ذلك يدخل إلى المحلة". وهذا أصل كبش الفداء.حسب بعض العلماء اشتق اسم عزازل من عزز بمعنى قوي أو عظيم ومن إل أي الله أو قوي، فيصبح المعنى قوي الله أو يشير إلى المنحدرات الجبلية القوية التي يرمى منها الماعز.و تقترح نظريات أخرى أن عزازل مشتق من إله كنعاني هو عسيز الذي يعتقد أنه سبب احتراق الشمس بقوة.حسب التلمود ، و عزازل اسم المنحدر الذي يقاد فيه الكبش في يوم كيبور، وهذا ما اقتبسه مفسر التوراة شلمو يصحقي الذي اعتبر عزازل بمعنى المنحدر أو الأرض الصعبة، وقبل معظم المفسرين اليهود هذا التفسير لتجنب تلويث التوراة بآثار عن تعدد الآلهة أو الإيمان بالشياطين. وحسب ابن عزرا عزازل جبل قرب سيناء.

وفي نسخة الملك جيمس ترجم عزازل إلى كبش فداء، وهذا مأخوذ من ترجمة وليام تيندال في عام1530 تقريبا الذي فصل عزازل إلى كلمتين عز وأُزل بمعنى "كبش يذهب" أي كبش يهرب أو كبش الهرب أو الفداء، ولأن هذا الكبش يرسل بعد وضع ذنوب الشعب عليه ويرمى من فوق منحدر إلى الصحراء ليهلك (ربما على يد شيطان الصحراء عزازل) أصبحت كلمة كبش الفداء أو الهرب تشير لشخص عادة بريء يتهم أو يعاني أو يعاقب بذنب أو جريمة ارتكبها آخرون.انظر: الموسوعة اليهودية
http://www.jewishencyclopedia.com/articles/2203-azazel

قصة الخلق ما ورد في المزمور الرابع والسبعين يقول فيه: "**أنت شققت البحر بقوتك، كسرت رؤوس التنانين على المياه، أنت رضخت رؤوس لوياتان**".[1]

فالإله حسب التصور الوثني اليهودي لم يخلق السماء، أو الأرض إلا بعد صراعه مع التنين ذي الرؤوس المتعددة، أو الرؤوس السبعة، وهذا التجسيم للإله، وصراعه الذي يمكن أن يتصوره المرء هو تجسيم لتصارع قوتين كبيرتين قوة يمثلها (يهوه) إله اليهود، وقوة يمثلها التنين ذو الرؤوس السبعة. فإذا كان التنين بهذا الحجم الذي يستحق (يهوه) تصارع معه، فمعنى ذلك إنه كان يشكل خطراً كبيراً على مسيرة خلق الكون.

هذا فعلاً ما نجده في أساطير الكنعانيين[2]وغيرهم من الشعوب، فيهوه لم يستقر وضعه، بين السماء والأرض، إلا بعد تصارعه مع التنين وقتله، وكسر رؤوسه السبعة. وهذا يعني أيضاً أن (يهوه) قوة لها جسمها المحدود، فالتصارع مع التنين يكون من قبل قوة تعادله، قوة أدهى وأقوى، ولنتصور هذا التخيل الوثني الواضح، قوتان تتصارعان إحداهما تنين ذو رؤوس سبعة والأخرى قوة (يهوه) الذي قد يتخيله المرء، وحشاً كبيراً هائلاً يستطيع مقارعة عدوه التنين ويقتله، وتصور التنين من قبل اليهود، لم يكن وليد خيالاتهم، إنما هو تراث وثني أسطوري استقوه من عدة مصادر، وقد ورد في أساطير الأكاديين ملحمة الخلق، حيث يقوم الإله (مردوخ) بذبح تنين العلماء (تعامت) ثم يضع نظاماً للكون، ويبني (إيزاجيلا)– وهو معبد للإله الأكبر مردوخ – ويتفق معظم الباحثين على أن الكلمة العبرية (يتهوم) المستخدمة للدلالة على عباب الماء تشير أيضاً إلى (تعامت) تنين العلماء، وفي رؤية أخرى ورود كلمة (لوياتان) تدل على إنها مأخوذة من اسم (لوتان الكنعاني) الذي ذبحه الإله (بعل).[3]

---

(1) سفر التكوين، قصة الخلق المزمور 74

(2) قال رجاء جارودي . في إشارته إلى مدى تأثير (الحضارة الكنعانية) في اليهود–: "فحين التقى الكنعانيون والعبرانيون في المرحلة الأولى كان هناك رفض متبادل بين المؤمنين بالإله (يهوه) والمؤمنين بالإله (إيل) ثم ضعف اهتمام العبرانيين بإلههم مع استمرار توطنهم في كنعان، وقوي إحساسهم بإله المواطنين الأصليين حتى أنهم تبنوا اسمه (إيل) وجمعوه على (إيلوهيم)". انظر: روجي جارودي، فلسطين أرض الرسالات الإلهية، ترجمة وتعليق وتقديم الدكتور عبد الصبور شاهين، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1998م، ص92.

(3) محمد بن حسن المبارك: الروافد الوثنية للثقافة اليهودية– صيد الفوائد، http://www.saaid.net/Doat/almubark/8.htm

الآثار الفرعونية في الفكر الصوفي اليهودي:

كان السحرة، و الكهان يمثلون الفكر والفلسفة والمنهج الذي يعتمد عليها فرعون في إدارة شئون البلاد، مع اشتغالهم بالسحر أيضاً و تأديتهم لطقوس سحرية معينة من السحر الأسود، بالإضافة إلى اشتغالهم ببعض العلوم الطبيعية كعلم الفلك والرياضيات والهندسة [1].

وقد تكونت خلال هذه الحضارة الطوطمائية[2] قاعدة هائلة من الثقافة السحرية السوداء، وقد انتقلت تلك الثقافة تدريجياً الى بني اسرائيل من خلال إقامتهم عدة قرون في مصر، وتشكَّلت في تعاليم كهنوتية، وفلسفية، وسحرية عُرفت في التاريخ اليهودي فيما بعد بثقافة القبالا، والتي قاموا من خلالها بنقل التراث الوثني لمصر القديمة إلى الأجيال الأخرى[3].

ونستطيع أن نشير إلى أمثلة عديدة لتسلل الفلسفة الوثنية، والنظرة الوثنية اللاهوتية إلى التوراة ،ومن ثم الفكر اليهودي الصوفي.

حيث انتشرت عبر الثقافة اليهودية ظاهرة عبادة الشيطان التي كان لها بعض الانتشار في الحضارة المصرية القديمة، وهي مبنية على الاسطورة الفرعونية القديمة و المشهورة في تلك الحضارة، والمعروفة بأسطورة إيزيس وأوزوريس، وقد كُتبت حوالي عام4000 ق. م وهى كأغلب الأساطير المصرية القديمة لها علاقة وثيقة بالمُعتقدات الدينية، وبعبادة الشمس، وتقديس نهر النيل.

---

(1) المرجع السابق

(2) **الطوطم** هو شكل أو رمز على شكل حيوان أو نبات أو جزء من إنسان يرمز إلى صفات معينة للجماعة البشرية التي تعيش في مجتمع معين.وأول من أدخل اصطلاح الطوطم إلى اللغة الإنكليزية الرحالة جي. لونك عام 1791 إذ استعمله بكثرة في كتابه (رحلات وأسفار مترجم هندي) واستعملت كلمة الطوطمية في الدراسات الأنثروبولوجية لأول مرة من قبل العالم الاسكتلندي جي. مكلينين في عام 1870 لدى كتابته مقالاً بعنوان (الطوطمية)،والطوطمية كانت موجودة لدى العرب في الجاهلية حيث كانت كل قبيلة لها وثن خاص بها على صورة حيوان أو على صورة جزء من أجزاء الإنسان رجلاً كان أو امرأة وقد استخدم الطوطم أيضاً في المجتمعات القبلية الأفريقية والأمريكية القديمة، ويعتقد دوركايم أن الطوطمية شكل بدائي للدين وكانت عاملاً هاماً في تنمية التماسك الاجتماعي للمجتمعات الأولى. انظر: عبد الجليل الطاهر، أصنام المجتمع : بحث في التحيز والتعصب والنفاق الاجتماعي، مطبعة الرابطة، بغداد، 1956م، ص6. وللمزيد عن الطوطمية راجع مؤلفات إميل دوركايم ومنها كتابه الأشكال الأولية للحياة الدينية أو كتاب معاجم العلوم الاجتماعية.

(2) سليمان قاسم محمد العيد: عقيدة اليهود في الإله من خلال العهد القديم دراسة نقدية في ضوء القرآن الكريم ،مرجع سابق.http://www.alukah.net

الغريب أننا نجد أثراً كبيراً للتراث الفرعوني الوثني خلال الفكر الصوفي اليهودي، إذ أن التراث اليهودي يختزل هذه الأسماء الوثنية، بل وتنتشر عبادة الإله "ست" من خلال تعاليم القبالا اليهودية[1].

ومن مظاهر ذلك التأثُّر بالتراث الفرعوني:

ـ تنبؤات المنجم الفرنسي اليهودي الأصل والمنشأ (ميشيل نوستراداموس)[2] المولود عام 1503م /1566م ـ والتي اشتهرت في القرن السادس عشر الميلادي والتي ضمّنها كتابه "القرون " والذي عرِف فيما بعد بتنبؤات نوستراداموس، ونشر لأول مرة في عام 1555م.

ولكن تلك التنبؤات كانت تتكئ على إرث فرعوني قديم انتقل عبر الكبسولة الزمنية اليهودية المسمَّاة بالقبالا، وكان ميشيل نوستراداموس قد أتقن على جده الحاخام اليهودي اللغات اللاتينية، والإغريقية، والعبرية، وأصول الرياضيات والطب، واهتم بصفة خاصة بالتنجيم، ثم درس الحضارة المصرية القديمة، وكان

---

(1) تقول الأسطورة إن **أوزوريس** هو ابن إله الأرض الذي ينحدر من سلالة إله الشمس رع، وقد أصبح أوزوريس ملكاً على مصر، وعلّم شعبها كيف يزرع، وكيف يصنع الخبز، والنبيذ، وتزوج أوزوريس من أخته إيزيس، وتعاونا سوياً لنشر الحضارة في البلاد،وكان أوزوريس محبوباً لدى شعبه، وأثار هذا الحب حقد أخيه "ست " الذي أخذ يُفكر في التخلص من أخيه، والاستيلاء على عرشه، واستطاع سِت التخلص من أوزوريس،وبعد طول عناء استطاعت إيزيس هذه الزوجة= =الوفية بمعونة بعض الآلهة،وبسحرها إعادة أوزوريس إلى الحياة الأبدية، وأصبح أوزوريس إلهاً بعد بعثه،وعاد مرة أخرى إلى الأرض حيث قام بتعليم ابنه (حورس) ومساندته ضد عمه(ست) واستطاع حورس في النهاية التغلب على عمه، والاستيلاء على عرش أبيه،وأصبح أوزوريس رمزاً لإله الخير، بينما أصبح ست أو "سيتان" رمزاً لإله الشر، أو الشيطان، و انتشرت عبادة كلا الإلهين في الحضارة المصرية القديمة انظر: بليل عبد الكريم: مظاهر تأثر التراث اليهودي بالتراث الفرعوني الوثني، مكتبة الالوكة، دمشق 2010، ص81.

(2) **ميشيل دي نوسترادام** – هو مسيحي كاثوليكي فرنسي، ذو أصل يهودي، والذي عرف باسمه اللاتيني نوستراداموس ولد في اليوم 14 من ديسمبر العام 1503 من نسب عادي، حيث تخلت أسرته عن اليهودية واعتنقت الكاثوليكية عندما كان عمره حوالي 9 سنوات، فاهتم جده بتعليمه قواعد اللاتينية والإغريقية والعبرية والرياضيات والتنجيم ، فاتضح ذكاؤه واهتمامه بعلم التنجيم وفي العمر 19 أرسله والده لدراسة الطب حيث حصل على إجازة ممارسة مهنة الطب بعد 3 سنوات، ثم ابتدأ الترحال والتنقل من منطقة إلى أخرى لعلاج المرضى، حيث جلبت له ممارسة الطب الشهرة والربح، وابتدأت الحكايات عن قدراته التنبؤية في الظهور .وفي العام 1555 اكتمل القسم الأول من كتابه الخاص بالتنبؤات التي تحتوي على تكهنات تبتدئ بزمانه وحتى نهاية العالم. وقد كتبها بطريقة شعرية تمتلئ بمفردات متعددة من اللاتينية والإيطالية= =والإغريقية، وكان مصدر تنبؤاته مجموعة الكتب القديمة التي ورثها عن أجداده اليهود، واستطاع من خلالها قراءة الأحداث الواردة في عالم ما وراء الطبيعة والتنبؤات ووضعها في كتاب على شكل أبيات شعرية سماها الرباعيات، واستخدم فيها الرموز والاستعارات الغير واضحة= =والألغاز، وذلك خوفا من اتهامه بالهرطقة ومن محاكم التفتيش في زمانه، وقد قام كاهن يدعى – تورنيه – العام 1860 بإصدار سلسلة من التفسيرات لرباعيات نوستراداموس كان لها تأثير كبير في القرارات السياسية في ذلك الزمان، مجلة البحث: العدد الثاني – السنة الأولى – اكتوبر 2007.

على معرفة واسعة بتاريخها، وبآلهة الفراعنة، وعلوم السحر التي كانوا أشهر العارفين بها،وقد كتب نوستراداموس التنبؤات على شكل مقاطع شعرية من أربعة أبيات مبهمة المعاني، ومليئة بمختلف المصطلحات من لغات متعددة مثل اللاتينية، والبروفنسالية، والإيطالية، وغيرها...ولقد احتوى كتاب(القرون) على بعض التنبؤات من ستة أبيات شعرية وسماها (السداسيات) وأخرى سماها(الإنذارات) [1].

و قد اعترف نوستراداموس بنفسه أنه لم يرفع عينيه عن كتاب قديم اسمه "أسرار مصر" وهذا الكتاب من تأليف يامبليخوس اليوناني، وقد ذكر أنه وجد في هذا الكتاب علماً لم يعرفه أحد، وأن كتاب "أسرار مصر" ليس إلا أسرار الكرة الأرضية، وأنه يستطيع عن طريق هذا الكتاب أن يعرف ما الذي سوف يجري على الجبال، وفي الأنهار، وفي المدن، وفي المعابد كلها!، ونحن نعلم أن هذه النبوءات أقرب الى الخرافات منها الى الواقع، وأنها تحتفُّها أنواع التأويلات، لا سيما أنها كُتِبت بلغةٍ رمزية، فقد استعمل طريقة الجناس التصحيفي- أي تغيير أماكن الحروف في الكلمة، أو حذف، أو تغيير حرف، أو حرفين منها، أو استخدام الأسماء القديمة، والمنسية للمدن، والدول التي كان يعنيها في تنبؤاته، وذلك لإخفاء المعنى عن العامة من الناس، ولقد قام بكل هذا حتى لا يقع في قبضة محاكم التفتيش التي كانت تحرق كل من يدّعي بمعرفته الكهانة، والسحر، و لقد ساعدته، واستعانت به الملكة كاترين دي مديتشي ملكة فرنسا مما ساعده في نشر كتابه دون خوف من محاكم التفتيش، ولكنه أبقى على الترميز فيه، واستمر في البلاط الفرنسي إلى أن مات سنة 1566م، إلاَّ أن تلك النبوءات زيد عليها أمثالها خلال طبعاتها المتلاحقة. [2]

ولكن لا نستبعد أن يكون بعضها من بقايا علوم المنجمين المصريين التي جمعوها خلال عدة آلاف من السنين، كما اعترف نوستراداموس نفسه بذلك، لا سيما أن ذلك الزمن قبل حراسة السماء بالشهب عن المسترقي السمع من الجن[3].

ومن مظاهر التأثر اليهودي بالموروث الفرعوني كثير من الرموز الفرعونية التي تعج بها تلك المحافل السرية اليهودية،ومن مظاهر التأثر اليهودي بالموروث

---

(1) محمد المبارك: الروافد الوثنية للثقافة اليهودية- مرجع سابق
http://www.saaid.net/Doat/almubark/8.htm

(2) المرجع السابق

(3) قال تعالى في كتابه الكريم- على لسان الجن-:{**وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا**) (الجن/8 -9) .

الفرعوني أيضا أن أول محفل افتتح في مصر كان يحمل اسم "إيزيس" الإله الفرعوني كذلك إدخالهم بعض تعاليم سحرة فرعون، أو من عُرِفوا "بكهنة آمون" في التوراة، و تأثر حاخامات اليهود بتعاليمهم، ونقلوا بعضها إلى التوراة، وبعضها كتعاليم شفوية نقلت من جيل إلى آخر.

يقول الكاتب البريطاني "ناستاه وبستر"على الرغم من قيام تعاليم موسى– أي التوراة– بلعنة السحر إلا أن المتصوفون اليهود تجاهلوا هذا اللعن، وتورطوا في هذه التعاليم السحرية، وخلطوا تقاليدهم المقدسة بالأفكار، والتعاليم السحرية التي اقتبسوها من الأمم الأخرى"[1].

وخلاصة القول إن التصوف اليهودي انتزع كل أدواته من روافد وثنية، ونهل من تلك الخرافات، والأساطير القادمة من أغوار التاريخ الكنعاني، والفرعوني، والبابلي ما جعله منافياً للعقل، والمنطق وهو ما دفعه بعيداً تماماً عن صفاء، ونقاء التصوف الإسلامي الذي اجتهد المتصوفون اليهود بناء نموذج مشابه له، لكنهم انجرفوا في فوضي الموروث التاريخي للكتب المنقولة، والأساطير البالية.

---

(1) محمد المبارك: الروافد الوثنية للثقافة اليهودية– مرجع سابق

الفصل الثالث

مصادر التصوف اليهودي

ظهر التصوف اليهودي في فترة اتسمت بالفوضى في مجتمع بني إسرائيل، فبعد موت سليمان (عليه السلام) انقسمت الدولة سياسياً وضعفت، كما انحرف الدين اليهودي عن مساره، وتأثر بالعقائد الوثنية للدول المستعمرة والمجاورة، وأضحى المجتمع يشعر بضياع الهوية وعدم الانتماء، خاصة بعد أن حطم إمبراطور بابل هيكل سليمان، وأخذ اليهود أسرى إلى بابل؛ فالأسر البابلي عام 586 ق. م كان نقطة تحول مهمة في مسار الهوية الدينية اليهودية بسبب ضياع التوراة، وأصبح اليهود في حالة تشتت وتيه وانهزام نفسي، وقد اقتضت هذه الظروف ظهور أنبياء ومصلحين في محاولات لتصحيح مسار العقيدة وإعادة التوازن النفسي للشعب، فظهرت حلقات دينية يقيمها النبي أو المصلح يتحدث فيها للأتباع عن أمور الدين وضرورة ظهور المخلص الذي سيعيد الأمور إلى وضعها الصحيح[1].

أما القضايا التي يتناولها التصوف فأهمها قضية الخلق والتكوين، وطبيعة الإله وعلاقته الحسية بالإنسان اليهودي، وموضوع الخلاص والمخلص، وهي نفس موضوعات التوراة وكتب العهد القديم والتلمود، حتى أصبح الدين اليهودي والتصوف شيء واحد يصعب التمييز بينهما، والصحيح من القول أن هذه المصادر الثلاث هي المصادر الأساسية للفكر الصوفي اليهودي؛ أما المؤثرات التي أحاطت بالتصوف اليهودي مثل خوارق العادات والغموض في الأقوال والأفعال أخذتها القبَّالا من المذاهب الغنوصية والرمزية كذلك لفهم معاني التوراة، وهو ما يعرف بالعلم الباطني أو الحكمة الإلهية، كما نضح التصوف اليهودي بالأساطير والخيال الشاطح، وأهم هذه المؤثرات هي السحر، الذي ارتبط به اليهود منذ أن كانوا تحت الاستعباد الفرعوني.

والتوراة الحالية وكتب العهد القديم والتلمود كلها تعج بالممارسات السحرية التي يقوم بها موسى وغيره من الأنبياء كما جاء في سفر العدد، على الرغم من النصوص التي تحرم السحر في سفر اللاويين وسفر التثنية؛ فالتناقص في المفاهيم والقيم

---

(1) حسنات عوض ساتي – التصوف اليهودي (القبَّالا)

http://www.alchamel.org/vb/archive/index.php/t-14577.html

واضح ومرصود، وقد ارتبط السحر بالتصوف اليهودي لدرجة أن كلمة السحر أصبحت مرادفة لكلمة التصوف.

جاء في تاريخ الدين اليهودي أن النبي كان حينما يحدث أتباعه تنتابه حالات غيبة تأتيه خلالها رؤى مثل رؤى النبي حزقيال والنبي دانيال يقال إنها نبوءات كانت تبعث الأمل في النفوس، وكان الأتباع في هذه اللحظات يأتون بحركات راقصة عنيفة يصاحبها عزف على آلات موسيقية. فالموسيقى والرقص ذكرت نصاً في التوراة وكتب العهد القديم والتلمود كجزء أساسي من العبادة، وهي في نفس الوقت شيء أصيل في التصوف اليهودي.

والمؤكد أن التصوف اليهودي قد تأثر كثيراً بالفلسفة الإغريقية والفلسفة الهيلنية، واقتبس وتبنى أفكارها، وكتابات الفيلسوف المتصوف اليهودي فليون الإسكندري تقف شاهداً ودليلاً على هذا، ومن جاء بعده من الفلاسفة المتصوفة أمثال موسى بن ميمون، فالفلسفة الإغريقية والمذاهب الغنوصية كلها تتحدث عن مفهوم الألوهية، وعلاقة الإنسان بالإله، وتتحدث عن الخلق والتكوين، وارتبطت هذه الموضوعات بالعقائد الدينية عند الشعوب والحضارات القديمة، وأصبحت كذلك في الدين والتصوف اليهودي لم تنقطع أو تنفصل عنه، بل هي متداخلة ولا يمكن التمييز بينهما، واليهودي العادي لا يعلم حقيقة الفرق بين الدين والتصوف[1].

ويتفق غالبية الباحثين أن التوراة – وهي أهم مصادر التصوف اليهودي– قد ُكتبت من قبل اليهود أثناء سبيهم في (بابل) بين القرن السابع حتى القرن الثالث ق.م[2]، أو في أحسن الأحوال أنهم أعادوا كتابتها بالاعتماد على ما ورثوه من لفافات متنوعة المصادر، والتواريخ، والحاوية على معلومات متناقضة، ومتكررة، بالإضافة

---

(1) حسنات عوض ساتي – التصوف اليهودي (القبَّالا) ،مرجع سابق

(2) حول اتفاق الباحثين على كتابة التوراة في بابل، راجع: موسوعة وكيبيديا باللغات العربية والفرنسية والانكليزية (اليهودية).، كذلك: فراس السواح، آرام ودمشق وإسرائيل، ص10 ، كذلك دراسات منشورة في الانترنت، لكل من: الدكتور زغلول النجار ، ود. علي حليل، اليهودية بين النظرية والتطبيق مقتطفات من التلمود والتّوراة، منشورات اتحاد الكتاب العرب 1997م؛ كذلك باللغة الفرنسية:

L'histoire de la Bible : J. H. Alexander La Maison de la Bible

Sur les traces de la Bible : Dr W.J. Ouweneel La Maison de la kBible

إلى ما حفظته ذاكرتهم، وإن هذا التناقض، والتكرار في أخبار، وحكايات التوراة هو الذي جلب انتباه الباحثين الأوربيين منذ القرن السادس عشر، بل إن أول من أعلن شَكَّه بأن كاتب التوراة هو (موسى)، الفيلسوف اليهودي (سبينوزا).

وقد دونت التوراة باللغة الآرامية العراقية، وبالاعتماد على المصدرين التاليين:

1- الميراث الشفهي الفلسطيني المحفوظ في ذاكرة العبرانيين من حكايات، وأساطير، ومعتقدات، جلبوها معهم من حياتهم السابقة في فلسطين، وهذا التراث الشعبي، حاله حال أي تراث شفاهي فيه الكثير من الصحيح، والكثير الكثير من الخيالي، والمضخم، ولنا مثال على ذلك السِيَرْ الشعبية العربية عن عنترة، والبسوس، وبني هلال، التي أخذت أحداثاً، وشخصيات تاريخية حقيقية ولكن ضَخَمَتْها أضعاف، وأضعاف، وإعادة ترتيبها زمنياً، ومكانياً، وهذا يفسر ما جرى مع التاريخ اليهودي الفلسطيني الوارد في التوراة عن خوارق النبي موسى، وبطولات داود، والملك سليمان الذي حكم الإنس والجن، وغيرها من المآثر المضخمة، والمتخيلة، والتي لم يتم العثور علي أي سند آثاري، ولا تاريخي يؤكد صحتها، فالتوراة لها قيمة أدبية، ودينية، وتراثية، ولكنها لا يمكن أبداً أن تصلح كسند تاريخي.

2- الثقافة البابلية العراقية بجميع مخزونها العريق الديني والأدبي والعلمي، التي شَكَلَّتْ المصدر الثاني الكبير، أو المنصهر الذي أعاد فيه اليهود صياغة ميراثهم الشفاهي وتجديده شكلاً ومضموناً، وبسبب تأثير الثقافة البابلية عليهم، ونشوء نخبة متعلمة قرر اليهود حينها كتابة تاريخهم الشعبي، وعقيدتهم الدينية الشفاهية، في كتاب أسموه (التوراة، أي التراث)، وهذه التسمية بحد ذاتها تدلنا على الغاية من هذا الكتاب، أي (حفظ تراث الأسلاف) [1].

وهذا يفسر احتواء التوراة على الكثير من الموروثات العقائدية، والثقافية العراقية، بحيث يصح القول إن التوراة أقرب ما يكون كتاباً بابلياً؛ إذ يتفق الباحثون على اقتباس التوراة للأمور التالية من الميراث العراقي القديم:

. أسطورة خلق الكون والإنسان- جنة عدن والفردوس المفقود- الطوفان ونوح - قصة هابيل وقابيل- أصل الإنسان واللغات وبرج بابل - طفولة سيرجون وطفولة موسى - محاربة قوى الشر - غضب الرب وإنزال الكوارث - العهد بين الرب والعبد

---

(1) فيليب حتي: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، دار الثقافة، بيروت 1958، 2/ 242،245.

– قوانين حمورابي والوصايا العشر – البكاء على تموز وانتظار المُخَلّصْ – أناشيد الزواج المقدس والمزامير ونشيد الإنشاد – صبر أيوب – وغيرها من الحكايات، والرموز التي لا تعَّد.

أما من الناحية الدينية فإنهم اقتبسوا الكثير من الميراث العراقي، ومعتقداته الدينية: اقتبسوا يوم (السبت)(1) الذي كان يوم عطلة (سبوت وراحة) ونهاية الأسبوع لدى العراقيين. والطقوس والأزياء(2)، أما عادة الختان فقد جلبها معهم اليهود من فلسطين، وربما هي بتأثير مصري(3)، وبناء عليه نستطيع الجزم أن المصادر الرئيسة التي نهل منها التصوف اليهودي كانت مشوشة ومتأثرة إلي حد بعيد بالموروث الديني والثقافي للأمم والشعوب التي عاش بينها اليهود ردحا من الزمن واكبر دليل علي ذلك تأثرهم الكبير في فترة عيشهم ببابل (العراق) .

عزرا البابلي يجدد الدين اليهودي:

كان اليهود العائدون إلى فلسطين بعد السبي البابلي متعصبين حتى ضد إخوانهم الذين بقوا في فلسطين، بحيث عاملوهم باحتقار باعتبارهم منحرفين لأنهم قد تزوجوا من الكنعانيين(4)، ولكن رغم ذلك التعصب والحماس، فإن مشروع إعادة بناء الهيكل ما كان ناجحاً، حتى بعد مرور أكثر من قرن على العودة بعد ذلك قام (نحميا وعزرا) (5) بمحاولة ثانية لترتيب حال اليهود هناك(1).

---

(1) كان يوم السبت لدى العراقيين اسمه(شباتم) وهو (يوم نواح لبيبي) أي (يوم راحة القلوب)، طالع: دراسات في التاريخ، أنيس فريحة، جريس بريس، طرابلس،1991، ص114.

(2) للاطلاع على تفاصيل الأثر البابلي في التوراة، راجع: من سومر إلى التوراة، مرجع سابق، الفصل الرابع، كذلك: الأب سهيل قاشا ، بيسان: أثر الكتابات البابلية في المدونات، 1998م؛ كتاب المؤرخ الإسرائيلي : زلمان شازار ، تاريخ العهد القديم – القسم الثاني.

(3) احمد سوسة : ملامح التاريخ القديم ليهود العراق ، ص57 ؛ كذلك فيليب حتى / ج2 / ص213.

(4) أديب صعب: الأديان الحية، دار النهار، بيروت1993م، ص132.

(5) كان **عزرا** كاهنا من نسل **هارون** وموظَّفا في بلاط فارس جاء في أوائل القرن الرابع إلي فلسطين يشدِّد عزيمة الراجعين من المنفى، فعاد بهم إلى الشريعة يقرأها لهم ويفسّرها ، وحذَّرهم من الاختلاط بالأمم الوثنية من خلال الزواج لئلاً يخسروا هويتهم؛ أما نحميا فوُلد في المنفى وتوظف في بلاط أرتحشتا الملك الفارسي. اخبره أخوه بالضيق والضياع اللذين يعيش فيهما الراجعون من منفى بابل، وبأن أسوار أورشليم مدمَّرة وأبوابها محروقة. كان ذلك سنة 445 حين صوَّر له الحالة الدينية في البلاد: صعوبات اقتصادية، نقص في الحياة الدينية، فتور عند الكهنة. عاد نحميا الى البلاد، وقام بعمل مادي فبنى أسوار أورشليم، وبعمل روحي فقرأ الشريعة وجدَّد العهد في وثيقة وقّعها الكهنة واللاويون والشيوخ ، و يتألف كتابُ عزرا ونحميا من سفرين هما سفر عزرا وسفر نحميا. كانا يشكِّلان كتاباً واحدا، وقُسما في القرن الخامس عشر ب م فصارا كتابين مستقلين. اما موضوعهما فواحد،=

في عام (444 ق.م) رحلا من بابل إلى فلسطين وقد اصطحبا معهما ألفاً وسبعمائة يهودي بابلي، وقد تمكن (عزرا) بعد جهود كبيرة من إنشاء تنظيم ديني صارم أجبر يهود فلسطين بالقسم على التمسك بعهد موسى، ورفض تزويج بناتهم لغير اليهود، بل حتى التخلي عن زوجاتهم غير اليهوديات، واعتبار نسلهم أبناء زنا، وصار الكهنة هم الحكام الآمرين[2].

إن هذه المجموعة البابلية بقيادة عزرا هي التي قامت بكتابة ما سمي فيما بعد بـ (التلمود الفلسطيني) ومنذ ذلك الحين صارت اليهودية ديانة محدودة ومتميزة، تحمل صفات الانغلاق العرقي، والديني، وأمست الطقوس الشكلية مقدسة، وصارمة مثل يوم السبت، والصلاة في هيكل أورشليم، والاحتفال بالأعياد، والمناسبات اليهودية المعروفة[3].

كتابة التلمود الفلسطيني والبابلي:

التلمود كتاب ضخم جمعت فيه أحاديث اليهود، وأحكامهم، وفقههم، وكل

كتاباتهم التي أعقبت إنجاز التوراة، خلال حوالي ألف عام، أي من القرن الخامس (ق.م) حتى القرن الخامس الميلادي، وكلمة (التلمود) تعني (التلمذة والتعلم)[4].

لقد بقي العراق المقر الأساسي للديانة اليهودية، حتى بالنسبة ليهود فلسطين. فرغم انتقال الكثير من اليهود إلى فلسطين إلاّ أنهم بقوا دائماً متعلقين بأرض بابل، لهذا تراهم كانوا ما أن يتعرضوا إلى ضائقة في فلسطين، سرعان ما يلجئون إلى العراق، وهنالك وقائع كثيرة تؤكد هذه الحالة، ففي سنة63 ق.م عندما سقطت الدولة

=وهو حياة شعب الله بعد الرجوع من المنفى، والمحاولات لإعادة بناء الهيكل وترميم أسوار أورشليم. إن دور عزرا يشبه إلى حد بعيد دور موسى، وعنه تقول التقاليد اللاحقة إنه دوَّن الشريعة كلّها. ودور نحميا يشبه دور يشوع القائد العملي . انظر مقدمة دراسة القراءة المسيحية للعهد القديم (كتاب عزرا ونحميا) للأسقف بولس الفضالي

http://www.boulosfeghali.org

(1) سليم مطر: ملف الثقافة اليهودية، مرجع سابق .

(1) السابق.

(2) عزرا 10 : 3– 5، 10 وما بعده، كذلك نحميا 13: 35، كذلك انظر: أديب صعب،الأديان الحية، مرجع سابق، ص133

(3) سليم مطر: ملف الثقافة اليهودية، مرجع سابق.

المكابية اليهودية في فلسطين على يد الرومان، هاجر الآلاف من اليهود، ولاسيما من رجال الدين إلى أرض بابل[1]. لقد ظل علماء يهود بابل فعّالين حتى في المدارس اليهودية في فلسطين. فهاهو الرابي (أبا عريقا) ينتقل من العراق إلى فلسطين، ويؤسّس أكاديمية (سورا) ويذكر عادة بلقبه الشائع (راب) كذلك (صموئيل) الفلكي والطبيب[2].

لقد ظهرت في بابل جماعة أطلق عليها (سوفريم) وتعني الكتّاب وهم الذين أولوا اهتماما بكتابة التوراة، والأحكام الدينية، ومن أبرزهم الكاتب عزرا الذي جاء إلى فلسطين من بابل في القرن الخامس ق. م، ويعتبر أبرز شخصية ظهرت في أوساط اليهود بعد شخصية النبي موسى؛ إذ قام بتطوير العقيدة اليهودية من خلال استخراج نصوص من كتاب العهد القديم تعنى بمتطلبات المجتمع اليهودي، وكانت خطوته تلك بداية للسنة الشفوية ثم راج بعد عزرا أسلوب في تفسير وتأويل النصوص الدينية يسمى (مدراش) ومعناه (البحث والتتبع)، لأن العلماء تتبعوا على ضوئه المعاني الكامنة في التوراة، بغية وضع الحلول لجميع المسائل، والمستجدات[3].

وكانت هناك مجموعتان من تلك الخلاصات، إحداهما تكونت في فلسطين وتسمى تلمود أورشليم، والأخرى كتبت في العراق وتسمى التلمود البابلي، وهو أكثر استفاضة وأهمية، وبينما انتهى التلمود الفلسطيني بحدود عام 400 ق.م.، فإن التلمود البابلي قد ضم إضافات إلى نحو عام 500م.

كما إن التلمود البابلي ثلاثة أضعاف التلمود الفلسطيني، حيث تبلغ صفحاته أكثر من خمسة آلاف، وقد ترجم إلى العديد من اللغات[4].

إذن يعتبر التلمود أشبه بدائرة معارف ضخمة بكل ما يتعلق بأسس الديانة اليهودية، وهو المصدر الأساسي للتشريع اليهودي، وبما أنه اكتمل بعد انتشار المسيحية، فإنه يتضمن الطعن بالسيد عيسى المسيح، لهذا رفضه المسيحيون،

---

(1) انظر: عبد العزيز محمد عوض، الموسوعة الفلسطينية، الأطماع الصهيونية في القدس،القسم الثاني، الطبعة الأولى، بيروت 1990م،860/6

(2) سليم مطر: ملف الثقافة اليهودية، مرجع سابق.

(3) المرجع السابق.

(4) الترجمة الانكليزية تبلغ (18) مجلداً طبعة لندن.

وبسببه عانى اليهود في أوربا من الاضطهاد، وكانت عملية حرق التلمود أمراً شائعاً لدى الكاثوليك[1].

تأثر اليهودية بالثقافات الجديدة :

من المعلوم أنه حتى فترة السبي كانت تسمية (اليهود) خالية من المعنى الديني، إذ تعني (سكان يهودا – أورشليم) جنوب فلسطين ومع الزمن شملت أيضاً سكان (إسرائيل – السامرة) شمال فلسطين لهذا فإن (يهود) بابل هم أول من بدأ بإضفاء الطابع العقائدي الديني على جاليتهم، وفي بابل اتخذت تسمية (اليهودية) معناً دينياً، وقد احتاجت عملية التأسيس الديني الأولى حوالي أربعة قرون (بين القرنين السابع والثالث ق.م) تمثلت بالتدوين التوراتي، والجدال، والتنظير البطيء، وفي القرن الثالث ق.م بدأت تسمية (اليهود) تتخذ معناً دينياً، واسما لطائفة تمتلك عقيدة، وكتاباً مقدساً اسمه (التوراة). أما أول من أشار بصورة رسمية وكتابية إلى (عقيدة اليهود) باليهودية فهو المؤرخ اليهودي الفلسطيني (يوسيفوس فلافيوس . القرن الأول م) في الإسكندرية، وذلك بالمقارنة مع (الهيلينية): (عقيدة أهل مقاطعة يهودا مقابل عقيدة سكان مقاطعة هيلاس). فالمصطلح إذن بدأ اسماً قومياً جغرافياً ثم بالتدريج في بابل اتخذ مضموناً دينياً[2].

ويمكن القول إن (الإسكندرية) قد نقلت الديانة اليهودية إلى المرحلة الرابعة المكملة للمراحل الثلاث السابقة، وفي الإسكندرية برزت شخصيات يهودية استوعبت جيداً الثقافة اليونانية، ولعبت دوراً كبيراً في التأثير على الثقافة اليهودية وترجمة كتبها إلى اليونانية أمثال الفيلسوف:(فيلون السكندري القرن الأول الميلادي) الذي أدخل إلى اليهودية (العرفان . الغنوص) المسمى بـ (الأفلاطونية الجديدة) (3).

---

(1) **الكاثوليك:** أكبر الكنائس النصرانية في العالم، وتدعي أنها أم الكنائس ومعلمتهن، يزعم أن مؤسسها بطرس الرسول، وتتمثل في عدة كنائس تتبع كنيسة روما، وتعترف بسيادة بابا روما عليها، تؤمن الكنيسة الكاثوليكية مثل باقي الكنائس الأخرى بإله واحد مثلث الأقانيم: الأب، الابن، الروح القدس، على حسب ما ورد في قانون الإيمان النيقاوي لعام 325م كما تؤمن بأن للمسيح طبيعتين بعد الاتحاد: إحداهما لاهوتية، والأخرى ناسوتية، ويؤمن الكاثوليك بما أقر في مجمع القسطنطينية الرابع عام869م من أن الروح القدس منبثق من الأب والابن معاً، ويعتقد الكاثوليك أن أقنوم الابن أقل من أقنوم الأب في الدرجة، ونظراً لاعتقادهم بعصمة البابا فإن المغفرة حق من حقوق الكنيسة تعطيها لمن تشاء.يُنظر :الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، ص(599–600).

(2) فيليب حتي: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، مرجع سابق، ص244 .

(3) سليم مطر: ملف الثقافة اليهودية،مرجع سابق.

كذلك المؤرخ الكبير (يوسيفوس فلافيوس– القرن الأول الميلادي) وهو يهودي فلسطيني عاش في الإسكندرية وكتب تاريخ اليهود وعرف به عالمياً، كذلك قامت النخبة اليهودية هنالك في القرن الثالث ق.م ، بتكوين لجنة من سبعين شخصية لترجمة التوراة إلى اليونانية، واستغرق هذا المشروع حوالي ثلاثة قرون، حتى القرن الميلادي الأول، وسميت (الترجمة السبعينية) التي حولت التوراة إلى مصدر ثقافي عالمي[1].

إن الخطأ الكبير الذي وقع به غالبية من تعاملوا مع موضوع اليهودية، أنهم خلطوا بين نوعين من اليهودية:

. **اليهودية الأصلية:** أي يهودية العهد القديم، والتلمود، وهي اليهودية الأصلية الرسمية التي نشأت في بابل، وبقيت محصورة لحوالي ألف عام بين الجاليتين اليهوديتين في العراق، وفلسطين، وهي يهودية بابلية دنيوية.

. **اليهودية المحدثة:** أي اليهودية الروحانية العرفانية التي نشأت خصوصاً في الإسكندرية، وعالم البحر المتوسط، وتعود جذور هذا التحول إلى فلسطين، والعراق مع السيطرة اليونانية على المنطقة منذ القرن الرابع ق.م وقد تعزز هذا التحول نحو الروحانيات، والفلسفة في الإسكندرية التي تحولت إلى مركز أساسي للنشاط الثقافي اليهودي، وقد بلغ هذا التطور الروحاني الفلسفي ذروته في العصر الإسلامي في بغداد أولاً ثم خصوصاً في الأندلس مع مذهب القبالا، وهو المذهب الروحاني التصوفي المتأثر بشطحات وانحرافات التصوف الإسلامي[2].

تشبث اليهودية بالعقيدة العرقية الانعزالية :

إن الخاصية الجوهرية الكبرى لليهودية أنها جعلت (الانتماء العرقي العبري اليهودي) أمراً إلهياً مقدساً، بل الأعظم من هذا، إنها آمنت بأن هذا (الانتماء القومي اليهودي) يجب أن يكون أمراً مقدساً من قبل الإنسانية جمعاء!! والطريف إن اليهود قد كونوا هذه العقيدة القومية المقدسة في (بابل)، حين اقتبسوها من جوهر الديانة

---

(1) المرجع السابق،.

(1) سليم مطر: ملف الثقافة اليهودية، مرجع سابق .

العراقية: عقيدة تموز المخَّلص حيثّ أن عقيدة المخَّلص كانت جوهر الديانة العراقية منذ السومريين حتى مجيء المسيحية، أي خلال أكثر من 3000عام. وهذه العقيدة باختصار، إن إله السماء (إيلو. العالي) يبعث (تموز من السومري وتعني الابن المنبعث أو المخَّلص)[1]. ابنه، أو روحه أو قوى خصبه إلى الأرض (عشتار) لكي يخصبها، وينشر الحياة لدى البشر، وهذا يحصل عادة في مطلع الربيع (21 ابريل) وهو بداية السنة العراقية، ثم يغيب عند أول الصيف والجفاف (شهر يونية) حيث يظل يعاني في (ظلمات العالم السفلي) من أجل العودة إلى البشر، ومنحهم الخصب، وتظل (عشتار. آلهة الأرض والخصب الأنوثي) تكافح كل العام، وتدخل العالم السفلي وتقنع آلهة الموت بتحرير (تموز) الذي يعود من جديد لكي يخصب الأرض ويعيد الحياة إلى البشر لهذا فإن العراقيين كانوا يصَلون طيلة العام من أجل (عشتار) لكي تعينها الآلهة وتتمكن من العودة بـ (تموز) المخلص مانح الخضرة والحياة.

إن (عقيدة المنقذ . المهدي المنتظر) هذه قد تبناها اليهود أولاً بصورة مقاربة للبابليين، إذ تحول (تموز) إلى (مشيح . المسيح) المخلص، الذي سيأتي لكي ينقذ اليهود (الأرض . عشتار) من الذل والمنفى(الجفاف والقحط)[2].

لكن فيما بعد، وفي ظل حياة المنفى في بابل، تحولت هذه العقيدة على يد النبي (إشعيا الثاني550 . 540 ق.م) إلى عقيدة خلاص قومية عالمية فيها الكثير من العجب، والخيال[3].فإن المسيح المنقذ صار اليهود أنفسهم، الذين يعانون عذابات المنفى، إذ اختارهم الرب قرباناً لخلاص البشرية، وهم (شعب الرب المختار) من أجل

---

(1) إن **عقيدة المُخلص** موجودة أيضاً لدى الكنعانيين لكن بصورة مخففة، ويتحول اسم (تموز) الى (بعل أو أدوني، ادونيس: السيد)، و(عشتار) الى (عشتروت) ينظر: فراس السواح: مغامرة العقل الأولى، مرجع سابق ص272.

(2)لاحظ أن عيد الفصح المسيحي، أي يوم قيامة السيد المسيح من صلبه، هو تكرار لعودة تموز من موته، وأيضاً يصادف (المنقلب الربيعي!) وهو عيد زكموك عند السومريين واجيتو الحج عند البابليين والأشوريين ويمثل عندهم انبثاق الخضرة، والربيع وانتشار الخصب ويأتي في الأول من شهر نيسان (إبريل) بحسب التقويم العراقي القديم.. وتقول حكايته عن الربيع أن يتحرر تموز آله الخصب الذكوري من قبره في ظلمات الأرض ليظهر إلى السطح، ويخصب عشتار إله الأرض، والأنوثة فتنبثق الحياة، ويظهر الربيع.. وتؤكد مصادر تاريخية أخرى.. إن طقوسه الاحتفالية تتواصل لعشرة أيام، وتقام خلالها الصلواتـ والقرابين ويقدم الملك تقريراً عن أعماله، ومنجزاته عن السنة المنصرمة ويطلب من الإله مردوخ المغفرة من الذنوب والآثام.انظر :السابق ص285.

(2) سفر أشعيا (40 – 55).

إنقاذ العالم:" **إني قد جعلتك نوراً للأمم لتكون خلاصي إلى أقاصي الأرض**"[(1)]. وأن الرب قد عاقبهم بالمنفى لأنهم ما كانوا أمناء لتلك الرسالة، وأن خلاصهم يكمن في العودة إلى (الأرض الموعودة أورشليم) لكي تعود الحياة من جديد إلى العالم أكمله، وينهض النور الأزلي وتحج كل الأمم إلى المدينة المقدسة لعبادة الرب:" **فأنكم بفرح تخرجون وبسلام ترشدون والجبال والتلال تندفع بالترنيم أمامكم وجميع أشجار الصحراء تصفق بالأيدي... ويكون ذلك للرب اسماً وآية أبدية..**" [(2)].علماً بأن هذه النبوءة تتحدث عن (رجل مخلص)، لهذا فقد فسرها المسيحيون فيما بعد بأنها تتحدث عن مجيء (المسيح المخلّص)، بينما أصر اليهود على أنها تتحدث عن (اليهود) أنفسهم كمخلّصين للبشرية[(3)]. وقد عزز التلمود هذه الفكرة، أنه في عصر الخلاص (المشيحاني) سيصبح كل الناس عبيداً لجماعة إسرائيل[(4)]؛ لهذا، يحق القول، إن كان جوهر الإسلام، والمسيحية، العمل الصالح في الحياة الدنيا من أجل استحقاق ملكوت السماء، والجنة الموعودة، فإن جوهر اليهودية هو تقبل العذاب من أجل بلوغ (ملكوت الأرض الموعودة . أورشليم)**!!** [(5)].

إن تجربة المنفى البابلي حددت منذ البدأ جوهر التوراة، وأخلاقيتها، والكاتب الإسرائيلي (إسرائيل شاحاك) لخص تاريخ الأخلاق اليهودية كالتالي: من ناحية كره كل الناس غير اليهود (غيويوم– العوام) وخصوصاً الفلاحين لأنهم النقيض التام للمنفيين بسبب ارتباطهم المباشر، والدائم بالأرض كذلك التقرب من الحكام، والمتنفذين، والأغنياء، والتقرب لهم مهما كانوا أجانب، وغرباء عن اليهودية، ودعم طغيانهم ضد شعوبهم حسب (شاحاك) هذه خصال تاريخ الجماعات اليهودية في كل مكان، وزمان، مع وجود استثناءات كثيرة، لكن تبقى أقلية[(6)].

---

(1) سفر أشعيا:(49–6).

(2) سفر أشعيا (55/12–13).

(3) أديب صعب:الأديان الحية، مصدر سابق، ص1.

(4) عبد الوهاب المسيري: اليد الخفية، دار الشروق، القاهرة، 1998 ، ص27.

(5) سليم مطر: ملف الثقافة اليهودية، مرجع سابق .

(6) I .Shahak-Histoir Juive-Religion juive/Paris1994

صدر هذا الكتاب مترجماً إلى العربية بعدة طبعات تحت اسم: إسرائيل شاحاك: اليهود واليهودية، ثلاثة آلاف عام من الخطايا.

إن طبيعة اليهودية الانعزالية، والاستعلائية، وتقديس المنفى فرضت على اليهود دوراً محدداً في التاريخ، هو دور (وظيفي) أي دور الوسيط، والمساعد الذي يقوم بأعمال ضرورية للمجتمع لكنها غير مقبولة اجتماعياً[1].

تأثر اليهودية بالتيار العرفاني :

إن اليهودية لم تبق معزولة عن التيار العرفاني الذي اكتسح منطقة المشرق بعد أن حل محل العقائد الدينية السابقة، واستوعب العقائد الآسيوية واليونانية، وقد لعبت الجالية اليهودية في الإسكندرية دوراً مهماً في هذا النشاط العرفاني الصوفي الفلسفي، منذ القرن الثالث ق.م ؛ فبعد أن اكتملت كتابة التوراة (أسفار موسى) في بابل في مطلع القرن الثاني ق.م، ثم ترجمته عام150 ق.م إلى اللغة اليونانية في الإسكندرية (الترجمة السبعينية)، أغلق ما يسمى بباب الوحي واتخذت التوراة شكلها النهائي لكن حركة البحث، والاجتهاد استمرت خصوصاً في الإسكندرية بتأثير العرفانية المشرقية، والفلسفة اليونانية، فظهرت الأسفار، والكتابات الجديدة التي منحت بعداً توحيدياً روحياً لليهودية،مثل(سفر أخنوخ الأول القرن ق.م)و(سفر عزرا الرابع القرن الأول م). و(كتاب اليوبيليات القرن1 ق.م) و(وصايا الأسباط الاثنى عشر القرن1 م) وكتب عديدة من أشهرها (نصوص قمران)[2]وقد جهد هذا التيار الروحاني العرفاني، إلى إصلاح النواقص الكبيرة في اليهودية كالتالي:

- تخطي محدودية الرب (يهوه) الذي كان خاصاً باليهود، واعتبار الله رباً واحداً للخليقة جمعاء وهو معني بخلاص الإنسان من عذابه، وهذا يعني التخفيف من التعصب الديني، والعرقي، والتقرب من المفهوم الإنساني الشمولي.

- تبني فكرة الشيطان الكوني المسئول عن إغواء الإنسان، ودفعه للخطيئة، واعتبار التاريخ بغاية كبرى هي الخلاص من الشر والصعود إلى ملكوت السماء والنور.

- الإيمان بفكرة القيام، ويوم الحساب، والجنة والنار، وتوضيح فكرة المخَّلص (المسيح المنتظر).

---

(1) عبد الوهاب المسيري: اليد الخفية، مصدر سابق، ص319

(2) فراس السواح :الرحمن والشيطان، دار علاء الدين، دمشق 2000، ص154.

• إعادة النظر بالموقف الأخلاقي الغامض في اليهودية حيث احتوت التوراة على أحداث، ومواقف لا أخلاقية، وغير إنسانية نسبت إلى الأنبياء، والشخصيات المقدسة مثل أفعال: الزنا، والزنا بالمحارم، وإبادة غير اليهود، والخداع، والغيرة، وغيرها الكثير من الأمور اللا أخلاقية، وقد قام هذا التيار الجديد بالتأكيد على مسؤولية الإنسان الأخلاقية، وعدالة الإله، وجعل الأخلاق، والإنسانية ضرورية مثل الطقوس والشريعة[1].

وقد بلغ هذا التيار العرفاني الروحاني ذروته في العصر الإسلامي مع تكون (مذهب القبالا) الصوفي، الذي أصبح مصدراً أساسياً معارضاً للتلمود.

لقد تجلى هذان التياران، الدنيوي والروحاني، في ظهور طائفتين في فلسطين:

– **الفريسون:** وهم متشددون ويسمون بالأحبار، أو الربانيين، هم زهاد رهبانيون لا يتزوجون، لكنهم يحافظون على مذهبهم عن طريق التبني، يعتقدون بالبعث، والملائكة، وبالعالم الآخر[2].

– **الصديقون:** وهي تسمية تهكمية إذ تعني عكسها فهم ينكرون البعث، والحساب، والجنة، والنار، ولا يعترفون بالتلمود، كما ينكرون الملائكة، والمسيح المنتظر، وهم التيار الدنيوي الواقعي، وقد شكلوا طبقة الأغنياء[3].

المصادر اليهودية الرئيسة للتصوف:

يعد الزوهار المصدر الرئيس للتصوف اليهودي وهو بدوره تفسير باطني للتوراة وغيرها من الكتب المقدسة، باعتبارها مصادر أصلية و يقصد بها تلك التي لها وجود حقيقي متعارف عليه في التراث اليهودي مثل :

1- **الترجوم** (المصدر اللغوي) : وهو الترجمة الآرامية للتوراة، والذي يعرف بترجوم انقلوس أحد أهم الترجمات المعتمدة للتوراة وقد تم الاستفادة من هذه

---

(1) السابق ص156–157.

(2) عبدالوهاب المسيري:اليد الخفية، مصدر سابق، ص 23 .25.

(3) وكان الخلاف من الحدة بين الطرفين، إن قامت حرب أهلية بينهم ولم تخمد إلاّ على يد الرومان عام 63 ق.م.

الترجمة في الفلسفة اليهودية العربية علي اعتبار أنها ترجمة مجازية لا حرفية وقد أشار الزوهار صراحة لهذه الترجمة في أكثر من موضع ، وإذا ما كانت الترجمة الآرامية للتوراة قد قام بها العديد من مفكري اليهود من أجل إثبات التفسير المجازي للتوراة ،إلا أن الزوهار أعاد توظيف هذه الترجمة من اجل استنباط العديد من العقائد التي تتفق مع اتجاهه العام مثل استنباط ثنائية السكوت العلوي والسكوت السفلي [1].

2- **المدراش**[2]: وقد تم توظيف مثل هذا المصدر علي أكثر من مستوي ليخدم عدة غايات مختلفة، وقد ظهر ذلك أولا في أن الزوهار قد اتبع نفس تقسيمات المدراش للتوراة إلي عدة فصول واستخدم نفس عناوين هذه الفصول ، فنجد علي سبيل المثال انه تم تقسيم الجزء الثاني من الزوهار إلي الفصول التالية: حياة سارة، مواليد، وخرج ، وأرسل ، وسكن، وحدث ، ثم تقدم ، وعاش، وكل هذه التقسيمات مرتبط بآيات في سفر التكوين مثل :"وكانت حياة سارة مائه وسبعه وعشرين سنة "[3]

---

(1) يحيي ذكري محمد إسماعيل :مفهوم العهد في الزهر دراسة في التصوف اليهودي،رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ،جامعة القاهرة ،2001 م ، ص22.

(2) «**مدراش**» من الكلمة العبرية «درش»، أي «استطلع» أو «بحث» أو «درس» أو «فحص» أو «محص». والكلمة تُستخدَم للإشارة إلى ما يلي:

1 . منهج في تفسير العهد القديم يحاول التعمق في بعض آياته وكلماته، والتوسع في تخريج النصوص والألفاظ، والتوسع في الإضافات والتعليقات، وصولاً إلى المعاني الخفية التي قد تصل إلى سبعين أحياناً. وهناك قواعد مدراشية للوصول إلى هذه المعاني. ومثل هذه المعاني الخفية، تُذكَر دائماً مقابل الـ «بيشات» أي «التفسير الحرفي».

2 . ثمرة هذا المنهج من الدراسات والشروح، فالتلمود مثلاً يتضمن دراسات مدراشية عديدة، بمعنى أنها اتبعت المنهج المدراشي. ولكن هناك كتباً لا تتضمن سوى الأحكام والدراسات والتفسيرات المدراشية المختلفة ويُطلَق عليها أيضاً اسم «مدراش»،ويُفترَض أن مثل هذه الكتب المدراشية تعود إلى تواريخ قديمة شأنها في هذا شأن كل فروع الشريعة الشفوية. ويبدو أن العلماء المعروفين باسم الكتبة (سوفريم)، بدأوا بعد العودة من بابل بزعامة عزرا، في دراسة التفسيرات التقليدية للشريعة المكتوبة، وأخذوا يطبقونها على الاحتياجات اليومية للجماعة اليهودية، واستمروا في ذلك حتى بداية ظهور معلمي المشناه (تنائيم)، يتكون التلمود أساساً، وخصوصاً المشناه، من أحكام مدراشية، ولكنه يتميَّز عن هذه الكتب المدراشية بأنه عبارة عن مناقشات وشروح تدور حول نصوص الأحكام الشرعية الناتجة من التفسير المدراشي بحيث لا يستند الشرح والتفسير إلى نصوص العهد القديم استناداً تاماً. فالمشناه تقدم الشريعة مجردة دون الأصل التوراتي، على عكس المدراش الذي يفسِّر نصاً أو نصوصاً توراتية، والاستخدام الشائع الآن لكلمة «مدراش» هو المدراش بالمعنى الأجادي أو القصصي الوعظي.

ويُقال إن يهود المدينة في عصر البعثة المحمدية كانوا لا يعرفون التلمود وكانوا يتداولون فيما بينهم بعض كتب المدراش انظر : عبدالوهاب المسيري:موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، مرجع سابق،المجلد الخامس، الجزء الثاني، الباب السادس، مدخل: كتب التفسير (مدراش) .

(3) سفر التكوين23- 1.

"هذه مواليد إسحاق"[1] "فخرج يعقوب من بئر سبع" [2]وقد اعتبر البعض أن مثل هذا التقسيم للتوراة كان من اجل الاستخدام العملي في الكنيس ،ويمكن القول أن هذا التقسيم للزوهار هو ما دفع البعض إلي تسميته عند ظهوره "بمدراش رابي شمعون بن يوحاي" ويمكن رصد العديد من الآراء التي اخذها الزوهار من المدراش صراحة وذلك استنادا إلي صيغة محددة:" ولقد قال معلمينا أن ..." والمقصود بلقب معلمينا في هذا السياق هم علماء المدراش .ويمكن البرهنة علي ذلك بالأمثلة الآتية:

أ – لقد اقر معلمونا أن ارض إسرائيل تختلف في طبيعتها عن جميع الأراضي الاخري ويتمثل هذا الاختلاف في أنها لا يمكن أن تحل عليها روح أخري ، أو أن يشرف عليها ملك ما ، لأنها تخضع للرب ذاته [3].

ب– لقد اثبت معلمونا أن سبب تمايز موسي عن سائر الأنبياء ، انه قد استقي نبوءته من مرآة لامعة جلية في حين أن سائر الأنبياء قد استقوها من مرآة قاتمة [4].

ج– لقد تساءل معلمينا لماذا عندما صعد موسي إلي جبل سيناء تجلي له الرب في صورة نار مشتعلة، فلماذا تجلي الرب في مثل هذه الصورة والتي ترمز بطبيعتها إلي القسوة والعنف؟ [5]

د– هناك علاقة أعمق وأكثر دلاله بين الزوهار والمدراش هي علاقة التأويل أي تأويل الزوهار للمدراش تأويلا باطنيا خاصة وان علماء المدراش قد فسروا الآية:" فأدخلها اسحق إلي خباء سارة أمه وأخذ رفقة فصارت له زوجة وأحبها" [6]علي أنها تشير إلي انه بوجود رفقة فقد تجلت السكينة علي بيت إسحاق إلا أن الزوهار لم يكتف بمثل هذا التأويل ، بل قدم تأويلا مغايرا يتفق في الوقت نفسه مع أحد مفاهيمه الأصلية، وهو مفهوم الثنائية،ثنائية المذكر والمؤنث حيث أكد أن الأم

---

(1) سفر التكوين25–9.

(2) سفر التكوين28–1.

(3) the zohar,vol.ip.198

(4) مدراش ربه ، لاويين ص145

(5) the zohar,vol.ip71

(6) سفر التكوين 24–67

العلوية لا توجد إلا في جماعة، خاصة عندما يرتبط المذكر بالمؤنث ، وبالتالي تسكب عليهم هذه الأم البركات.

إن استلهام الزوهار من المدراش كان على عدة مستويات الأول في الشكل والمضمون, في الشكل حيث اتبع الزوهار نفس تقسيم المدراش إلى عدة أقسام وفصول منفصلة , وفى المضمون في التأكيد على العديد من العقائد التى تؤكد على خصوصية ارض إسرائيل وتمايزها على سائر الأراضي , وعلى خصوصية نبوة موسى وتميزها على سائر النبوات، وتمثل المستوى الثاني في استلهام الزوهار للمدراش في حل العديد من الإشكاليات المتعلقة بآيات العهد القديم وخاصة التعارض بينها، وأخيرا يأتي المستوى الثالث الذي يتمثل في علاقة التأويل, اى تأويل الزوهار, لتفسير المدراش لبعض آيات العهد القديم [1].

3-**المشنة**[2]:- ذكرت المشنة صراحةً في أكثر من موضع وبألقابها المختلفة , فمره بمعناها الاصطلاحي المشنة , وأخرى باعتبارها نصاً غير مدون "التوراة

---

(1) يحيي ذكري محمد إسماعيل :مفهوم العهد في الزهر دراسة في التصوف اليهودي،رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ،جامعة القاهرة ،2001 م ، ص24.

(2) **المشنة** «مشناه» كلمة عبرية مشتقة من الفعل العبري «شنَّاه» ومعناه «يُثنِّي» أو «يكرر». ولكن، تحت تأثير الفعل الآرامي «تانا»، صار معناها «يدرس». ثم أصبحت الكلمة تشير بشكلٍ محدد إلى دراسة الشريعة الشفوية، وخصوصاً حفظها وتكرارها وتلخيصها. والمشناه مجموعة موسوعية من الشروح والتفاسير تتناول أسفار العهد القديم، وتتضمن مجموعة من الشرائع اليهودية التي وضعها معلمو المشناه (تنائيم) على مدى ستة أجيال (10. 220)،وتُعَدُّ المشناه مصدراً من المصادر الأساسية للشريعة، وتأتي في المقام الثاني بعد العهد القديم الذي يُطلَق عليه لفظ «مقرا» (من «قرأ») باعتبار أن العهد القديم هو الشريعة المكتوبة التي تُقرأ. أما المشناه، فهي الشريعة الشفوية، أو التثنية الشفوية، التي تتناقلها الألسن، فهي إذن تكرار شفوي لشريعة موسى مع توضيح وتفسير ما التبس منها، ولابد من دراسته (وتسمية العهد القديم بالمقرا حدثت في العهد الإسلامي، وهي صدى للتفرقة بين القرآن والسنة، فظهرت التفرقة بين المقرا والمشناه). ولهذا، فإن المشناه تُسمَّى «الشريعة الثانية». وتتضارب الآراء المتصلة بمدلول كلمة «مشناه»، فيذهب البعض إلى أنها تشير إلى الشريعة الشفوية بكاملها (مدراش وهالاخاه وأجاداه). ولكن الرأي الآن مستقر على أن المشناه تعني الهالاخاه فقط، حتى أن كلمتي «مشناه» و«هالاخاه» أصبحتا مترادفتين تقريباً. ومع هذا، فإن هناك فقرات أجادية في نهاية كل قسم من أقسام المشناه. وعلى أية حال، فإن فقرة واحدة تتضمن سنة واحدة في الفقهيات التشريعية يُسمَّى «مشناه» وجمعها «مشنايوت». أما كتاب المشناه ككل فيشار إليه أحياناً بأنه «هالاخاه» وجمعها «هالاخوت».وقد ظلت المشناه أهم كتب اليهود المقدَّسة والمصدر الحقيقي للتشريع والأحكام والفتاوى، رغم كل الأبهة الشعائرية التي تحيط بالعهد القديم. ومع هذا، فإن المشناه بدأت تفقد منذ القرن السادس عشر، مثلها مثل باقي أقسام الشريعة الشفوية ككل، شيئاً من أهميتها ومركزيتها، وذلك مع شيوع القبَّالاه وازدياد نفوذ القبَّاليين الذين أخذوا يهاجمون الحاخامات ويُصدرون الفتاوى استناداً إلى الزوهار وأقوال لوريا. وكان القبَّاليون يشيرون إلى المشناه بأنها «مقبرة موسى» ويشيرون إلى الحاخام بلفظ «الحمار المشناوي» (لأنه ينوء تحت طقوس المشناه ويكررها أحياناً دون فهم لمعناها) انظر عبدالوهاب المسيري ،موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ،مرجع سابق ،المجلد الخامس، الجزء الثاني، الباب السادس، مدخل: المشناه

الشفوية" كمقابلة لتوراة أخرى هي التوراة المكتوبة كما تمت الاشاره إليها بصوره غير مباشره من خلال ذكر اثنين من أهم أعلامها على الإطلاق هما هيلل وشماى [1] واعتبر أن المناظرة بينهما كانت هي المسؤوله بشكل مباشر عن ظهور مثل تلك التوراة والتي تتمثل أهميتها في تحديد ما هو مصرح به وما هو المناسب وما هو الطاهر.

ولم يكتف"الزوهار" كعادته بمجرد ذكر المشنة أو أهم أعلامها بل حاول التماس التأويل الباطني لبعض فقراتها , حتى يستخرج منها كل ما يتفق مع اتجاهه العام مثل:-

أ- تأويله للأعياد اليهودية[2] الأسابيع, عيد رأس السنة,عيد المظال, واعتبر أن هذه الأعياد ترمز إلى الأباء الاربعه, إبراهيم, واسحق, ويعقوب, مضافاً إليهم داود

ب- محاولة تفسير إحدى المناظرات التى وقعت بين كل من مدرسة هيلل وشماى فيما يتعلق بتلاوة أية الشمع (السمع) (اسمعي يا إسرائيل) [3], خاصة وأن شماى اعتبر انه لابد على من يريد أن يتلو هذه الآية أن يتلوها واقفا وتم تبرير ذلك بأنه في أثناء المساء تكون الهيمنة والسيطرة والفاعلية للجانب الأنثوي في حين أنه في الصباح يجب أن تتلي هذه الآية في وضع الجلوس لأن الهيمنة والسيطرة والفاعلية تكون للجانب الذكوري ، و هذا التمييز هو الذي اعتمدته مدرسة شماي أما مدرسة هيلل فلم تضع مثل هذا التمييز، وقد اعتمد الزوهار واستخلص كعادته وعبر تأويله للمسنة العديد من أفكاره الرئيسية وقد تمثل ذلك في تأكيده علي البنية الرباعية ، تلك البنية التي تعد في الأساس انعكاسا للاسم الإلهي الرباعي المقدس يهوه حيث يشير كل حرف من حروف الاسم إلي أحد الأباء بعينه [4].

---

(1) the zohar,vol.ip73'106.

(**2**) Ibld.,vol.IIp.304.

(**3**) Ibld.,vol.III.p.401.

(4) يحيي ذكري محمد إسماعيل :مفهوم العهد في الزهر دراسة في التصوف اليهودي،رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ،جامعة القاهرة ،2001 م ، ص25.

4- **التلمود** : كلمة عبرية تعني الدراسة وهو كتاب تعليم الديانة اليهودية، وبتعريف آخر هو تدوين لنقاشات حاخامات اليهود حول الشريعة اليهودية ويعد التلمود أهم المصادر المعلنة للتصوف اليهودي وقد ساهم بشكل كبير في تشكيل الزوهار الذي استلهم العديد من المعلومات والأفكار الرئيسية من التلمود وتتمثل تلك الأفكار التفصيلية في ذلك الكم الهائل من المعلومات التي نقلت كما هي من التلمود مباشره ومنها علي سبيل المثال : اعتبار أن الأباء الثلاثة يرمزون إلي الصلوات الثلاثة فإبراهيم يرمز ويشير إلي صلاة الصبح واسحق إلي صلاة الظهر ، ويعقوب إلي صلاة العشاء كما تم الإلحاح علي عصر بعينه وهو عصر الشهداء أي ذلك العصر الذي عاني فيه اليهود من الاضطهاد الروماني وكان علي رأس هؤلاء الرابي عقبيا وزملاؤه وحواريوه كما ظهرت رؤية تلمودية كاملة تتعلق بإرضاع سارة لأطفال الجيران من اجل إثبات أنها فعلا أم إسحاق والذي أنجبته في مثل هذا السن المتقدمة كما يمكن رصد العديد من الأفكار التي تعتبر مجرد المادة الخام التي قام الزوهار بالاستفادة منها واعد صياغتها مثل الاختلاف حول عدد السماوات والأفلاك التي تم تحديدها في التلمود كالتالي : ويلون ، شحقيم ، زبل ، مكون ، قلون ،عربوت ، واعتبرت هذه السماء الأخيرة هي الأعلى في الدرجة والمرتبة، والتي بها كنوز الحياة والسلام والبركة وأرواح الصديقين، والندي الذي سوف يحيي به الرب الموتى كما يوجد بها أيضا جميع الملائكة ، وعرش الرب ، وان الرب ذاته بوصفه الإله الحي يكون موقعه فوق كل هؤلاء حيث يقطن هو في "العربوت" استنادا للآية "اعدوا الطريق للراكب في القفار(العربوت)"[1]وبالرغم من تحديد هده الأفلاك السبعة، الا أنه قد تم رصد فلك ثامن يقع علي رؤوس الحيوانات الأربعة"وعلي رؤوس الحيوانات شبه مقبب كمنظر البلور الهائل منتشرا عل رؤوسها من فوق " [2]

ويمكن رصد بزور وإرهاصات الثنائية (الظاهر / الباطن) حيث أصبح الفلك الثامن يشير إلي عال الفيض نزلك العالم الخفي الذي لا يمكن إدراكه وعلي ذلك أيضا ظهر أحد الأسماء الإلهية الدالة علي ذلك وهو اسم (أيل / عليون) العلي في حين تشير الأفلاك السبعة إلي عالم الخلق بكائناته المختلفة ويظهر في هذا السياق الاسم الإلهي الدال علي الإله الحي وتعتبر هذه الثنائية من أهم ثنائيات التلمود علي

---

(1) مزامير 68-4.

(2) حزيقال1-22 .

الإطلاق وهي ثنائية "معسه براشيت" و "معسه مركبة " هامش حيث يشير المصطلح الأول إلي عالم الخلق في حين يشير الثاني إلي عالم الفيض وارتبط الأول بسفر التكوين وارتبط الثاني بسفر حزيقال وقد ترددت هده الثنائية بوضوح في الزوهار واعتبرت الثنائية الأصيلة واحدي المسلمات الرئيسية ثم جاء تحليل المركبة المقدسة ليشير إلي الأباء الثلاثة إبراهيم وإسحاق ويعقوب ثم تم إضافة داود لهم علي اعتبار أن هذه المركبة لابد أن تتكون من أربعة أوتاد أو قوائم [(1)].

إن التصوف اليهودي، استمد قدرته على التأثير، كمصدر ميراثي ديني أساسي لليهود معتمدا في أسفاره خلاصة ثلاث عقائد إنسانية كبرى:

1- الميراث العقائدي الشفهي البدائي المعبر بصورة صادقة، وساذجة عن أولى معالم الإيمان الديني لدى البشر، وقد عبَّرَت الأسفار الخمسة (التوراة) بصورة صادقة، وأدبية ناجحة عن هذا الإيمان البدائي.

2- الديانة العراقية القديمة المسجلة بكل أساطيرها الكبرى مثل الخليقة، والطوفان، والجنة المفقودة، والمهدي المخلص، وغيرها الكثير، بالإضافة إلى ثقافتها، ورموزها، وشرائعها.

3- الديانة العرفانية بكل تنوعاتها الروحانية، والفلسفية، والتي بلغت ذروتها في التصوف اليهودي (مذهب القبالا).

لقد نجحت أسفار (اليهود) بصورة أدبية فائقة بالتعبير عن نهاية المرحلتين العقائدية البدائية، والحضارية العراقية، والمشرقية، وميلاد مرحلة دينية جديدة: (الديانة السماوية التوحيدية).

إن الصدفة (الظروف) التاريخية مكَّنَت اليهودية من معايشة آخر زفرات العقيدة البدائية البدوية الموروثة منذ حقبة عميقة بقدمها، ثم آخر زفرات الحضارة العراقية، وعموم الحضارة المشرقية التي دامت أكثر من ثلاثة آلاف عام شبه مستمرة، وقد تمكنت التوراة بكل براعة، ومأساوية أن تسرد خلاصة هذه العقائد، والحضارات التاريخية التأسيسية الكبرى، بكل آلام احتضارها، ولعناتها، ونكساتها، وخياناتها.

---

(1) يحيي ذكري محمد إسماعيل :مفهوم العهد في الزهر دراسة في التصوف اليهودي،رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ،جامعة القاهرة ،2001 م ، ص26-27.

إن الصور المأساوية الفنية العميقة، السائدة في نصوص التوراة، تعَّبر عن معاناة اليهود ، وشعورهم بالإثم لأنهم خانوا ذواتهم، ولم يتمكنوا من الحفاظ على سلطانهم، وانحدروا إلى أسفل مراتب الانحطاط[1].

وكان ذكاء النخب الصوفية اليهودية، إنهم سرعان ما أدركوا قصور يهودية التوراة عن مجارات التطورات العقائدية الكبرى الجارية في المنطقة في القرنين الأخيرين السابقين للميلاد، لهذا سارعوا إلى تبني (العرفانية) التي بلغت ذروتها بمذهب (القبالا) معتبريها جزءاً حيوياً وأساسياً من الديانة، بحيث أن الكثيرين ينسبون خطأ إلى التوراة، الكثير من التصورات الروحانية السماوية الموجودة في العرفانية في هذا الجمع الثنائي الخلاّق يكمن سلطان التصوف في اليهودية.

ومن هنا نستطيع الجزم أن المجرى الرئيسي للديانة اليهودية كان المستنقع الذي صبت فيه كل روافد، ومجاري الحضارات الشعوبية، والوثنية القديمة، وأن هذا المستنقع لم يعد أبداً نقياً، وابتعد كثيراً عن صفاء التوحيد، ومن هذا المستنقع الآسن نهلت الصوفية اليهودية، واستمدت كل أفكارها، ومبادئها، وتغلغل في وجدان، وشرايين الفكر الصوفي ثقافة مختلطة من الوثنية، والبدائية، والعشائرية، واختلط فيها ماهو بشري مع ماهو سماوي بشكل حلولي تجسد في الفكر، والثقافة القبالية التي كرست لأسطورة الشعب المختار.

(1) أحمد سوسه: ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، المؤسسة العربية، بيروت2001م، ص 193- 194.

الباب الثاني: التطور الديني للتصوف اليهودي

اشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول

القبالا النشأة والأهداف وأهم المفكرين.

الفصل الثاني

مرحلة القبالا اللوريانية

الفصل الثالث

الحركات المنبثقة عن التصوف اليهودي

(الشبتائية،الفرانكية، الحسيدية)

الفصل الأول

القبالا النشأة والأهداف وأهم المفكرين

القبالا (קבלה) [1] معناها: (القبل والسابق، أي الموروث) وهو الاسم الذي يطلقه اليهود على تيار(العرفانية والتصوف) لديهم، ومصادر التصوف اليهودي ترتكز على كتابين مهمين الأول كتاب (نشيد الإنشاد) في العهد القديم، والثاني كتاب (الزوهار . الاشراق أو الظهور) (זוהר) (المظهر والمفخرة)، وينسب تأليف هذا الكتاب إلى الكاهن العراقي (شمعون بن يوحاي أحد علماء المشنة –الجيل الخامس) من القرن الثاني للميلاد، ولكن المؤرخين يعتقدون بأنه من تأليف موسى الليوني الغرناطي (1250–1305)، في الأندلس، ويُعرف جرشوم شالوم القبالا بأنها تتضمن مجموعة من الأفكار المنفصلة غير المترابطة والتي تصل في بعض الأحيان إلي حد التعارض الكامل فبالرغم من أن المؤمنين بتلك الأفكار كانوا يختلفون في تفسير المضامين الفلسفية التي تناولتها القبالا إلا أنهم ينظرون إلي القبالا في إطارها العام علي أنها نوع من التأملات الصوفية في اليهودية[2].

الزوهار(הַזּוֹהַר) أو الزوهر" זֹהַר "

الزوهار هو المشنة الباطنية تلك التي حاولت بدورها التماس تفسير صوفي صوري للعالم، و ثمة علاقة مباشرة بين الزوهار والمشنة الي الحد الذي يمكن معه الزعم بان الزوهار في مجمله لايعدو كونه مجرد محاولة لتأويل "شريعة المواريث" تأويلا باطنيا ،ويمكن أن يضاف إلي ذلك أن كلاهما قد أفرد اهتماما خاصا لمفهوم

(1) قبالا كلمة عبرية مشتقة من الفعل قافل بمعني قبل واستلم وتشير دائرة المعارف البريطانية (المجلد الرابع ص 526) بان نفس التسمية كانت تطلق علي جزئي الأنبياء والمكتوبات في العهد القديم كما كانت تطلق علي التلمود أيضا كانت تطلق علي الأشياء المتطورة من التصوف إلي جانب مدلولها علي الباطنية انظر: هدي درويش: عقيدة القبالة ودورها فى تشكيل العقلية اليهودية العنصرية المعاصرة،رسالة المعرفة ، العدد الثانى ، السنة الثالثة عشر ، ٢٠٠٤ م ،مركز تنمية البحوث ، القاهرة ،ومجلة الدراسات الشرقية ، العدد الثالث والثلاثون ، يوليو ٢٠٠٤ م.

(2) Scholem .G:Kbbalah: An Essay in the Ency .judica vol.10,p556

العهد ، خاصة عهد الختان بالذات أو العهد الإبراهيمي[1] وقد جاء ذلك واضحا في نصوص الزوهار مثل " لقد تم الإقرار في مشنتنا الباطنية أن ...الخ " أو" تم الإقرار في مشنتنا السرية أن ... الخ " أو "في تعاليمنا الباطنية أو الصوفية أن..." ولعل الأكثر دلالة يكمن في استخدامه لاحدي تلك الصياغات الواردة في المشنة الفقهية بحرفيتها مثل "إن هذه قاعدة عامة تقر بان... الخ "[2] وإذا ما كان الزوهار هو –في الغالب– مجرد شروح وتعليقات علي تلك القواعد الفقهية العامة فإنه يعد في ذلك مثل المشنة التي تعد في مجملها مجرد شروح وتعليمات علي تلك القواعد الفقهية العامة .

وإذا ما كان مفهوم مثل (الهالاخاة ההלכה) "القانون أو الشريعة" يعد المفهوم المحوري والرئيسي في المشنة الفقهية باعتبارها ممثلا وراصدا للقواعد والأحكام العامة التي تنظم شئون المرء والمجتمع فانه يمكن القول أن هناك مفهوما مقابلا لمثل هذا المفهوم وهو مفهوم العهد (بريت ברט) في المشنة الباطنية ذلك المفهوم المحوري الذي جاء ليحدد القوانين الصارمة التي تحكم الكون الأكثر رسوخا واستقرارا وثباتا والعلاقة بينهما جلية فإذا ما كان الزوهار يهدف في مجمله إلي إثبات أن الإنسان بوصفه الكون الأصغر يخضع لقوانين محددة وصارمة فان ذلك ينسحب أيضا علي العالم بوصفه الكون الأكبر الذي يخضع بدوره لنفس المنطق إن كل من العالم والإنسان يخضعان لضرب من الحتمية الصارمة عبر الشريعة و العهد[3].

والزوهار عموما كلمة عبرية تعني «الإشراق » أو «الضياء». وكتاب الزوهار أهم كتب التراث القبَّالي، وهو تعليق صوفي مكتوب بالآرامية على المعنى الباطني للعهد القديم، ويعود تاريخه الافتراضي، حسب بعض الروايات، إلى ما قبل الإسلام والمسيحية، وهو ما يحقق الاستقلال الفكري (الوهمي) لليهود، وكتابته بلغة غريبة، تحقق العزلة لأعضاء الجماعات اليهودية الوظيفية، ويُنسَب الكتاب أيضاً إلى أحد

---

(1) سعيد بن يوسف الفيومي:،المواريث ،تحقيق ومقارنة عبدالرازق احمد قنديل، دار الهلال ،القاهرة 1984 ، ص144.

(2) The Zohar, Translated By, Sperling ,H &Simeon .s ,in Five vols ,the soncino ,press ,London. Jerusalam .New York, third published1970.lpp.177,216,301,305315,vol.IIpp.8,37,163,268,vel.IVpp174 .

(3) يحيي زكريا محمد اسماعيل: مفهوم العهد في الزوهار دراسة في التصوف اليهودي،رسالة دكتوراه، كلية الآداب ،جامعة القاهرة 2001 ،ص2.

معلمـي المشـناه (המשנה) الحاخـام [1] شـمعون بـن يوحـاي (القـرن الثـاني)، وإلـى زملائه، ولكن يُقال إن موسى دي ليون (مكتشف الكتاب في القرن الثالث عشر) هو مؤلفه الحقيقي أو مؤلف أهم أجزائه، وأنه كتبه بين عامي 1280 و1285 م ، مع بدايات أزمة يهود إسبانيا[2].

والزوهار في أسلوبه يشبه المواعظ اليهودية الإسبانية في ذلك الوقت، وبعد مرور مائة عام على ظهوره أصبح الزوهار بالنسبة إلى المتصوفة في منزلة التلمود بالنسبة إلى الحاخاميين ، وقد شاع الزوهار بعد ذلك بين اليهود حتى احتل مكانة أعلى من مكانة التلمود، وخصوصاً بعد ظهور الحركة الحسيدية.

ويتضمن الزوهار ثلاثة أقسام هي: الزوهار الأساسي، وكتاب الزوهار نفسه، ثم كتاب الزوهار الجديد، ومعظم الزوهار يأخذ شكل تعليق أو شرح على نصوص من الكتـاب المقـدَّس، وخصوصـاً أسـفار موسـى الخمسـة، ونشـيد الأنشـاد، وراعـوث، والمراثي، وهو عدة كتب غير مترابطة تفتقر إلى التناسق وإلى تحديد العقائد، ويضم الزوهـار مجموعـة من الأفكـار المتناقضـة والمتوازيـة عن الإلـه وقوى الشـر والكـون، وفيه صـور مجازيـة ومواقف جنسية صـارخة تجعلـه شبيهاً بالكتب الإباحيـة وهو مـا سـاهم فـي انتشـاره وشعبيته، والمنهج الذي يستخدمه ليس مجازياً تماماً، ولكنـه ليس حرفيـاً أيضـاً، فهـو يفتـرض أن ثمـة معنـى خصبـاً لابـد مـن كشـفه، ويفـرض المفسـر

(1) **حاخام** (הרב) كلمة عبرية معناها «الرجل الحكيم أو العاقل». وكان هذا المُصطلَح يُطلَق على جماعة المعلمين الفريسيين «حاخاميم»، ومنها أُخذت كلمة «حاخام» لتدل على المفرد. وتستخدم كلمة «حاخام» للإشارة إلى الفقهاء اليهود الذين فسَّروا كتب المدراش وغيرها من الكتب وجُمعت تفسيراتهم في التلمود «التوراة الشفوية» وجعلوها الأساس الذي تستند إليه اليهودية والمحور الذي تدور حوله. ولكن المعنى الأكثر شيوعاً هو استخدام كلمة «حاخام» للإشارة إلى القائد الديني للجماعة اليهودية الذي كان يقوم بوظيفتين: أولاهما تفسير التوراة وتطوير الشريعة الشفوية، فقد كان فقيهاً ومفتياً، تماماً مثل الحاخامات، أي الفقهاء اليهود القدامى، ولكنه أصبح، إلى جانب ذلك، القائد الديني للجماعة اليهودية مهمته الإشراف على الصلوات في المعبد اليهودي، فكان يلعب دور المرتل (حزان חזן). كما كان يقوم بشرح التوراة في كل من المعبد والبيت همدراش (المدرسة الملحقة بالمعبد)، وإصدار الفتاوى، والإشراف على التعليم الديني، ومراقبة تنفيذ الأوامر والنواهي (قوانين الطعام وإقامة شعائر السبت وغير ذلك)، وكان يحضر حفلات الختان، كما كان يقوم بكتابة عقود الزواج ودفن الموتى إلى جانب القيام بدور الخاطبة أحياناً.انظر : عبدالوهاب المسيري،موسوعة اليهود واليهودية ،مرجع سابق، ص243

(2) عبد الوهاب محمد المسيرى : موسوعة اليهود واليهودية و الصهيونية ،دار الشروق، القاهرة 1975 ،مرجع سابق ، ص 181–182 ..

المعنى الذي يريده على النص من خلال قراءة غنوصية تعتمد على رموز الحروف العبرية، ومقابلها العددي[1].

والزوهار مكتوب بأسلوب آرامي مُصطَنع، يمزج أسلوب التلمود البابلي بترجوم أونكيلوس، ولكن وراء الغلالة الآرامية المصطنعة يمكن اكتشاف عبرية العصور الوسطى، وهو كتاب طويل جداً، يتألف من ثمانمائة وخمسين ألف كلمة في لغته الأصلية.

والموضوعات الأساسية التي يعالجها الزوهار هي: طبيعة الإله وكيف يكشف عن نفسه لمخلوقاته، وأسرار الأسماء الإلهية، وروح الإنسان وطبيعتها ومصيرها، والخير والشر، وأهمية التوراة، والمشيَّحوت(**המשחות**) أو الخلاص [2].

ولما كانت كل هذه الموضوعات مترابطة بل متداخلة تماماً في نطاق الإطار الحلولي، فإن كتاب الزوهار حين يتحدث عن الإله، فإنه يتحدث في الوقت نفسه عن التاريخ والطبيعة والإنسان، وإن كان جوهر فكر الزوهار هو تَوقُّع عودة الماشيَّح، الأمر الذي يخلع قدراً كبيراً من النسبية على ما يحيط بأعضاء الجماعات اليهودية من حقائق تاريخية واجتماعية.

ويتحدث الزوهار عن التجليات النورانية العشرة (سيفيروت**סְפִירוֹת**) التي يجتازها الإله للكشف عن نفسه كما يشير الكتاب إلى هذه التجليات باعتبارها أوعية أو تيجاناً أو كلمات تشكل البنية الداخلية للإلوهية، وتُعَدُّ هذه الصورة (رؤية الإله لا باعتباره وحدة متكاملة وإنما على هيئة أجزاء متحدة داخل بناء واحد) من أكثر أفكار الزوهار جسارة، كما كان لها أعمق الأثر في التراث القبَّالي[3].

وقد ظهرت أولى طبعات الزوهار خلال الفترة من 1558 إلى 1560 م في مانتوا وكريمونا في إيطاليا، وظهرت طبعة كاملة له في القدس (1945 ـ 1958) تقع في اثنين وعشرين مجلداً، وتحتوي على النص الآرامي يقابله النص العبري، وقد

---

(1) المرجع السابق

(2) اصطلحت العبرية علي استخدام لفظ مشيحوت **המשיח** الذي عرفه الأستاذ الدكتور حسن ظاظا بأنه "المسيحانية "أو عقيدة الخلاص والإنقاذ وذلك في كتابه الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه،معهد البحوث الدراسات العربية،القاهرة 1971 ، ص128.

(3) عبد الوهاب محمد المسيرى : موسوعة اليهود واليهودية و الصهيونية ،دار الشروق، القاهرة 1975 ،مرجع سابق ، ص 181–182 ..

ظهرت ترجمات لاتينية لبعض أجزاء كتاب الزوهار (ابتداءً من القرن السابع عشر) كما تُرجم إلى الفرنسية في ستة أجزاء (1906 . 1911)، وإلى الإنجليزية في خمسة أجزاء (1931 . 1934)، ومن أشهر طبعاته طبعة فلنا التي يبلغ عدد صحفاتها ألفاً وسبعمائة صفحة[1].

و(القبالا) بشكل عام أكثر روحانية، وحرية في تفسير اليهودية وربطها بالعرفانية من تلك التي اتبعها الفلاسفة المتدينين اليهود أمثال (ابن ميمون وابن جبيرول وإبراهيم ابن عزرا[2]) وغيرهم، ومن الواضح أنها متأثرة كثيراً بتيار الإشراق الإسلامي وفلسفة (ابن عربي) لكن من أهم خصوصيات التصوف اليهودي (القبالا) أنها تميل إلى السرية والسحر والاعتقاد بما يسمونه بـ (العلم السري)، وأعداد الحروف ورموز الطبيعة وألغاز الرياضيات، ويؤمنون بأن الذات الإلهية العليا (اين سوف אינסוף) تتجلى من خلال (العوالم أو التجليات العشرة) (السفيروت סְפִירוֹת) ، ويبدو إن

---

(1) المرجع السابق ص182 ..

(2) **الحاخام إبراهيم بن مير ابن عزرا** ، عاش ما بين 1092 م و1167 م ولد في بلدة تطيلة النافارية والتي تقع اليوم ضمن ولاية نافارا في إسبانيا خلال حكم المسلمين للأندلس، وغادر أرض وطنه قبل عام 1140 م بسبب المضايقات التي كان تمارس حينها هناك على اليهود، وعاش بعدها حياة الترحال التي لا تعرف السكون، فتنقل بين شمال أفريقيا ومصر وفلسطين وإيطاليا وجنوب وشمال فرنسا وإنجلترا، وهو واحد من أكثر علماء وأدباء اليهود شهرة خلال فترة العصور الوسطى،وقد برع ابن عزرا بالفلسفة وعلم الفلك والتنجيم الطب والشعر وعلم اللغات والتفسير، لذلك لقب بالحكيم وبالكبير وبالطبيب الماهر، وقد قدم ابن عزرا خدمة جليلة وعظيمة لليهود الساكنين في أوروبا المسيحية، حيث جمع في تلك المؤلفات جميع كنوز المعرفة التي استقاها من الكتب العربية التي جلبها معه من الأندلس، ومن كتبه في القواعد كتاب موزناييم 1140 م {Moznayim – المقاييس}، وكتابه زاهوت 1141 م {Zahot – التصحيح }، ويعد هذان الكتابان أول الكتب التي تناولت قواعد اللغة العبرية بالشرح والدراسة وأفضلها على الإطلاق، ومن أعماله النفيسة أيضا التي فاقت قيمتها قيمة أعماله اللغوية هي شروحه لمعظم أجزاء الكتاب المقدس (كتاب التوراة وكتب أنبياء اليهود)، ضاع قسم منها وطبع قسم أخر عام 1840 م. وفي النسخة الكبيرة من كتاب اليهود المقدس وضعت تعليقات وتفسيرات في حاشية الكتاب لكبار حاخامات اليهود وعلماءهم ومن بينها تعليقات ابن عزرا، وقد ساهمت شروحه تلك بإغناء الفلسفة في الديانة اليهودية. ، انظر:الموسوعة اليهودية بتصرف http://en.wikipedia.org/wiki/Abraham_ibn_Ezra

انظر ايضا المكتبة اليهودية

http://www.jewishvirtuallibrary.org/jsource/biography/IbnEzra.html

(القبالا) وكتابها (الزوهار) قد بدأ يحل محل (التلمود) الذي خلق مشاكل كثيرة لليهود في العالم وخصوصاً في المجتمعات المسيحية وبَرَّرَ العنصرية ضدهم [1].

وفي ظل الأوضاع الصعبة التي عاشها العقل العبري في صيغته الدياليكتيكية (الكلامية) مع سعيد بن يوسف الفيومي(القرن العاشر الميلادي) ، ومروان بن داوود المقمس (القرن التاسع الميلادي) ثم في مشروعه الفلسفي الأرسطي مع أبي عمران موسى بن ميمون القرطبي (القرن الثاني عشر الميلادي)، وتلميذه يوسف بن عكنين السبتي المغربي أو في نسخته الأفلاطونية المحدثة مع أبي إسحاق الإسرائيلي (855–955م) [2]، وسليمان بن جبيرول (1121–1151 م) [3] في ظل هذه الأوضاع التي يمكن رفعها إلى مستوى أزمة مزمنة رافقت العقل العبري الوسيط منذ ولادته مع سعيد الفيومي إلى "استقالته" بنهاية النزعة الرشدية اليهودية مع إسحاق البلاغ وموسى النربوني، بدأ ظهور كتب التصوف اليهودي "القبالا" وخصوصا النص المؤسس "الزوهار" بل ، و تحقيقها نجاحا باهرا وانتشارا واسعا زحف على كل

---

(1) عبد الوهاب المسيري: اليد الخفية، مرجع سابق، ص23.

(2)**أبي إسحاق الإسرائيلي** (855–955م) مصري هاجر إلي القيروان التي كانت أهم مراكز الثقافة الإسلامية في القرون الوسطي وتتلمذ فيها علي يد إسحاق ابن عمران ، ويعتبر أول فيلسوف أفلاطوني محدث في اليهودية ألف كتاب التعاريف ، وكتاب العناصر في محاولة جادة منه لتكوين مذهب يهودي علي خطي الفلسفة الإسلامية القائمة علي أرضية إغريقية من الفلسفتين المشائية والأفلاطونية المحدثة ،انظر: رشاد الشامي، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود مرجع سابق ص 53

(3) **سليمان بن جبيرول** :شاعر وفيلسوف عربي يهودي كتب بعض الأعمال بالعبرية. عاش في إسبانيا الإسلامية (الأندلس)، وعُرف عند العرب باسم أبي أيوب سليمان بن يحيي بن جبيرول. وُلد في ملقا، وكان قبيحاً معتل الجسم. نزح إلى سرقسطة حيث تعرَّف إلى رئيس الجماعة اليهودية في المدينة الذي قُتل عام 1039. ثم اتجه ابن جبيرول إلى غرناطة ملتجئاً إلى ابن نغريلة وانضم إلى حاشيته. ويُقال إنه مات في ظروف مشابهة لموت يهودا اللاوي. وربما يدل هذا على الجانب الأسطوري في القصة التي تذهب إلى أن عربياً قد قتله.

نَظَم عدة قصائد عبرية على نظام الموشحات، كما نظم قصيدة تتناول النحو العبري على غرار ألفية بن مالك، وكتب المدائح في أولياء نعمته. وتعالج قصائده الدنيوية موضوعات مثل الحب والخمريات ووصف الطبيعة والشكوى من الزمان والعالم. أما قصائده الدينية، فتعالج الموضوعات اليهودية التقليدية مثل البكاء من أجل صهيون.. انظر موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، مرجع سابق،المجلد الثالث، الجزء الثاني، الباب الثامن، مدخل: سليمان بن جبيرول ،انظر كذلك موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود ، مرجع سابق ص29

مظاهر الفكر العبري الوسيط ابتداء من القرن الثالث عشر ولم يتوقف مده إلى الآن[1].

لكن قبل أن نبحث في الأسباب المفترضة وراء هذا النجاح الكبير الذي حققه التصوف اليهودي في الأوساط النخبوية الشعبية على حد سواء، وندرس المعطيات الجديدة التي أتت بها "القبالا" ودعمت بها شرعيتها وضمنت من خلالها ولاء شرائح كبيرة من أبناء الأمة اليهودية خصوصا في جزئها الشرقي المعروف بالسفراديم (הספרדי).

قبل هذا وذاك دعونا في البداية نتساءل بجدية عن الشروط الأساسية التي مهدت لاضمحلال العقل العبري الوسيط و"استقالته" أمام المد "القبالي" ، وعن أسباب استحالة أسماء من عيار سعيد الفيومي "الكاون" وسليمان ابن جبيرول وأبي عمران موسى ابن ميمون مبدع "دلالة الحائرين". كيف لهذه المدارس والمؤلفات التي أريد لها أن تهدي الحائرين كافة، ماذا حدث لها حتى أصبحت مجهولة لدى الغالبية العظمى من الملة الموساوية، لا يعرفها إلا قلة قليلة من الخاصة،لا حياة فيها ولا أفق يحتضنها، لا مكان لها إلا في رفوف المكتبات والمتاحف، هذا في الوقت الذي ظل فيه قلب التصوف القبالي نابضا بالحياة حتى اليوم، ولكن قبل هذا وذاك لنحاول التعريف أولا بالقبالا – ، خصائصها وجديدها قبل أن نجري مقارنة بسيطة بين بنية الفكر القبالي الصوفي وخصائص الفكر الفلسفي العبري.

القبالا تعني لغة "التقاليد" اليهودية القديمة المرتبطة بالتوراة والمشناه والتلمود وغيرها من مأثور أقوال الأنبياء وأصحابهم، واصطلاحا يطلق على مجموع التيارات الصوفية الباطنية التي اشتهر بها اليهود السفراديم[2].

المفكر جورج فاجدا عميد معهد الدراسات العبرية القروسطوية بفرنسا خلال النصف الثاني من القرن العشرين، يعرف القبالا في كتابه "مدخل إلي الفكر اليهودي في العصور الوسطي" بأنها: "حصيلة الإنتاج الذي يضم إلى جانب الباطنية

---

(1) احمد الجداد : قراءة في التصوف اليهودي ، الدار العربية للنشر ،ابوظبى 1998 ، ،ص66

(2) المرجع السابق .

اليهودية، جميع النصوص التلمودية والمدراشية، وكل الآراء والمعتقدات الكلامية والفلسفية التي عرفتها عهود الفكر العبري بجواره للفكر العربي"[1].

أما المفكر أندريه شوراكي فيعرف القبالا في كتابه الهام "La pensée juive" (الفكر اليهودي) بأنها "تمثل التقاليد الصوفية للعبريين وتروم معرفة أصل العالم وكشف أسراره ومدبره ومعرفة غاياته" [2].

مفهوم القبالا إذن مفهوم أصيل في اللغة العبرية، وتضرب جذوره عميقا في تاريخ التشريع الموساوي، وقد عمل مبدعوه خلال القرون الوسطى وخصوصا موسى دوليون (moise de léon 1240-1305) ، على استقطاب أفكار وشخصيات العهد القديم وبعض رواد كتب التلمود الأوائل مثل شمعون بن يوشاي Sémon ben yochai تلميذ المعلم عقيبا akiba وغيره وحرصوا على إدماجهم في دائرة امتداد هذا التيار في التاريخ اليهودي، وذلك بغية اكتساب نوع من الشرعية في الأوساط الدينية اليهودية سواء كانت مثقفة أو محسوبة على جمهور عامة الناس.

والحق أن مفهوم القبالا الذي رأينا قبل قليل أنه يعني التقاليد، لم يكن يتضمن أية دلالات باطنية في البداية قبل أن يستثمره الباطنيون، الغنوصيون والإشراقيون المتصوفة ليصبح دالا على تيار يعبر عنهم، و إن اختيارهم لاسم القبالا أو التقاليد، الأصيل الذي يفهمه الناس جميعا، لا يفسره سوى رغبة هذا المشروع الباطني الصوفي في التبشير لأطروحات وأفكار جديدة تشمل وتحتضن جميع الناس أميين كانوا أو متعلمين .

إن اسم القبالا الذي يصل إلى أسماع الناس كمفهوم عادي له دلالته الأصيلة في معتقدهم ومتخيلهم، ويسمعون في لغتهم الدارجة كل يوم، سوف يساهم في خلق نوع

---

(1) George Vajda:Introduction a la pensée juive de la moyen âge » p199-200

(2) **أندريه شوراكي** يهودي ولد بالجزائر عام 1917 ومنها انتقل الى القدس ليستقر بها عام 1958 وقد عمل مستشارا لبن جوريون و ترجم الكتاب المقدس والقران الى الفرنسية ويعد شوراكي مفكرا ومترجما مصدريا بمعنى أنه يتعلق الى حد كبير بالنص الاصلي انظر.André SHuraki: la pensée juive Ed.puf-p89

من التجاوب والتفاعل الإيجابي بينهم وبين نظريات وإبداعات القباليين، وبالتالي يتمكن من تجنب ذلك الارتياب أو ربما الامتعاض الذي وجه به مصطلح فلسفة عندما وصل إلى أسماع الناس أول الأمر وما زال يثير نفس المشكل ربما إلى يومنا هذا، حيث يقرن مفهوم الفلسفة عند عامة الناس بالإلحاد والابتداع حينا وبالجنون والشعر غير المصفوف حينا آخر!.

وقد أشرنا فيما سبق إلى المجهودات الكبيرة والاجتهادات المهمة التي بذلها المفكرين من يهود القرن التاسع الميلادي وتابعيهم من المتكلمين والفلاسفة اللاحقين في سعيهم إلى تنزيه الذات الإلهية عن كل تشبيه، ووقفنا عن كثب في كثير من الأماكن خلال بحثنا المتواضع هذا، على إيمان قوي لا يستهان به لدى المفكرين اليهود بقدرة العقل البشري على فهم النص المقدس وشرحه في أفق تأويله ومن ثم فتح إمكانية الدفاع عنه عند الحاجة وهذا بالضبط ما حصل مع المتكلمين الأوائل من سعيد الفيومي ومروان ابن داوود المقمس ويوسف البصير ثم بعد ذلك جاء مجموعة من الفلاسفة وأولهم أبو إسحاق الإسرائيلي، الذين بدؤوا مسيرتهم كمتكلمين ناشطين في الشرق ثم ما لبثوا أن تجاوزا الطرح الكلامي الجدلي بشكل من الأشكال منطلقين نحو أفق العقلانية الفلسفية[1].

فكانت الأفلاطونية المحدثة [2]مع إسحاق الإسرائيلي وابن جبيرول الذين تحدثنا عنهما آنفا، ثم حدوث القطيعة الكاملة مع علم الكلام بظهور أبي عمران موسى ابن

---

(1) احمد الجداد : قراءة في التصوف اليهودي ، مرجع سابق .

(1) **الأفلاطونية المحدثة** تسمية حديثة لآراء مجموعة من الفلاسفة ، والمفكرين الملاحدة تمتد من 250 ق.م حتى 550م ، وهذه الآراء تحاول إعطاء تفسير للكون ، والإنسان ، والحياة، لتلبية طموح الإنسان من النواحي الدينية ، والأخلاقية ، والعقلية، وهي تختلف اختلافاً جوهريًّا عن آراء أفلاطون اليوناني: إذ إنها تؤمن بإله مفارق للكون، وهذا الإله يفيض عنه الكون ، والوجود كله بما فيه من مخلوقات، وقد تأسست الأفلاطونية الجديدة في مدينة الإسكندرية على يد أفلوطين 205 – 270م الذي درس الفلسفة اليونانية ، واطلع على الديانات القديمة، والأساطير ، والسحر، والشعوذة.. ثم جاء فرفرويوس 234 –305 م ، ونشر كتابات أفلوطين وهاجم النصرانية بكتابه ضد المسيحيين ، وله عدة مؤلفات أخرى ثم أتى مبليخوس توفي عام 330م الذي ألف عدة رسائل فلسفية، منها أسرار مصرية وهي تفسير فلسفي لطقوس مصر ، وتعاليمها الدينية قبل الإسلام، وجاء أبرقلس 410 – 485م الرجل المدرسي في الأفلاطونية الجديدة الذي عرض المذهب في مؤلفين: مبادئ اللاهوت ولاهوت أفلاطون؛ أما أوغسطين 354 – 440م القديس الذي ولد في الجزائر من أم نصرانية وأب وثني، فقد انتسب إلى الأفلاطونية الجديدة، وقارن بينها وبين النصرانية، وقال بأن النصرانية هي الفلسفة الحقة!!=

ميمون القرطبي ومعلمته "دلالة الحائرين"، ومع هذه النزعة الأرسطية المتطورة مع ابن ميمون بلغ المشروع الفلسفي العقلاني العبري مرحلة من النضج الفكري يعتبرها المختصون في تاريخ الحضارة العبرية، غير مسبوقة ستتبعها بعد ذلك النزعة اليهودية الرشدية كامتداد لها وكتتويج لمجهوداتها فجل المفكرين اليهود الرشديين من إسحاق البلاغ(ت1270) وموسى النرموني (1300-1370) ويوسف بن قصبي (1279-1315) إلى إليا ديلميديغو (1460-1493)، جميعهم كتبوا تعاليق وشروح "لدلالة الحائرين"[1] أو عبروا في كتاباتهم عن احترامهم وتقديرهم لفيلسوف الفسطاط الأول.

لقد كان الهاجس الأول المحرك لنزعة ابن ميمون العقلانية هو محاولة "مد جسر بين التوراة والفلسفة"[2] لهذا آمن ابن ميمون بأن التوراة وأرسطو كلاهما يتحدث عن نفس الشيء ويتضمن نفس الحقيقة حيث يقول :" إن سفر التكوين وما يتضمنه من روايات عن عمليات الخلق الأولى للأنهار والبحار والسماوات والأرض، والمخلوقات من نبات وحيوان، ما هي في نهاية المطاف إلا صيغ تعبيرية تعود في النهاية لتتفق مع علم الأحياء والفيزياء عند أرسطو[3].

=والأفلاطونية الجديدة خليط من الأفكار ، والفلسفات ، والأساطير ، والمعتقدات الوثنية، واليهودية ، والنصرانية، وغيرها، وتدعو الأفلاطونية إلى إله تفيض عنه الأشياء جميعاً بحيث لا تنفصل عنه، فيضاً لا يتحدد بزمن أو تاريخ ولا يتقيد بإرادة ولا ينقطع، وهذا الفيض لا ينقص مصدره، بل يظل كاملاً غير منقوص.

انظر : الأفلاطونية الحديثة http://www.saaid.net/feraq/mthahb/89.htm

(1) **دلالة الحائرين** (بالعبرية: מורה הנבוכים "موري هنبوخيم") هو أحد أعظم كتب الراب (اي الحاخام)موسى بن ميمون (المعروف أيضا باسم رامبام, بالعبريّة רמב"ם)، كتب في القرن الثاني عشر كرسالة مكونة من ثلاثة مجلدات إلى تلميذه الراب يوسف بن عقنين؛ بالإضافة إلى آرائه بالشريعة اليهودية يعد الكتاب أحد أهم المصادر لآراء كاتبه الفلسفية، وقد أدى اشتمال الكتاب على مفاهيم فلسفية بعيدًا عن اللاهوت اليهودي الخالص كالعدالة الإلهية وعلاقة الفلسفة بالدين مما أدي إلى اشتهار الكتاب عند الأوساط غير اليهودية. ومن المعلوم أن الكتاب قد أثر على العديد من عظام الفلاسفة غير اليهود، فبعد نشر الكتاب فإنّ "كل عمل فلسفي يعود للقرون الوسطى – تقريبا – قد اقتبس من آراء موسى بن ميمون، علّق عليها أو انتقدها ؛ أما فيما يتعلق باليهودية، فقد نال الكتاب شهرته عند التجمعات اليهودية، كما وتعرض للانتقاد والحظر وحتى الحرق ،ومن الملاحظ أن فلسفة الكتاب وحتى جانبه اللاهوتي-اليهودي مستمدان من أجواء الفلسفة الإسلامية التي عاشها المؤلف وتلقاها من معاصريه المسلمين كأبي بكر بن الصائغ، ابن الأفلح وابن رشد. انظر:

Encyclopedia Judaica, ""Moses Maimonides."". Retrieved on 2007-10-11. Second Edition, Volume 13, p. 388

(**2**) M.R. Ben Hayoun « Maimonide » Ed. Entre lacs-2005.p35

(3) احمد الجداد : قراءة في التصوف اليهودي ، مرجع سابق .

أما عالم البرزخ والجنة والنار وما إلى ذلك من الماورائيات والقصص الواردة في الكتب اليهودية المقدسة في العهد القديم، كل ذلك لا يناقض ما جاء في ميتافيزيقا[1] أرسطو على الإطلاق كل ما هناك أن أسلوب التوراة الذي جاء لتعليم الناس في العهد القديم جاء بلغة معينة بسيطة، ومباشرة، لا جرم أنها الحق "لا ريب فيه"، صحيح أنها تختلف عن لغة ومنطق أرسطو وميتافيزيقاه التي لا تحتمل هي الآخرى إلا الصواب، وبالتالي فما نحن بحاجة إليه هو العمل على "التوفيق بين الشريعة اليهودية والعلوم الأرسطية" حتى نخرج من دائرة سوء التفاهم والخلاف الذي أفسد الود بين الطرفين.

هذا الكلام هو بالضبط ما احتج عليه بقوة أتباع النزعة الصوفية القبالية التي نشطت بشكل كبير في نهاية القرن 13، ورأت في محاولات الفلاسفة اليهود التوفيق بين أرسطو ومبادئ الشريعة التوراتية، إهانة لهذه الأخيرة واستخفافا بتراثها وأنبياءها ورسالتها كما إن العقل المجرد الذي احتفل به أتباع ابن ميمون وتلاميذ ابن رشد وابن باجة من المثقفين اليهود القرو–وسطويين والعقل الفعال الذي بشروا بإمكانية الاتصال به، كلها عقول، في نظر المتصوفة القباليين، محدودة الفعالية ناقصة الإمكانية، وبالتالي فهي غير مؤهلة لتتوافق مع قوانين الشريعة المنزهة المنزلة ذات الأبعاد المفارقة الخارجة عن إمكانيات العقل البشري وطموحاته وبعيدة عن متناوله[2].

هكذا استفاد التيار القبالي الجديد الطامح إلى إعادة الاعتبار، على حد زعم رواده، للتقاليد والأعراف والطقوس التي همشتها المدارس الفكرية الفلسفية ذات النزعة العقلانية حيث استفادت أولا من الحنق الشديد الذي لم يختف في يوم من الأيام من

---

(1) **الميتافيزيقا** بتعريف مبسط هي اتجاه أدبي، يبحث عن ظواهر العالم بطريقة عقلية ممزوجة بالعاطفة، من أجل الجمع بين كل ما هو مؤتلف ومختلف من الأخيلة الفكرية والظواهر الطبيعية، وإبرازه في أعمال مسرحية وشعرية وروائية تجسد الفلسفة الكامنة وراء الحب، بأسلوب سهل وتعبير سلس، ومع أن هذا الاتجاه يؤكد الدلالات الدينية والأخلاقية الكامنة وراء القوى الميتافيزيقية إلا أنه يتبنى، كالخيال الصوفي الجامح، فكرة وحدة الوجود،انظر: محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن، دار العودة ، بيروت 1998 م ، ص118

(2) احمد الجداد : قراءة في التصوف اليهودي ، مرجع سابق .

وجدان رؤساء البيع وفقهاء التلمود ودكاترة التوراة، الذين عاينوا وعاشوا محاولات الفلاسفة العقلانيين تجريمهم للعادات وتقريب القرابين عندما اعتبروها، أمورا ثانوية رمزية لا تستحق كبير العناية والاهتمام.

بل منهم من ذهب إلى اعتبارها بقايا العهد الوثني، "احتفظ بها موسى للعبريين وعيا منه أنهم كانوا أبناء عبيد في مصر متأثرين بالوثنية الفرعونية"[1].

كما أن عداء الحاخامات وفقهاء الرسوم المعلن للمشروع الفلسفي منذ بدايته وترجمته بعد ذلك على شكل انتقادات موجهة لملكة العقل باعتبارها الركيزة الأساسية لكل مغامرة نظرية فلسفية، بالإضافة إلى المناهضة القوية التي عبر عنها بعض المثقفين المتدينين الذين درسوا الفلسفة لا لشيء سوى الإمساك بناصيتها بغية نقدها من الداخل على غرار ما ذهب إليه يهودا هاليفي (1075–1140) والذي يذكرنا مؤلفه "الكوزاري" بمقاصد الفلاسفة و"تهافتهم" لأبي حامد الغزالي ثم بعده إسحاق أبرابانيل الذي اشتهر بعدائه للفلسفة وللرشديين اليهود ودعوته إلى العودة إلى نهج التوراة "في صيغتها الأولى"[2].

كل هذه الأجواء النظرية الفكرية، التي لا يمكن وصفها بالهادئة، شجعت زعماء التيار القبالي وعلى رأسهم يعقوب بن شيشيت، على المناداة بالتخلي كلية على التفاسير العقلانية للتوراة باعتبارها تفاسير محدودة الأبعاد وضيقة الأفق، وطالب بالعودة الى العقائد المفارقة، كما هاجم الفكر الفلسفي واعتبره قاصرا، عاجزا عن إدراك المرامي الحقيقية البسيطة التي جاءت بها التوراة.

وإبراهيم أبو العافية (1240–1291) [3]، هو أول من حاول تقديم الفكر القبالي في شكل منظم يحمل ملامح النظام الفكري المستقل بذاته، كما عمل على تقديمه في شكل تعاليم يمكن تعلمها والتخصص فيها كمبحث خاص في إطار الفكر العبري

---

(1) André SHuraki: la pensée juive »puf-p91.

(2) احمد الجداد : قراءة في التصوف اليهودي ، مرجع سابق .

(3) **إبراهيم أبو العافية** : قبَّالي وُلد في إسبانيا، وانخرط في دراسة الشريعة والتلمود، وفي الدراسات والحسابات القبَّالية، وقد درس كذلك مؤلَّف ابن ميمون دلالة الحائرين ، ولكنه فسره وفق المنهج القبَّالي سيتم التعرف به تفصيليا في فصل قادم كواحد من أهم المفكرين اليهود الدين كان لهم اثر كبير في تطور فكر القبالا

عموما. هذا الرجل كتب كتابا دافع فيه الفكر الاشراقي ورأى أنه متفوق على البحث الفلسفي[1].

إن هذا التضارب في الآراء والاختلاف في المرجعيات الذي تحول إلى نوع من الصراع الإيديولوجي وقع في منتصف القرون الوسطى بين العقل الفلسفي والقبالي الصوفي وما تبعه من نجاح كبير حققه التيار القبالي، لا يمكن اختزاله في القول بأن بناء الصرح القبالي جاء على أنقاض العقل الفلسفي العبري لأنه لا يجب أن يغيب عن أذهاننا أن الإرهاصات الأولية لظهور الفكر القبالي الإشراقي كانت قد بدأت في العراق مع هارون بن صموئيل البغدادي ويوسف بن أباه (Abba) ، في نفس الوقت الذي كان فيه سعيد بن يوسف الفيومي (882–942) يمهد لميلاد الفلسفة اليهودية في القرون الوسطى ، لقد كان هؤلاء الإشراقيين يقول أندريه شوراكي"يعمقون أبحاثهم الباطنية ويهيؤون لازدهارها في اسبانيا" [2].

أكيد أن لكل نزعة فكرية دينية مهمة بحجم القبالا طموحات اديولوجية تهدف إلى تقديم نفسها كبديل لمنافسيها وهذا لا يعني بأن القبالا جاءت على أنقاض الفلسفة، رغم أن اختلافاتهما الفكرية تجعل من السهل أن نضع قطيعة بين النسقين، والحق أن القبالا، التي كانت قد نشطت في المجتمع اليهودي بمختلف طوائفه الشرقية، كغيرها من التيارات الفكرية من فقهاء التلمود ومتكلمين وفلاسفة وحاخامات وأتباع كل فريق على حدا، ما فتئت تقدم مشروعها الإشراقي الصوفي منذ شمعون بن يوحاي (ت135م) وأنصاره من بعده الى إسحاق لوريا (1534–1574)، على أنه "الطريق إلى النجاة" وعلى أنه السبيل الى معانقة روح التعاليم الموسوية الحقة بعيدا عن أفكار "فلاسفة الحقبة الهيلينية والحقبة اليهودية–العربية التي اُختزلت فيها الديانة اليهودية إلى مجرد ايدولوجيا"(3) ، وبالفعل فلقد انتهز زعماء التيار الصوفي القبالي

---

(1) André SHuraki: la pensée juive »puf-p97.

(2) Ibid.p98

(3) **الايدولوجيا** (l'idéologie) كلمة فرنسية الأصل تطلق على مجموعه منظمة من الأفكار التي تشكل رؤية متماسكة متعلقة بالواقع بشكل فلسفي وسياسي وهي منظومة الأفكار المتداخلة كالمعتقدات والأساطير التي تؤمن بها جماعة معينة أو مجتمع ما وتعكس مصالحها واهتماماتها الاجتماعية والأخلاقية والدينية والسياسية والاقتصادية وتبررها في نفس الوقت، انظر احمد الجداد : قراءة في التصوف اليهودي ، مرجع سابق،ص69

العبري الفرصة، فرصة إفلاس المشروع العقلاني الفلسفي، واستغلوا بشكل جيد بعض الأزمات الفكرية والسياسية العميقة التي عاشتها الطوائف اليهودية في الأندلس خصوصا بعد وصول الموحدين الذين لم يبدو تسامحا كبيرا مع أتباع الديانة الموسوية، ثم اضطهادات اسبانيا المسيحية لهم وخصوصا الطرد الجماعي الذي تعرضوا له نهاية القرن 15؛ هذه العوامل وغيرها هيأت بشكل مباشر للنجاح الكبير الذي سيعرفه التصوف العبري في صيغته القبالية حيث أصبح ينظر إليه على أنه طريق الخلاص الوحيد الممهد لعودة المسيح المنتظر "الذي سيعيد المجد إلى أمة بني إسرائيل ويملأ الأرض عدلا بعد أن يضع حدا للظلم والجور".

وهكذا "تحولت الحياة إلى طقس صوفي يعطي فجأة لإسرائيل معنى جديدا وعمقا مثيولوجيا [1]لا نظير له لقد أصبح منفى إسرائيل مؤولا وذا معنى مفارقا وأصبح ينطبق على "الشخيناة – التجلي الانثوي للإله" أو حضرة الذات الإلهية، ومعاناة إسرائيل صارت بشكل من الأشكال مماثلة لمعاناة الإله نفسه، و عودة إسرائيل ونجاتها هما من سيجلب المغفرة للعالم" [2].

هذا باختصار شديد ما يمكن اعتباره، عناوين بارزة لمصادر الطرح القبالي وخطوط عريضة لايدولوجيا النجاة أو الخلاص" التي يقترحها التصوف القبالي على أتباعه والتي أثرت بشكل مباشر في معظم التيارات الدينية الإسرائيلية المعاصرة

---

(1) **الميثيولوجيا** (μυθολογία) كلمة يونانية تترجم عادة علم دراسة الأساطير ،وهي تشير إلي مجموعة من الفلكلور والخرافات والأساطير الخاصة مثل القول أن أمون إله الريح و الخصوبة؛ أحد الآلهة الرئيسيين في الميثولوجيا المصرية انظر :فراس السواح، الأسطورة و المعنى: دراسات في الميثولوجيا, و الديانات المشرقية، دار علاء الدين ، دمشق 1999 م ،ص212.

(2) R.M. ben Hayoun «la philosophie juive »Ed.Armand colin/2004- P242

الفصل الثاني

مرحلة القبالا اللوريانية

تتمثل أهم التطورات التي حدثت في تاريخ التصوف اليهودي في ظهور القبالة اللوريانية [1] حيث تنقسم القبالا بشكل عام إلى تيارين أساسيين التيار الأول هو قبَّالاة الزوهار نسبة إلى كتاب الزوهار حينما تكون الإشارة إلى القبَّالاه بشكل عام، أو إلى القبَّالاه دون تخصيص، فإن المقصود عادةً هو قبَّالاة الزوهار «القبَّالاه النبوية» حسب تعبير المفكر اليهودي جيرشوم شوليم، أما التيار الثاني فهو «القبَّالاه اللوريانية» نسبة إلى إسحق لوريا أو" القبَّالاه المشيحانية" ، والواقع أن البنية الفكرية لقبَّالاة الزوهار هي البنية العامة للقبَّالاه قبل دخول الأفكار اللوريانية عليها، ويمكن الرجوع إلى مدخل القبَّالاه اللوريانية لمعرفة الفروق العامة بين التيارين، ومن أهم مفكري قبَّالاة الزوهار إبراهيم أبو العافية، وكذلك موسى كوردوفيرو آخر ممثلي قبَّالاة الزوهار، وهو أستاذ لوريا مؤسس القبَّالاه اللوريانية [2].

القبَّالاه اللوريانية

أهم تطور حدث في داخل تاريخ القبَّالاه هو ظهور القبَّالاه اللوريانية (نسبة إلى إسحق لوريا)، ولكن لا يمكن إغفال موسى كوردوفيرو الذي ساهم في صياغة أفكارها الأساسية (وقد تأثر إسبينوزا فيما بعد بأفكاره)، ويمكن القول بأن القبَّالاه اللوريانية لا تختلف في أساسياتها عن قبَّالاة الزوهار، إذ إن البنية الحلولية القبَّالية العامة كامنة في القبَّالاه اللوريانية كمونها في قبَّالاة الزوهار، ولكن مع هذا يمكن أن نلخص بعض الاختلافات الأساسية بينهما فيما يلي :

1 ـ **قبَّالاة الزوهار** تعنى بأسرار الخلق، أي ببداية الكون، بينما تعنى القبَّالاه اللوريانية أساساً بالخلاص وبالنهاية، وينبع اهتمام قبَّالاة الزوهار بأسرار الخلق من

---

(1) عبدالكريم محمد بنداري: القبالة اليهودية تعاليمها وأسرارها وخطرها علي المجتمعات الإسلامية في آسيا ، رسالة دكتوراه ، جامعة الزقازيق ، معهد البحوث والدراسات الآسيوية ،2007 م

(2) عبدالوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، مرجع سابق ص181

اهتمامها بالخلاص المشيحاني بالنهاية، ولذا فهي تتناول البدايات كي تفسر النهايات. [1]

2ـ **أسطورة الخلق** في القبَّالاه اللوريانية أكثر تعقيداً وتناقضاً منها في قبَّالاة الزوهار .

3ـ **والاختلاف الأساسي** هو أن القبَّالاه اللوريانية تربط البداية بالنهاية، كما ربطت الباطن بالتاريخ والتأمل بالنزعة المشيحانية .

4– **الصورة المجازية** الأساسية في قبَّالاة الزوهار هي الجنس، ولكنها في القبَّالاه اللوريانية تتمثل في كل من الجنس والنفي، وتبدأ أسطورة الخلق في قبَّالاة الزوهار بفيض الإله الخفي، ولكنها في القبَّالاه اللوريانية تبدأ بعملية «تسيم تسوم» التي يمكن أن تُترجَم حرفياً بكلمة «انكماش צימצום » أو تركُّز، ولكن يُستحسن تأدية معناها بتعبير «انسحاب نتج عنه تركُّز؛ فالإله المتخفي (الإين سوف אינסוף) ينكمش داخل نفسه ليخلق فراغاً روحياً كاملاً [2] بسبب الخطيئة وهبوط الشخيناة.

ويمكن تفسير هذا الانسحاب بأنه شكل من أشكال النفي، كأن الإله ينفي نفسه بنفسه إلى داخل نفسه، بعيداً عن وجوده الكلي، وقد نتج عن هذا الانسحاب ميلاد الشر، فالحكم الصارم (الحدود والقيود التي تُفرَض على الأشياء التي ستتبع منها الأوامر والنواهي والتشريعات) كان قبل الانكماش جزءاً من كل، قطرةً في المحيط، ولكنه بعد عملية الانسحاب يتبلور، ويصبح هو المحور ثم يرسل الإين سوف في الفراغ شعاعاً ودروباً من نوره الذاتي وهي التجليات النورانية العشرة (سفيروت)، وهي مرحلة الفيض الإلهي على الكون (وتُعرف في العبرية باسم «أتسيلوت אצילות ») التي أدَّت إلى ظهور آدم قدمون (الإنسان الأصلي)، وهو غير آدم أبى البشر،

---

(1) المرجع السابق ، ص181

(**2**) يتحدث لوريا عن الكيفية التي تم بها الخلق فيري ان الرب قبل أن يخلق أي شيء في الكون يجب ان ينكمش داخل نفسه"تسيم تسوم" وبعد ذلك يقذف الرب بأشعة ودروب من نوره الذاتي"سيفروت" فيما يعرف بمرحلة الفيض الإلهي علي الكون"اتسيلوت" وقد وضع لوريا أهمية قصوى علي كل من الانكماش والفيض قائلا : انه بدون الانكماش يعود كل شئ للرب مرة أخري كما انه بدون الفيض لايمكن أبدا لأي شيء أن يوجد وعلي هذا فان وجود هاتين القوتين المنعكستين هو الذي يؤدي إلي الخلق انظر: مني ناظم ، المسيح اليهودي ومفهوم السيادة الإسرائيلية،مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر ،أبو ظبي 1986 ، ص179

ويُلاحَظ أن الإنسان الأصلي في قبَّالاة الزوهار هو رمز لبناء التجليات ككل أما عند لوريا، فهو يظهر قبل التجليات، ثم تخرج أشعة النور الإلهي من عيون الإنسان الأصلي وأذنيه وأنفه وفمه، وهذا الضوء الخارجي الذي انبثق من الإنسان الأصلي، آخذاً شكل شرارات، كان من المفترض جمعه في أوعية (كليم קלים) من ضوء تتخذ أشكالاً تتناسب مع عملها في مرحلة الخلق، ولكن هذه الأوعية تحطمت، حسب رؤية لوريا، أثناء ملئها، ويعود هذا إلى أن الضوء الإلهي كان أقوى من أن تتحمله الأوعية فتحطمت، الأمر الذي أدَّى إلى تشتت الشرارات الإلهية وتبعثرها، ويُشار إلى هذه الواقعة بمصطلح «حادثة تَهشُّم الأوعية» (شفيرات هكليم שבורת הכלים)وهي الأخرى حادثة نفي[1].

وإذا كان الانكماش (تسيم تسوم צימצום) هو نفي من خلال الانسحاب، فإن النفي هنا يتم من خلال الانتشار، والتشتت، وقد سادت الفوضى واختلط النور والظلام، والروحاني والمادي، وهكذا دخل الشر، والظلام إلى العالم، وقد عاد كثير من الشرارات إلى مصدرها الأصلي، ولكن نحو 288 شرارة التصقت بشظايا الأوعية المهشمة، وأصبحت هذه الأجزاء هي القشرة الخارجية (قليبوت קליפת)، أي قوى الشر التي أحاطت بالشرارات الباقية وحبستها [2].

ومنذ ذلك الوقت الذي حدث فيه هذا التهشُّم، لم يَعُد في الكون أي شيء كامل متكامل فالنور الإلهي الذي كان يجب أن يستمر في مكان مخصص له، أي في الأوعية التي صنعها الإله، لم يَعُد في مكانه الصحيح لأن الأوعية تحطمت، وتظهر الخطة الإلهية للخلاص من خلال صور تُسمَّى «برتسوفيم ברצופים » (حرفياً : الوجوه أو «السيمياء»، أي «القسمات» أو «ملامح الوجه») وهي مقابلة للتجليات النورانية العشرة (سفيروت) في قبَّالاة الزوهار ولكنها تأخذ هنا شكلاً أكثر بشرية وعددها خمسة :

1- **أريخ أنبين** (ארכ א נ בין) عبارة أرامية وتعني حرفياً: «ذو الأنف الطويل» أي «الصبور «أو «المتحمل» أو «الذي عانى كثيراً» باعتبار أن الأنف دليل على الصبر، وهو يقابل التجلي النوراني الأول «الكيتر» أو «التاج» في قبَّالاة الزوهار .

---

(1) انظر: مني ناظم ، المسيح اليهودي ومفهوم السيادة الإسرائيلية،مرجع سابق ، ص180

(2) المرجع السابق

2، 3– **أبا وأما** (אבא ו אמא الأب والأم)، وهما يقابلان التجليين الثاني والثالث، وهما النمط الأعلى لهذا الزواج المقدَّس الذي يُعَدُّ نمطاً لكل وحدة فكرية، وجنسية فيما بعد (ولنلاحظ هنا الأثر العميق للعقيدة والرموز المسيحية ولتواتر الصورة المجازية الجنسية في النسق الحلولي)، وهذا التزاوج يزداد عمقاً بصعود الـ 228 شرارة التي تساقطت مع الأوعية المهشمة، والتي بعودتها إلى رحم البيناه تصبح قوة تبعث الحيوية، ولذا تُسمَّى المياه الأنثوية " مايبم نقفين מים נקבה "

4 ـ **زعير أنبين** (ז ע יר א נ ב י נ)عبارة أرامية وتعني حرفياً: «ذو الوجه القصير»، أي «الذي لا يطيق صبراً»، أو «نافد الصبر»، وهو عكس «أريخ أنبين» ويقابل التجليات الستة التي ترد بعد الثلاثة الأولى من الجبوراه حتى اليسود.

5– **نقيفاه دي زعير** (נ ק י פ א ה ד י ז ע יר)عبارة أرامية وتعني حرفياً: «أنثى زعير» أي «أنثى نافد الصبر»، وهي تقابل التجلي العاشر أو الشخيناه (השכינה) [1].

وتتخذ الذات الإلهية من خلال هذه القوى الخمس شكلاً محدداً، وتؤدي وظيفة محددة، والتجلي الأساسي للإين سوف يحدث من خلال زعير أنبين الذي وُلد من خلال اتحاد الأب والأم، ثم يكبر ليتزوج من الشخيناه ليُولِّد اتحاداً ووئاماً بين العدل والرحمة في الذات الإلهية، وتُلاحَظ مرة أخرى أصداء العقيدة المسيحية .

وتمثل هذه القوى في الحقيقة العملية التي يلد الإله بها نفسه، وحسب رؤية لوريا كانت عملية جمع الشرارات (أي ولادة الإله واكتماله) على وشك الاكتمال حين خلق الإله آدم (أبا البشر) ليساعده في الجهد المبذول لاستعادة النظام والكمال ولهزيمة القوى الشريرة الشيطانية، وكان من المفترض أن يقوم آدم بالخطوات الأخيرة، ولكن خطيئته ،ومعصيته للإله أوقفت العملية، ونجم عن ذلك انتشار فوضى في الأرض تُماثل الفوضى الناجمة عن تَهشُّم الأوعية في الأعالي[2].

فآدم حينما خلقه الإله، كان يحوي كل أرواح البشر التي كانت توجد في حالة التصاق بالإله، وبسقوطه انفصلت الأرواح عن جذورها وتبعثرت ودخلت الأجسام

---

(1) عبدالوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، مرجع سابق : ص 182

(2) المرجع السابق

المادية، وجاء الموت والشر والعالم وانحرف كل شيء عن موضعه، وأصبحت كل المخلوقات في حالة شتات دائم (جالوت) גלית ، وهي حالة مستمرة تنسحب على الكون كله وعلى الخالق نفسه الذي تبعثرت شراراته وتناثرت مرة أخرى، وقد سقطت الشخيناه ضمن ما سقط من شرارات، وما دامت الشرارات الإلهية لم تُجمَع، فإن الإله سيظل مجزأ غير مكتمل وغير متوحِّد مع نفسه، وقبل أن ننتقل إلى الحديث عن إصلاح هذا الخلل ورأب هذا الصدع، لابد أن نؤكد فكرة التقابل القبَّالية، وهي تقابل كل الأشياء واللحظات نتيجة توحُّدها النهائي.

فالعالم العلوي يشبه العالم السفلي، والإله يشبه مخلوقاته، وعملية الخلق والتبعثر هي مقلوب عملية الخلاص، وطريق النهاية هو طريق البداية، ويقابل عملية الفيض الإلهي عمليات كونية مماثلة تغمر أربعة عوالم مختلفة، والنفس البشرية تشبه الذات الإلهية، ومستوياتها تشبه التجليات المختلفة، ولحظة التشتت الإلهية تشبه لحظة التشتت الفردية، ونفي الشخيناه يشبه نفي الشعب (ويُلاحَظ أن فكرة التقابل تُسقط فكرة الزمان والتتالي والاختلاف تماماً، فهي فكرة هندسية دائرية تحوِّل الزمان إلى ما يشبه المكان والبدايات تشبه النهايات) [1].

كما أن إصلاح الخلل الكوني، وعودة كل شيء إلى مكانه، وإنهاء حالة النفي الكونية، وخلاص الإله بدلالته ووجوده من جديد، هي عملية يُطلَق عليها الإصلاح (تيقون תיקון) [2]، وهي عملية تخليص الشرارت الإلهية المبعثرة من اللحاء أو المحارات (قليبوت)، وهي عملية كونية تاريخية باطنية شاملة يشارك فيها الإنسان ولكنها تعتمد بالدرجة الأولى على جماعة يسرائيل، فاليهودي الذي يعرف التوراة

---

(1) عبدالوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، مرجع سابق : ص 182

(2) إعتاد اليهود الاتقياء(**الحسيديم**) عشية عيد الأسابيع (**شفيعوت שבועות**) أن يكونوا يقظين طوال اليوم لدراسة التوراة ،وهذه العادة قديمة حيث أشار كتاب (الزوهار) إلي أن (الحسيديم) الأوائل لم يكونوا ينامون في هذه الليلة وكانوا ينشغلون في دراسة التوراة وعل اساس هذه العادة تم تأليف كتاب "تقون ليل شفعوت" (صلاة عشية عيد الأسابيع) وهو عبارة عن مختارات من العهد القديم والمشناة والجمارا والزوهار بالإضافة إلي أشعار دينية(بيوطيم **ביותים**) أو تحذيرات(أزهاروت **אזהרות**) ويحوي 613 وصية تقرأ عشية عيد الاسابيع وتتقسم هذه الصلاة الي 33 جزء يتلون في اثر كل جزء "القاديش" الذي يسمي "دربانان" ،انظر: رشاد الشامي ،موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية ،مرجع سابق ،ص 312

ومعناها الباطني (وينفذ الأوامر والنواهي ويتلو الصلوات) بوسعه أن يسرع بعملية الإصلاح (تيقوُّن)، أي عملية ولادة الإله، كما أن بوسعه أيضاً أن يوقفها إذا هو أهمل تنفيذ الأوامر والنواهي وإقامة الصلوات[1].

وهذا من الممكن إنجازه نظراً لتقابل العالم السفلي والعالم العلوي، والتأثير في العالم العلوي من خلال أفعال يقوم بها الإنسان (اليهودي) في العالم السفلي لكن عملية الإصلاح تدريجية، وهي تُتوَّج بظهور الماشيَّح وبعودة جماعة يسرائيل من المنفى إلى فلسطين، ومن هناك فإنه سيحكم العالم، وستسود جماعة يسرائيل على العالمين، هذا هو الجانب التاريخي.

وإذا كانت حالة النفي مرتبطة بالانكماش والحدود والفرائض والانسحاب، فإن حالة التيقون مرتبطة بالتحرر الكامل من الحدود، كما أنها مرتبطة بالترخيصية والإباحية الكاملة، وهذا هو ما كان يفعله المشحاء الدجالون، وهو الجانب النفسي أو الأخلاقي للإصلاح(تيقون) [2].

وسينتهي التيقون بأن يُجمِّع الإله ذاته ويتوحد مع نفسه بعد تجميع الشرارات المبعثرة كما أنه سوف يتوحد مع شعبه (وسوف نكتشف أن الشعب اليهودي هو في واقع الأمر الشرارات الإلهية المشتتة)، ومعنى هذا أن اليهود هم جزء من الإله، فهم الإله أو على الأقل أحد تجلياته، وهم إلى جانب ذلك الأداة التي تسترد بها الذات الإلهية وحدتها، فهم بذلك الأداة والغاية، وهم أيضاً سبب النفي (بذنوبهم)، وهم وسيلة العودة (بصلاحهم وتقواهم)، فاليهودي هو مركز الكون وسيده، وهكذا نُلاحظ دائرية النسق القبَّالي الحلولي المغلق [3].

ويُلاحَظ هنا كيف ارتبط التأمل في المعنى الباطني للتوراة، وكذلك تلاوة الصلوات وأداء الفرائض (وكلها أمور فردية ذاتية باطنية)، بحدث كوني مثل ولادة الإله، وكيف تتوحد ذاته من خلال حدث تاريخي هو ظهور الماشيَّح(המשיח) وعودة جماعة يسرائيل، وقد انعكس كل هذا مرة أخرى على عالم الفرد والباطن، بالترخيصية وإبطال

---

(1) عبدالوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، مرجع سابق : ص 183

(2) السابق

(3) السابق ص185

الحدود والشرائع في العصر المشيحاني، فيتداخل الكون والإله والإنسان والزمان وكل شيء. [1]

ومما يجدر ذكره أن تجربة يهود إسبانيا (طردهم منها) تشكل الصور المجازية الأساسية في القبَّالاه اللوريانية، فالنفي والتبعثر والتشتت كانت حقائق أساسية في حياتهم، وكان الاهتمام بالباطن دون الظاهر سمة أساسية لتجربة المارانو [2]، وقد تبدَّى فقدانهم السلطة، مع رغبتهم الحادة فيها، في فكرة مركزية اليهود في الكون واعتماد الإله عليهم، وتوقعهم وصول الماشيَّح الذي سيجعلهم أسياد الأرض، ومع هذا، تظل الصور المجازية الأساسية الخاصة بالأب والابن والأم والشخيناه صوراً مجازية مسيحية .

الانكماش (تسيم تسوم צימצום)

لفظة «الانكماش» هي الترجمة العربية لكلمة «تسيم تسوم»، وهي كلمة وردت في المدراش[3] لتشير إلى عملية انكماش الخالق حتى يدخل قدس الأقداس في الهيكل، وهذا هو أصلها الحلولي. ولكن إسحق لوريا استخدم الكلمة بطريقة مغايرة أو بالأحرى عمَّق مدلولها الحلولي. فالانكماش عنده هو العملية التي من خلالها ينكمش الخالق إلى نقطة داخل نفسه (الوسط) وهو انكماش يَنتُج من تركُّز (وهذا بخلاف الانكماش في المدراش حيث ينكمش الخالق ليدخل في مكان آخر غير ذاته) ثم تَصدُر عنه التجليات النورانية العشرة بعد ذلك. ومن منظور لوريا، كان الخالق يملأ الوجود باعتبار أن الذات الإلهية لا نهائية ولا تقبل التجزئة، ولا يوجد مكان لا يملؤه الحضور الإلهي. وهذه الذات لا تسمح بوجود شيء آخر، ولتتم عملية الخلق كان لابد أن تنكمش هذه الذات. ولكن هناك رأياً آخر يذهب إلى أن الانكماش هو

---

(1) المرجع السابق

(2) نسبة **ليهود المارانو** بالأندلس، وهم مثل المورسكيين المسلمين الذين أجبروا على التنصُّر عنوة.

(3) يشير مصطلح **مدراش** في المصادر اليهودية الي الكشف الباطني للأقوال المدونة في العهد القديم إضافة إلي معناها البسيط ويستمد مدراش حيويته من العهد القديم ويقوم أساسه الذي وضعه "التنائيم" و "الامورانيم" علي الأسس التي تقوم عليها الشرائع المستجدة في الحياة وتسمي مدارس تدريس التوراة(بيت همدراش) ،انظر:رشاد الشامي ،موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية ،مرجع سابق ،ص 185

محاولة، من جانب الخالق، لا لخلق فراغ وحسب وإنما لتطهير ذاته التي كانت تضم عناصر غير إلهية. ومن ثم، فإن الذات الإلهية لم تكن قط لا طاهرة ولا متوحدة، كما أن عملية توحد الذات الإلهية وتخليصها مما فيها من أدران إن هي إلا عملية تاريخية تُستكمَل في نهاية التاريخ. والواقع أن هذه فكرة حلولية متطرفة يعقبها حادث تَهشُّم الأوعية(شفيرات هكليم)، وأخيراً الإصلاح (تيقون)[1].

ويمكن تفسير بعض مصطلحات دريدا ما بعد الحداثية في ضوء فكرة تسيم تسوم، فالانكماش والاختفاء هو الغياب الكامل (الذي يعقب الحضور الكامل أو حالة البليروما في المنظومة الغنوصية) وصدور التجليات النورانية هو بداية الحضور .

تهشم الأوعية (شفيرات هَكليم שבירת הכלים)

تَهشُّم الأوعية هي ترجمة عبارة شفيرات هَكِّليم العبرية (من فعل «شافار שבאר » بمعنى «حطَّم»)، وتَهشُّم الأوعية مفهوم أساسي في القبَّالاه اللوريانية، وتقع حادثة تهشُّم الأوعية أثناء عملية الخلق، حينما تخرج من عيون الإنسان الأصلي أشعة النور الإلهي التي تأخذ شكل شرارات كان من المفترض أن تُجمَع في أوعية (كليم)، ولكن الأوعية كانت أضعف من أن تتحمل هذا النور، فتهشَّمت وتبعثرت، والحادثة رمز شتات الشعب اليهودي، وهي فكرة حلولية مغالية تربط بين الوجود الإلهي والشعب، وتدور القبَّالاه اللوريانية حول ثلاث أفكار: الانكماش (تسيم تسوم)، وتهشُّم الأوعية، وأخيراً الإصلاح (تيقون)، وهو تكوين ثلاثي يشبه تكوين: الخطيئة . النفي . الإصلاح والعودة [2].

الشرارات الإلهية (نيتسوتسوت) ניצוצות

الشرارات الإلهية هي الترجمة العربية للكلمة العبرية "تنسوتسوت"، والمصطلح تعبير قبَّالي يشير إلى الشرارات الإلهية التي تُحبَس في المادة بعد حادثة تهشُّم الأوعية حسب القبَّالاه اللوريانية. [3]

---

(1) المرجع السابق

(2) عبدالوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، مرجع سابق ، ص 186

(3) المرجع السابق

إصلاح الخلل الكوني (تيِّقون ת יקונ)

إصلاح الخلل الكوني هي الترجمة العربية لكلمة «تيقون»، وهي كلمة عبرية معناها «إصلاح». وتتحدد عملية الإصلاح بعد تخليص الشرارات الإلهية المبعثرة بعد انكماش الإله (تسيم تسوم) وبعد حادث تهشُّم الأوعية، والهدف من عملية الإصلاح أن يصل الإله إلى وحدته ويعم الخلاص العالم، وهي عملية كونية تاريخية شاملة يشارك فيها الجنس البشري بأسره، ولكنها تعتمد بالدرجة الأولى على جماعة يسرائيل، ويضمر المصطلح فكرة أن الذات الإلهية لا تشكل وحدة كاملة لا في الماضي ولا في الحاضر، وأنها ستصل إلى هذه الوحدة في المستقبل من خلال جهد الإنسان وهذه فكرة حلولية متطرفة [(1)].

وكان لوريا وأتباعه يدعون أن تاريخ إسرائيل يسير نحو حالة الإصلاح في مراحله المختلفة ويقولون بان بني إسرائيل في عصر إبراهيم " عليه السلام" كانوا يسيرون بخطي سريعة نحو الإصلاح لأنهم اخلصوا في عبادة يهوه لكنهم اخطئوا بعبادة العجل فعادت مرحلة الانكسار للظهور مرة أخري ثم رجعوا عن ذلك وعادوا لعبادة رب إسرائيل بعد نزول موسي بلوحين للشريعة وهنا بدأت مرحلة الإصلاح تسير بصورة أعظم ثم مالبث أن عادوا للشر مرة أخري وتركوا وصايا التوراة ولم يعبئوا بوصايا الأنبياء فأرسل الرب قوي الشر عليهم التي زادت من طغيانهم وهنا عادوا مرة أخري لمرحلة الانكسار التي استمرت علي مدي سنوات طويلة منذ سبي بابل[(2)] .

---

(1) السابق ، ص 186

(2) scholem:the Messiamic idea in kabbalism.p43

الفصل الثالث

الحركات المنبثقة عن التصوف اليهودي

(الشبتائية،الفرانكية، الحسيدية)

اولا الشبتائية:

لقد مهد الفكر القبالي الحلولي وهيأ العقل اليهودي لفكرة المسيح المخلص وأوحي شبتاي تسفي لمرافقيه بأنه المنقذ والمخلص لليهود وأنه سيضع نهاية لمعاناتهم واضطهادهم وعودتهم مجددا لأرض أجدادهم في فلسطين. ولقد كان هذا التوجه المشيحاني ، والاعتقاد الحلولي لتسفي سببا في نشر حركته فكان ادعاؤه بأنه المسيح المخلص وراء انتشار حركته انتشار النار في الهشيم،وصدقه كثير من اليهود،وأخذوا يستعدون للعودة إلي ارض الميعاد كما أوهمهم وأصبحت حركة تسفي أهم الحركات المشيحانية علي الإطلاق التي هزت اليهودية الحاخامية من جذورها حيث انتشر الفكر الشبتائي بين العديد من القيادات الحاخامية مما مهد الطريق فيما بعد للصهيونية التي ترفض القيود الدينية،والأوامر والنواهي ، وتعلي من شأن الذات القومية علي كل شئ كما أن توجه تسفي للعمل علي العودة الفورية لفلسطين يشبه إلي حد كبير المشيحانية الصهيونية العالمية التي ترفض الموقف الديني التقليدي الذي ينصح اليهود بالانتظار بل وتبادر إلي الإسراع بالنهاية ليبدأ العصر المشيحاني دون انتظار وهذا ما دفع هرتزل للإعجاب الشديد بشبتاي تسفي(1) .

وشبتاي تركي أزميري قيل انه كان يشكو أمراضا عصبية وتنتابه حالات من الهوس والاكتئاب ،وأنه كان يتزوج ويطلق دون أن يقرب النساء ، وأنه لم يبق علي ذمته إلا بغيا طار صيتها في البغاء ، وقيل أنه حدد الثامن عشر من يونيو 1666 م تاريخا لبداية العصر المشيحاني حيث يعم العدل والسلام البشر أجمعين بعودة شعب إسرائيل إلي الأرض ، ولما قبضت علية السلطات التركية بتهمة تعكير الأمن وإحداث فتنة دينية ارتضي الإسلام دينا وتسمي باسم عزيز محمد أفندي ، وبذلك أستن لشيعته سنة التقية ، وبررها لهم المنظر للمذهب الشبتائي المدعو ناثان الغزاوي

---

(1) هدي درويش:حقيقة يهود الدونمة بتركيا "وثائق جددة" ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1 ، القاهرة2003 ص

فقال إن القبالة تدعو لمحاربة الشر ، ولو اقتضي ذلك من المخلص ان يرتدي مسوحه لينفذ إلي معسكره وينازله بسلاحه فيقضي عليه في عقر داره، وقال شبتاي أنه لم يعتنق الإسلام إلا لهذه الغاية، والإسلام عنده هو التوراة التي يقبلها نفاقا في مقابل التوراة الحقيقية التي يقبله صدقا،ومع ذلك فهو قد نسخ هذه التوراة الأخيرة بتعاليمه التي ناقض بها الناموس ، وأملي علي مريديه كتابا بعنوان "سر العقيدة الصحيحة" شرح فيه أصول دعوته كما استخلصها من كتاب الزوهار وقال أنه الإيمان بإلهين واحد للعالمين وأخر لليهود ، والاعتقاد بالشخيناة وهي حضور الله وحلوله في الشعب ، ويزيد فيقول إن رب العالمين هو العلة الأولي ، ومنه كان اله إسرائيل العلة الثانية ،وبنعمته كان الوجود ، والموجودات فيضا منه فيما يسمي(تسيم تسوم) أي انكماش الإله علي نفسه وبذلك سمح بفراغ شغلته المخلوقات[1].

والملاحظ أن شبتاي الذي درس التوراة بشكل جيد، وتعمّق في كتاب الزوهار، وألمَّ بالديانة اليهودية بشكل عام، فعندما يقول إنه وُلد في التاسع من آب فإنه يعرف جيداً أن الهيكل العبري قد دمِّر في هذا اليوم، وحينما يذكر العام 1664 م فإنه يُدرك جيداً أن كتاب الزوهار قد وردت فيه الإشارة إلى أن هذا العام هو الذي يبدأ فيه الخلاص النهائي اليهود[2]، ونتيجة لهذا السلوك الاستفزازي الذي أغضب الحاخامين فقد اتفقوا على أن يطردوه من اليهودية، وهناك منْ دعا إلى قتله مثل أستاذه جوزيف إسكافا، لذلك قرر أن يغادر إلى سالونيك في بداية الخمسينات لأن فيها جالية يهودية كبيرة، وهناك سكن في بيت الحاخام جوزيف فلورنتين ولم يكف عن القيام بأفعاله الغريبة حيث أقام مراسم عقد زواج بينه وبين التوراة فغضب جميع الحاخامين الذين دعاهم للوليمة فاستصدروا أمراً بإخراجه من سالونيك، ثم ذهب إلى أثينا، ومن هناك رجع إلى تركيا عام 1658، واستقر في القسطنطينية وتعرّف على أبراهام يخيني وكان شاعراً وعالماً بعلم القبالا. ومن جمله أفعاله المستفزة الأخرى أنه احتفل بثلاثة أعياد يهودية في الأسبوع وهذا غير جائز في اليهودية، كما ألغى بعض أحكام التوراة، وتناول الطعام المحرّم، وعندها أصدر الحاخامون حكماً آخر بالطرد من

(1) عبد المنعم الحفني: موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية ، مكتبة مدبولي،القاهرة 1994 ص134

(2) حسن ظاظا: الفكر الدين الإسرائيلي أطواره ومذاهبه،مرجع سابق، ص142

اليهودية وجلده أربعين جلدة، وحرّموا على اليهود الاتصال به فغادر إلى مسقط رأسه إزمير، وبسبب أعماله الغريبة وحديث الناس عنه اقترح عليه أخواه أن يسافر إلى فلسطين فحزم أمتعته ورحل من دون تردد[1].

رحلة شبتاي إلى الشرق

غادر شبتاي إزمير عام 1662 م مُتجهاً إلى جزيرة رودس في البحر المتوسط، ثم انطلق من هناك إلى مدينة طرابلس السوريّة ومنها إلى مصر حيث تعرّف على زعيم الجالية اليهوديّة ومسؤول الخِزانة في الدولة روفائيل يوسف جلبي، ومن مصر توجّه إلى فلسطين ووصل إلى أورشليم ودخل إحدى المدارس الدينية، وفي تلك الفترة كان يبقى وحيداً معتكفاً في غرفته يدرس القبالا العملية مع نفسه، وقد عمّق هذا الاعتكاف إحساسه بالكآبة التي كانت تتفاقم يوماً بعد يوم وتترك تأثيرها السلبي على معظم القرارات والمواقف التي كان يتخذها طوال حياته اللافتة للانتباه، وحينما أصابت الجالية اليهودية في أورشليم ضائقة مالية عام 1663 ذهب شبتاي إلى مصر لعلاقته القوية بروفائيل يوسف جلبي، ثم تزوج هناك من سارة التي عُثر عليها بعد مذبحة جميلينكي عام 1648، وإدعّت بأن روح أبيها الذي قُتل في المذبحة المذكورة قد حلّت فيها، ثم ذهبت سارة إلى هولندا ومنها إلى إيطاليا حيث تزوجها شبتاي على الرغم من أنها كانت مُتهمة بعلاقات غير شرعيّة مع الرجال[2].

تُسلِّط هذه الزيجة بعض الضوء على شخصية شبتاي الغريبة والمضطربة في آنٍ معاً، فهو لم يلتفت أبداً إلى سلوكها الغريب مع الرجال، ولم يُعِر الأقاويل الجارحة أي اهتمام ومع ذلك فقد تزوجها ربما لأنها كانت أخّاذة الجمال من جانب، وأنه كان يقلِّد النبي هوشع الذي قال له الرب "**اذهب وخذ لنفسك امرأة زنا وأولاد زنا لأن الأرض قد زنت زنى تاركة الرب**"[3]. احتفل شبتاي بزواجه من سارة في قصر روفائيل جلبي عام 1664 وكان الاحتفال باذخاً جدا. إذا كان زواج شبتاي من سارة

---

(1) انظر عدنان حسين احمد ، الحوار المتمدن ، 2011/6/8 ،عرض لكتاب جعفر هادي حسن : الدونمه بين اليهوديّة والإسلام ،http://m.ahewar.org

(2) المرجع السابق

(3) سفر التكوين 19

علامة فارقة في حياته فإن تعرّفه على ناثان المتنبيء هو نقطة تحوّل جوهريّة في حياته الدينية والفكرية والاجتماعية لما لعبه هذا المتنبيء من دور دراماتيكي قلب حياة شبتاي رأساً على عقب. فمن جهة أصبح ناثان المتنبيء نبي الحركة الشبتائية وكان عمره آنذاك "22" سنة لا غير، كما أخبر شبتاي بأنه هو المسيح اعتمادا على رؤية رآها في المنام! وقد صدّق شبتاي هذا الخبر، وحينما أسرّ له بميله إلى العزلة والاعتكاف وإصابته بالكآبة والقنوط أقنعه المتنبيء بأنها ذات الكآبة التي كان يعاني منها المسيح الأمر الذي خفّف عن شبتاي تداعيات أوضاعة النفسية المضطربة التي أشرنا إليها سلفا[1].

ولما مات شبتاي في البانيا عام 1675م ادّعي ناثان الغزاوي انه لم يقبض كسائر الناس ولكنه رُفع ، وقد ساح في الفضاء وانتشر مع الضياء العلوي ، ولنثان في هذا المذهب كتاب اسمه "سفر البرية" يقول فيه بالفيض،ويزيد فيه علي نظرية الإلهين فيقول إنهما إله واحد لكنه مركب من نقيضين، فهو نور ،ولكن نوره العامل ومنه العاطل، والعامل فعال أبدع المخلوقات، والعاطل هو مبدأ السكون،وهو ينفذ إلي المخلوقات فيقضي عليها بالسكون أي بالموت،ولن يتوقف فعله إلا بنزول المسيح فيرتفع الفناء[2].

وغلاة الشبتية هم الدونمة[3] ، وهي فرقة بتركيا تدعي الإسلام ومنهم طائفة تسمي الباروخية تنسب الي باروخيا روسو أو المبارك روسو الذي قال بإلوهية شبتاي ثم قالت شيعته بإلوهيته هو نفسه وقد قيل إن الشبتية مذهب أريد به أصلا تقويض الإسلام كما يقول صاحبه،أو تقويض كل الديانات الكتابية وإقامة ديانة يهودية ، وأنها أساس الدعوات اللاحقة كالفرنكية التي هدفت إلي تقويض النصرانية من الداخل

---

(1) المرجع السابق

(2) عبد المنعم الحفني: موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية ، مرجع سابق ص134

(3) أطلق الأتراك لقب **الدونمة** أو الدومنه علي أتباع شبتاي عموما وهي كلمة تركية عامية مركبة من كلمتين –دو– فارسية الأصل وتعني اثنين ، ونمه أو منه بمعني نوع أي الفرقة القائمة علي نوعين من الأصول ،النوع اليهودي ، والنوع الإسلامي ، وقد رفض اولئك اليهود الشبتائيين تلك التسمية التركية وأطلقوا علي أنفسهم لفظ المؤمنين انظر حس ظاظا:الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه ،مرجع سابق ، ص313

كما قيل إن الدونمة كانوا وراء مصطفي كمال أتاتورك الذي أنهي الخلافة الإسلامية بتركيا [1] .

ثانيا الفرانكية:

نسبة إلى يعقوب فرانك[2]، التي تعود نشأتُها إلى عام 1759م، حين تَنصَّر فرانك هو ومجموعة من أتباعه على الطريقة المارانية ؛ أي: أظهروا النصرانية، وأبطنوا عقيدتهم الغنوصية حيث كان يعتقد بتقمص الأرواح ويقول أن روح المسيح سكنت أولا سيدنا داود – عليه السلام – ثم انتقلت إلي يسوع المسيح"عيسي بن مريم" –عليه السلام – ،ومنها إلي نبي الإسلام "محمد " –صلي الله عليه وسلم– وحلت بعد ذلك بشبتاي تسفي ، ثم الي تلاميذه حتي انتقلت الصفة المسيحانية اليه شخصيا فسمي نفسه "سانتور سينيور" أي المقدس وزعم أتباعه أنه يصنع المعجزات[3].

ومنظومة فرانك الحُلُولية يصل الحُلُولُ فيها إلى مُنتهاه؛ إذ يحل الإلهُ في المادة، ويَموت وتصبح وحدة وجود ماديَّة كاملة، المادة فيها مقدَّسة تمامًا، والإنسان فيها إله، ومِنْ ثَمَّ فهي أيضًا النقطة التي تَسقُط فيها كلُّ الحدود، ويتساوى فيها المطلق والنسبي، والمقدَّس والمدنَّس، والمُحرَّم والمُباح، وتنقلب القيم رأسًا على عَقِب، ويتساوى الخير والشر، والوجود والعدم؛ لذا منظومة فرانك أكثر حداثة وجذرية من منظومة نيتشه على سبيل المثال[4].

---

(1) عبد المنعم الحفني: موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية ، مرجع سابق ص135

(2) تنتسب تلك الطائفة من الشبتائيين المتطرفين إلي يعقوب فرنك الذي اتبع أفكار شبتاي تسفي ونشرها في أوربا الشرقية ولكنه أبدل الدين الإسلامي بالمذهب الكاثوليكي المسيحي وأبطن اليهودية بتعاليم شبتاي الصوفية الهرطقية ،انظر مني ناظم:المسيح اليهودي ،مرجع سابق ،ص223

(3) انظر حس ظاظا:الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه ،مرجع سابق ، ص128

(4) انظر :بليل عبدالكريم ، قراءة في موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، http://www.alukah.net/Culture/10963/22546

ويتحدَّد إسهام فرانك في أنه خلَّص القبَّالاه من رموزها الكونيَّة المترابطة المركبة، ووضعها في مُصطلح شعبي مُزخرف، وفي إطار أُسطوري، بل طَعَّمها بصور نصرانية مألوفة لدى يهود شرق أوروبا، الذين اختلطوا بالفلاحين السُّلاف في الريف، وابتعدوا عن مراكز الدراسة التلمودية في المدن، وقد تأثَّر الفرانكيُّون بالفرق الأرثوذكسية الرُّوسية المنشقَّة، وخصوصًا الدوخوبور والخليستي. [1]

وتدور العقيدةُ الفرانكية حول ثالوث جديد يتكوَّن مما يلي:

1 – الإله الخيِّر أو الأب الطيب، وهو إلهٌ خَفِيٌّ يَختبئ وراء ثاني أعضاء الثالوث، ولا علاقةَ له بعملية الخلق أو المخلوقات، فهو لم يَخلق الكون، فلو أنَّه خلق الكون، لأصبح هذا الكون خالدًا وخيِّرًا، ولكانت حياة الإنسان أبدية، وهو مقابل "الإين سوف" في العقيدة القبَّالية.

2 – الأخ الأعظم أو الأكبر، ويُسمَّى أيضًا: "هذا الذي يقف أمام الإله"، وهو الإله الحقيقي للعقيدة، الذي يُحاول العبد التقرب منه، ومن خلال الاقتراب منه يستطيع العابد أنْ يحطم هيمنة حكام العالم الثلاثة: قيصر روسيا، والسلطان العثماني، وحاكم إحدى القُوى العظمى الأخرى، ولعلها النمسا أو ألمانيا، الذين يُهيمنون على العالم، ويفرضون عليه شريعة غير ملائمة، والأخ الأعظم المقابل "للتفئيريت" أو الابن، ولبعض التجليات الأخرى – مرتبط بالشخيناه التي هي الأم التي يُقال لها (علماه).

3 – الأم (علماه)، أو العذراء (بتولاه)، أو (هي)، وهي خليط من الشخيناه والعذراء مريم، والواقع أنَّ صورة الأنثى في الثالوث الفرانكي جعلت العنصرَ الجنسي الكامن في القبَّالاه اللوريانية، أو في الحركة الشبتانية – عنصرًا أكثر وضوحًا، وقد استخلص الفرانكيُّون أنَّ التجربة الدينية الحقة لا بُدَّ أن تأخذ شكل مُمارسة جنسية، ولن يصل العالم إلى الخلاص إلا باكتمال الثالوث الجديد السابق، وهذا الثالوث أقربُ إلى شخصيات المنظومة الغنوصية: الإله الخفي "الديوس أبيسكونديتوس"، والمخلص "الكريستوس"، والحكمة "صوفيا"[2].

---

(1) المرجع السابق.

(2) المرجع السابق .

وشبتاي تسفي نفسه – حسب التصور الفرانكي – ليس إلا أحد تجليات الإله، فهو تجسيد جديد للأَخِ الأعظم، ولكنه تَملَّكه الضَّعف، وهو بَعُدَ في منتصف الطريق، فلَمْ يستطع تحقيق أي شيء[1].

ووصولاً إلى الخلاص لا بُدَّ أن يظهر ماشيَّح جديد يُكمِّل الطريق، ولا بُدَّ أيضًا أن تظهر العذراء كتجسيد للعنصر الأنثوي، وحتى يتحقَّق الخلاص ينبغي أنْ يَسير المؤمن بالعَقيدة الفرانكية في طريق جديد تَمامًا، لم يطرقه أحدٌ من قبل، وهو طريق عيسو "أدوم"، الذي يُشار إليه في (الأجاداه) بلفظ "أدوم"، ويُستخدَم اللفظ نفسه للإشارة إلى "روما"؛ أي: القوى الكاثوليكية.

فعيسو رمز تَدفُّق الحياة، الذي سيُحرر الإنسان والحياة، فهو قوة لا تَخضع لأيِّ قانون، حالة سيولة كونية ورحمية.

وقد جاء في التوراة (تكوين 14/33) أنَّ يعقوبَ قال: إنَّه سَيَزُورُ أخَاه، ولكنه لم يفعل؛ لأنَّ الطريق كان صعبًا عليه، وقد حان الوقت لأَنْ يسيرَ الماشيَّح في ذلك الطريق، الذي يُؤدي إلى الحياة الحَقَّة، التي تَحمل كُلَّ معاني الحرية والإباحية، ولنلاحظ هذا الارتباطَ بين حالة السيولة الرحمية، والإباحيَّة الجنسية، وهو أمر مُتكرر في الأنماط الحلولية كما يري فرنك ان قمة الصعود تأتي حينما يسقط الإنسان إلي القاع وإصلاح الروح لايأتي إلا بإتباع سلوك الفجور[2].

فالطريقُ الجديد يؤدي إلى عالَمٍ لا توجد فيه قوانين ولا حدود، عالَم تَمَّ فيه التجرُّد من كل الشرائع والقوانين والأديان، لكنه عالم ليس فيه حدود، وتُصبح العدمية والتخريب هما طريق الخلاص.

---

(1) يعتقد **فرانك** ان الروح التي كانت تسكن شبتاي تسفي قد تقمصته وتجسدت فيه ، واعترف به الشبتائيون وأعلنوه زعيما عليهم لكن المحكمة اليهودية عارضته بسبب ممارساته الجنسية ، فأسقط الفرانكيون اليهودية عنهم ،وأكدو أن معتقداتهم تشترك مع الكنيسة ووافقت الكنيسة ،وقبلت تنصر فرانك الا أنه ظل مبطنا عقيدته الغنوصية القبالية اللوريانيه ،وظل أتباعه يعتقدون أنه "المسيح المعذب" الذي سيخلصهم ، وأن الرب أرسله لينقذ الشخيناه يسرائيل من محنتها . أنظر : هدي درويش ،عقيدة القبالة ودورها في تشكيل العقلية اليهودية العنصرية المعاصرة، مرجع سابق، ص233

(2) هدي درويش : ،عقيدة القبالة ودورها في تشكيل العقلية اليهودية العنصرية المعاصرة، مرجع سابق، ص232

فهذا العالم الشِّرير لم يخلقه الإله الخفيُّ، وهو مادة دنيئة تَقِفُ في وجه وصول الإنسان إلى الأخ الأعظم، ويُلاحَظ هنا الأثر العميق للغنوصية.

وحتى يتم إنجاز هذا الهدف لا بُدَّ أن تُحطَّم كل القوانين والتعاليم والمُمارسات، التي تعوق تدفُّق الحياة؛ يقول مُؤسس الحركة: "لقد أتيتُ لأُحرر العالَم من كلِّ الشرائع والعادات الموجودة فيه، إنَّ مُهمتي هي إزالةُ كلِّ شيء؛ حتَّى يستطيعَ الإلهُ أنْ يكشفَ عن نفسه"[1].

ثُم تظهر العدمية الدينية بشكلٍ أوضح في الحديث عن الطَّريق إلى الحياة الجديدة، فهو طريق جديد تمامًا، وكما يقول فرانك: "أينما كان يَخطو آدم، كانت تنشأ مَدينة، لكن أينما أضع أنا قدمي، يَجب أن يُدمَّرَ كلُّ شيء، فقد أتيت إلى هذا العالم؛ لأُدمِّر وأبيد" ، والطريقُ الجديد طريقٌ غير مرئي، لا يكون إلاَّ في الخفاء؛ لذا يتعيَّن على المؤمنين أنْ يرتدوا رداءَ عيسو (أي: النصرانية)، فعليهم أنْ يتظاهروا بالتنصُّر، والواقع أنَّ التظاهر بدين واعتناق دين آخر من أهمِّ مُمارسات جماعة الدوخوبور من النصارى الرُّوس المنشقين[2].

والمؤمن الحق يَختبئ تحت "عباءة الصَّمت"، يَحمل الإلهَ في قلبه الصَّامت، فيعتنق الديانات الواحدة تِلْوَ الأخرى، ويُمارس شعائرها، لكن التغلُّب على الأديان الأخرى وتدميرها يتطلَّب من الفرد أنْ يكونَ صَامتًا تَمامًا ومُخادعًا: "فالإنسان الذي يرغب في غزو حصنٍ لا يفعل ذلك بالكلام والإعلان، بل يتسلَّل إليه في صمتٍ وسكون، لقد تَحدَّث الأجداد كثيرًا، لكنهم لم يفعلوا شيئًا؛ لذلك يَجب الآن تَحمُّل الصمت، وحينئذ لن يكونَ الفرد في حاجة إلى الدين"، ويتَّضح هنا أثر يهود المارانو المتخفِّيين.

وحينما يُمارس المؤمنُ طقوس الديانات الأخرى، فدون أنْ يتقبل أيًّا منها، بل يُحاول أن يُحطمها من الداخل، فهو يؤسس الحرية الحَقَّة؛ إذ الواقعُ أنَّ الديانة المنظمة على أساس مؤسسي، التي يعتنقها اليهوديُّ المتخفي – ليست سوى عباءة يرتديها المرء، كرداء يُلقي به (فيما بعد) في طريقه إلى المعرفة المقدَّسة، وهي

(1) عبدالوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، مرجع سابق ، ص 299

(2) المرجع السابق

المعرفة الغنوصية بالمكان، الذي تُحطَّم فيه كل القيم التقليدية في تيار الحياة، في طريقٍ غيرِ مُرتَبِط بأي قانون، وإنَّما مُرتبط بإرادة فرانك وحدَه.

وإذا كان الإفصاحُ عن الإيمان بالنصرانية ضروريًّا، فإنَّ الاختلاط بالنصارى وكذلك الزواجَ منهم مَحظور.

وفرانك نفسه – في المنظومة الفرانكية – تجسيدٌ آخر للأخ الأعظم تقمَّصته الروح القدس، سمَّى نفسه "سانتو سنيورا"؛ أي: "السيد المقدَّس"، وروَّج للمفهوم القبَّالي اللورياني للشر، وهو مفهوم يرى أنَّ الشر ليس حقيقيًّا، وكل شيء – وضمن ذلك الشر نفسه – هو خير أو علقت به شرارات إلهية على الأقل[1].

ومن هنا، فقد أعلن فرانك أنَّ ظهور الماشيَّح أضفى القَداسة على كلِّ شيء في الحياة حتى الشر، وبهذا بَرَزت فكرة "الخطيئة المقدَّسة"، التي ترى أنَّه ينبغي الوقوع في "الخطيئة الكبرى"؛ حتى ينبثقَ عالَم لا مكان فيه للخطيئة، عالم هو الخير كله.

ولكي يصعد الإنسانُ، يَجب عليه أن يهبطَ أولاً يقول فرانك : "إنَّني لم آتِ إلى هذا العالم؛ لكي أصعدَ بكم، بل لأهبط بكم إلى قاع الهوة؛ حيثُ لا يستطيع الإنسانُ أنْ يصعدَ بقُوَّته الذاتية"، أمَّا النُّزول إلى تلك الهوة، فهو لا يقتضي فقط ترك كلِّ الأديان والمعتقدات، بل يوجب أيضًا اقتراف أعمال آثمة غريبة"[2].

وهذا يتطلب أنْ يتخلَّى الإنسان عن الإحساس بذاته، إلى درجةٍ تُصبح معها الوقاحة والفجور هما ما يقود إلى إصلاح الأرواح، وقد عَيَّن فرانك اثني عشر من الإخوة أو الحواريِّين أو الرُّسل، هم تلاميذه الأساسيون، مثل حواريي المسيح، ولكنه عَيَّن أيضًا اثنتي عشرة أختًا كُنَّ في واقع الأمر خليلاتِه، فمن الواضح أنَّ فرانك استمر في الممارسات الجنسية، التي كان يُمارسها بأروخيا، وأعلن أنه سيخلص

---

(1) المرجع السابق

(2) لعل ذلك ما دفع فرنك لممارسة اعمل جنسية مخلة فقد عين الي جانب اثني عشر تلميذا من تلامذته اعتبرهم حواريين له أثني عشر فتاة كن في واقع الأمر خليلاته... بل كانت تربطه بابنته – التي تولت الحركة من بعده– علاقة جنسية تتم في ذروة الانحلال الخلقي مجاوزة كافة الحدود. انظر: عبد الكريم محمد بنداري ،القبالة اليهودية تعاليمها وأسرارها الروحية وخطرها علي المجتمعات الإسلامية في آسيا ، رسالة دكتوراه مقدمة لمعهد البحوث والدراسات الأسيوية بالزقازيق 2007 م .

العالم من كل النواميس الموجودة، وسيتجاوز كُلَّ الحدود، فقضى ببطلان الشريعة اليهودية، ورغم أنَّ الإله أرسل رسلاً إلى جماعة إسرائيل، فإنَّ التوراة تتضمن شرائع يصعُب مراعاتها، وثبت عدم جدواها، والشريعة الحقَّة هي إذًا "التوراة الروحية"، أو "توراة الفيض"، التي أتى بها شبتاي تسفي(1).

وشن فرانك حربًا شعواء على التلمود، وأعلن أنَّ الزوهار هو وحدَه الكتاب المقدَّس؛ لذا الفرانكيون يُدْعَوْن باسم "الزوهاريِّين"، ومع هذا وصلت العدمية بفرانك إلى مُنتهاها؛ إذ طلب من أتباعه التخلِّي عن الزوهار نفسه، وعن كل تراث قبَّالي.

كانت كل هذه الأفكار تعمل على إعداد أتباعه للتَّنصُّر المارانى الظاهري؛ حيث كان لهم شرط أساسي هو الاحتفاظُ بشيء من هُويتهم اليهودية العلنيَّة، كأَنْ يَمتنعوا عن حلاقة سوالفهم، وأنْ يَرتدوا الثيابَ الخاصة بهم، ويُبقوا أسماءَهم اليهودية إلى جانب أسمائهم النصرانية الجديدة، وألاَّ يأكلوا لحم الخنزير، وأن يستريحوا يوم السبت، ولعلَّ من المفارقات أن مثل هذه الشعائر السطحية كانت كلَّ ما تبقَّى من اليهودية بالنسبة للبعض؛ كما طالبوا بإعطائهم رقعةَ أرض في شرق جاليشيا، تستطيعُ جماعتُهم أنْ تؤسِّس فيها حياتها الجديدة، وخصوصًا أنَّ مسرح الخلاص في الرؤية الفرانكية هو بولندا وليس صهيون

هذا مع وضع برنامج لتحويل اليهود إلى قطاع مُنتج، وأكَّد فرانك أهميةَ الجوانب العسكرية في تنظيمه، ونادى بأن يترك اليهود الكتب والدراسات الدينيَّة، وأنْ يتحولوا إلى شعب مُحارب، وكان معظم أتباعِ فرانك من الفقرَاء، أو من اليهود الذين يشغلون وظائف هامشية لم يَعُد لها نفع، وكان هؤلاء قد فقدوا علاقتهم بالمؤسسة الحاخامية، وزادت علاقتهم بالفلاحين السلاف، حتى إنَّهم تأثَّروا بفكرهم ومعتقداتِهم، كما انضمَّ إليه عدد كبير من صِغَار الحاخامات، الذين لم يُحققوا ما كانوا يَطْمَحون إليه من نَجاح، وكانت الحركة تضُمُّ غير قليل من كبار التجار الأثرياء(2).

---

(1) عبد المنعم الحفني: موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية ، مرجع سابق ص151

(2) انظر :بليل عبدالكريم ، قراءة في موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ،مرجع سابق

دواعي ظهور الحركة:

ظهرت الفرانكية تعبيرًا عن أزمةٍ كان يَجتازها كلٌّ من اليهود واليهودية:

1 – أما اليهودية، فمن المعروف أنَّها كانت قد وصلت مع انتصاف القرن الثامنَ عَشَرَ إلى طريق مسدود، فقد تَحولت إلى عبادة عقليَّة جافَّة، سيطر عليها الحاخامات بدراساتِهم التلمودية المنفصلة عن أيِّ واقع، وتَمثَّلت فيما يُشبه التمارين المنطقية، ورُبَّما كانت العدمية الواضحة في فكر فرانك تعبيرًا عن الملل والسَّأم من هوية يهودية دينيَّة قد تآكلت.

2 – بدأت الدراسات القبَّالية تحل محلَّ الدراسات التلمودية، ولكن القبَّالا التي سادت كانت القبَّالا اللوريانية بنَزعتها المشيحانية المتفجرة واتِّجاهها الحلولي المتطرف؛ لهذا لم تَصلُح كإطارٍ لحركة تَجديد وإصلاح اجتماعية.

3 – تَعرَّض اليهود لهجمات شميلنكي، ثم الهايدماك والفلاحين القوزاق، ولهجمات سكان المدن البولندية والكنيسة الكاثوليكيَّة، فلاذوا بمنطقة كانت تتنازعُها الدول المجاورة، وكانت مُقاطعة بودوليا، التي نشأت فيها الفرانكية وغيرها من الحركات – تابعة للدَّولة العُثمانية بعض الوقت، ولا شكَّ في أن هذا الوضع السياسي القلق سبَّب للجماهير اليهودية كثيرًا من الخوف وعدم الاطمئنان، جعلها تبحث عن مخرج.

4 – بدأت الجماعات اليهودية تَفقِدُ دَورها كجماعة وظيفية وسيطة تعمَل بالتجارة والوظائف الأخرى، وذلك بظهور عناصر بولندية محليَّة أخذت تَحل مَحلَّها ودورها، وبدأ وضع اليهود الاقتصادي يسوء تبعًا لذلك، وتنعكس الأزمةُ الاقتصادية للجماعة اليهودية في أزمة (القهال)، الذي تحوَّل إلى مُؤسسة مدنية تثقلها الأعباء المالية، وزادتِ التوتُّرات الاجتماعية بين اليهود، بدلاً من أن تكون مؤسسة لحلها.

5 – وبرغم تفاقُم الأزمة، فلم تظهر فرص اقتصادية بديلة، كما لم تظهرْ أشكال اجتماعية، داخل الجماعة اليهودية أو خارجَها، تحل لها أزمتها وتُساعد أعضاءَها على الاندماج في المجتمع مرة أخرى، من خلال الاضطلاع بوظيفةٍ إنتاجية مُحددة، توجد داخل المجتمع نفسه لا في مَسامِّه؛ لذا كانت الصيغة الشبتانية المارانية صيغةً مُلائمة للاندماج ولحل الأزمة، فما كان يقترحه فرانك هو تكوين جماعات (يهودية نصرانية)، تتساوى في الحقوق مع المواطنين كافَّة، ويُمكنها أن تذوب فيهم، وهدف

هذه الصيغة التقليلُ من آلام الانتقال، فجماعة (يهودية نصرانية) تعيش داخل منطقة زراعية مقصورة عليها يُمكنها التكيُّف والاندماج، وفي نهاية الأمر الانصهار في المجتمع الأكبر، دون أنْ تضطر إلى تَبنِّي الأشكال النصرانية البولندية دفعة واحدة، والفرانكية تشبه في هذا الماسونية الرُّبوبية [1]، وهما حركتان تستخدمان خطابًا دينيًّا يُخبئ مضمونًا عَلمانيًّا لتخفيف آلامِ الانتقال من عقيدة إلى أخرى[2].

---

(1) **الماسونية الربوبية** تستجيب لحاجة أولئك الذين فقدوا إيمانهم بالدين التقليدي ولكنهم لا يزالون غير قادرين على تَقبُّل عالم اختفى منه الخالق تماماً، أي أنهم بشر جردوا العالم من الدين والقداسة واليقين المعرفي والأخلاقي ولكنهم احتفظوا بفكرة الخالق في صيغة باهتة لا شخصية، حتى لا يصبح العالم فراغاً كاملاً، والفكر الربوبي لا يطالب من يؤمن به بأن يتنكر لدينه، إذ أن المطلوب هو أن يعيد تأسيس عقيدته، لا على الوحي وإنما على قيم عقلية مجردة منفصلة تماماً عن أي غيب، أي منفصلة عن الأنساق الدينية المألوفة للتفكير. فالربوبية، في واقع الأمر، فلسفة علمانية تستخدم خطاباً دينياً، أو ديباجات دينية، للدفاع عن العقل المادي المحض، وعن الرؤية التجريبية المادية. ومن ثم، فهي وسيلة من وسائل علمنة العقل الإنساني ، وفي هذا الإطار الفكري والفلسفي والديني، وُلدت الماسونية. وقد تم تأسيس أربعة محافل متفرقة في إنجلترا في القرن السابع عشر، جمعها كلها محفل واحد مركزي تأسس عام 1717 مع بدايات عصر العقل وحركة الاستنارة. ويُعَد هذا التاريخ هو تاريخ بدء الحركة الماسونية، وقد سُمح لليهود بالالتحاق بها عام 1732. ودخلت الحركة الماسونية فرنسا عام 1725، وإيطاليا وألمانيا عام 1733 م ، وإن أردنا تلخيص فكر أولى الماسونيات التي نقابلها، ولنسمها «الماسونية العقلانية» أو «الماسونية الربوبية»، لقلنا إنها تنادي بتوحيد كل البشر من خلال العقل، كما تنادي بإسقاط الدين مع الاحتفاظ بالخالق خشية الفوضى الفلسفية الشاملة.انظر عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، مرجع سابق ، ص211

(1) انظر :بليل عبدالكريم ، قراءة في موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ،مرجع سابق

ثالثا الحسيدية:

بالعبرية (حسيدوت)؛ مُصطَلح مُشتَقٌّ من الكلمة العبرية (حسيدחסיד)؛ أي: (تقي) وهو الرجل المستقيم الذي يعامل الناس بالحسنى وينفذ وصايا الرب وقد نسب القباليون لولي الله الصالح قوي إلهية حيث يتوسط بين الرب وشعبه حيث أن هؤلاء الأولياء هم فقط الذين يستطيعون استجلاب الخير من العوالم الروحانية إلي العالم المادي [1]، ويدلُّ الجذر في العبرية على معنى الإحسان وعمل الخير، ويُستخدَم المصطلَح للإشارة إلى عِدَّة فِرَق دينيَّة في العصور القديمة والوُسطَى، ولكنَّه يُستَخدَم في العصر الحديث للدلالة على الحركة الدينية الصوفية الحلولية، اليهودية الأرثوذكسية، التي أسَّسها وتزعَّمَها بعل شيم طوف (1700 – 1760م) ، وهو إسرائيل بن أليعازر ، وكان أقرب لشخصيَّة المسيح الدجَّال؛ يُمارِس الطبَّ على طريقة المُشَعوِذين، مُدَّعيًا معرفة اسم الله الأعظم [2].

ويُعرف الأستاذ الدكتور حسن ظاظا الحسيديم "هيحاسيديم הסידים " –وترجمتها الأتقياء– بأنهم شعبة من المتصوفين وصلوا باليهودية المظلمة ربيبة الجيتو(الأحياء المغلقة التي عاش بها اليهود في العصور الوسطي) الي أقصي درجات الدروشة والتعلق بالبدع والخرافات وادعاء فعل الخوارق والمعجزات وعلم الغيب ونحو ذلك من مظاهر الدجل التي تلازم انحطاط الفكر الديني في كل الأديان[3].

---

(1) رشاد الشامي:موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية،المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ،القاهرة2001، ص256 وكذلك عبدالمجيد همو: "الفِرَق والمذاهب اليهودية منذ البدايات"؛ دار الاوئل ، دمشق 2003، ص53.

(2) **إسرائيل بن اليعزر** المعروف ببعل شمطوف أي العارف بالله أو بأسرار الاسم الأعظم، وهو من أهل السلوك ، وطريقته الحصيدية من الحصيد وهو ما تبقي في الأرض من الزروع ليبلغه المنجل ، فالحصيدون هم البقية الصالحة ،وهم المتقون،والتقوي عند شمطوف هي أن لاترى في الوجود بنباته وحيوانه وجماده إلا الله، وهو حلولي إباحي يقرن الذكر بالرقص والإنشاد بالعزف ، ولاينصح بالذهد ، وينأي عن الصيام ، وتعاليمه استقاها من شبتاي تسفي وإسحاق لوريا ولم يترك البعل كتابات تذكر إلا أن تلميذه يعقوب يوسف قد توفر علي مواعظه ، ونشرت عام 1938 في نسخة محققة بعنوان "سفر بعل شمطوف" انظر: موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية ،مرجع سابق ص 77.

(3) انظر مني ناظم:المسيح اليهودي ،مرجع سابق ،ص239.

وبدأت الحركة في جنوب بولندا وقُرَى أوكرانيا في القرن الثامن عشر، وخصوصًا في مُقاطَعة بودوليا في جنوب شرق أوكرانيا، وقد كانت هذه المُقاطَعة تابِعةً لتركيا في نهاية القرن السابع عشر، التي ظهرَتْ فيها الحركة الفرانكية، كما ظهرَتْ فيها فِرَقٌ نصرانيَّة حلوليَّة ذات طابع غَنُوصي مُتَمَرِّدة على الكنيسة الأرثوذكسية الروسية؛ مثل: الدوخوبور، والخليستي، والسكوبستي ، وانتشرت الحسيدية منها إلى وسط بولندا وليتوانيا وروسيا البيضاء، ثم المناطق الشرقية من الإمبراطورية النمساوية المجرية: جاليشيا، وبوكوفينا، وترانسلفانيا، وسلوفاكيا، فالمجر ورومانيا، ولكنْ جُلُّ تمركزها في الأراضي البولندية التي ضمَّتْها روسيا إليها [1].

انتشرت الحسيدية بادِئَ الأمر في القُرَى بين أصحاب الحانات والتجَّار والريفيين والوُكَلاء الزراعيين، ثم انتشرَتْ في المدن الكبيرة؛ حتى أصبحَتْ عقيدة أغلبية الجماهير اليهودية في شرق أوربا بحلول عام 1815م، بل يُقال: إنها صارت عقيدة نصف يهود العالم آنذاك، إلى جانب أنها عقيدة أغلبية يهود اليديشية [2].

لم تضمَّ الحركة في صفوفها كثيرًا من العُمَّال والحرفيين اليهود؛ لأنَّ الأساس الاقتِصادي لوجودهم كان ثابتًا، وأولادهم لا يَدرُسون إلا التوراة، وبعضهم يترك المدارس لفقرهم؛ لذا لم يخوضوا في دراسة الشريعة الشفوية؛ وبالتالي كانت أفكار

(1) عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، المجلد الخامس، الجزء الثالث، الباب الرابع، مدخل: الحسيدية: مرجع سابق ،334

(2) **اليديشية** (**ייִדיש**، يديش/**אידיש**، ايديش) لغة جرمانية يتحدثها ما يقارب 3 ملايين شخص حول العالم، أغلبهم يهود أشكناز. الاسم يديش هو يديشية لكلمة "يهودية" وقد تكون تقصير لـ"يديش–تايتش" (**דיש־טײַטש**) أو ألمانية–يهودية، وكانت في البداية لهجة ألمانية خاصة باليهود في أوروبا منذ القرن العاشر الميلادي. وهي مستخدمة الآن في الولايات المتحدة، وبخاصة في نيويورك بسبب هجرة اليهود الأشكناز. 80 بالمائة من كلمات اللغة ألمانية بالإضافة إلى بعض الكلمات العبرية والسلافية، وخاصة البولندية بعد هروب اليهود إلى بولندا وشرق أوروبا بسبب الحروب الصليبية. عادة ما تكتب اللغة بالحروف العبرية.

الحسيدية غريبة غير مفهومة، كما أنَّ الأحزاب الاشتراكية والثورية نجحَتْ في ضمِّ الطبقات الفقيرة الكادحة إلى صفوفها[1].

دواعي انتشار الحركة الحسيدية:

ويرجع نجاح الحسيدية إلى عوامِل اجتماعية وتاريخية:

ضَنْكُ العَيْشِ: فالجماهير اليهودية كانت تَعِيش في بؤس نفسي وفقر اقتصادي شديد بسبب التدهور التدريجي للاقتِصاد البولندي؛ إذ طُرِد كثيرٌ من يهود الأرندا، وأصحاب الحانات من القُرَى الصغيرة، الأمر الذي زاد من عدد المتسوِّلين واللصوص والمتعطِّلين، ويُقَال: إن عُشْر أرباب العائلات كانوا بلا عمل، وكانت قيادة الحركة الحسيدية – أساسًا – من يهود الأرندا السابِقين ومُستأجِرِي الحانات وأصحاب المحال الصغيرة[2].

عمليات القتل: فهذه الجماهير كانت في خوف دائم بعد هجمات شميلنكي [3]، وعصابات الهايدماك من الفلاحين القوزاق.

الإحباط الجماعي: والعميق، بعد فشَل دعوة "المسيح الدجَّال" شبتاي تسفي (4) وتحوُّله إلى الإسلام، فقد كان أمَلاً لاح في الأُفُق بأنَّ المسيح المُنتَظر جاء لإنقاذ اليهود وعودتهم لأرض الميعاد؛ كي يحكموا العالم، فإذا بالمسيح يُعلِن إسلامه (نفاقًا).

---

(1) عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، المجلد الخامس، الجزء الثالث، الباب الرابع، مدخل: الحسيدية: مرجع سابق ،ص335

(2) انظر : بليل عبد الكريم، الحركات الباطنية اليهودية الحديثة :الحركة الحسيدية ،الالوكة الثقافية 2010/5/15 م ، http://www.alukah.net/Culture/0/21748

(3) هو بوغدان زينوف شميليكي **(جميلنكي)** ت 1675م، مزارع أوكراني، قاد ثورة ضد حكم البولنديين لأوكرانيا عام 1648م، بعد أنْ أُحرِقَتْ مزرعته من قِبَلِهم وذُبِح طفله الصغير، استمرَّتْ ثورته سنوات قُتِل فيها خلق كثير منهم اليهود البولنديين.

(4) الذي ادَّعى أنه مُخَلِّص اليهود ومُعِيدهم لأرض الميعاد، فاستخفَّ قومَه فأطاعوا واتَّبَعه خلق كبير، ثم بان كذِبُه، فادَّعى الإسلام كذبًا هو وأنصاره، وهم يهود الدونمة، فأحدَثَ صدمة نفسيَّة عميقة لِمُريدِيه ومَن زحَفُوا نحو دعواه، فأُصِيبوا بإكتئاب جماعي شملهم أجمعين، ورأوا أن الدنيا كلها تمقتهم وهي تُصارِع أحلامهم.

المنظومـة الاقتصـادية الجديـدة: زادَتْ من حِدَّة مَشاعِر الإحباط النفسي الديني التحوّلات الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تَخُوضُها مجتمعات شرق أوربا آنئذٍ، هذه التحوّلات التي جعلت من القهال شكلاً إقطاعيًّا طفيليًّا لا مضمون له، يَقُوم باستغلال اليهود لحساب الحكومة البولندية والنُّبَلاء البولنديين، ولحساب مُوظَّفي القهال من اليهود الذين كانوا يشترون المناصب.

التخلُّـف الثقـافي: وقد صاحَب هذا الوضع الاقتصادي المتردِّي تدنِّي الحياة الثقافية والدينية داخل الجيتو إلى درجة كبيرة، وصار اليهود يَعيشُون في شبه عُزْلَةٍ عن العالم، بل في عُزلَة عن المراكز التلمودية في المدن الكبرى، وتحولت اليهودية الحاخامية إلى عقيدة شكلية، تافِهَة وجافة، خالِيَة من المضمون الرُّوحي والعاطفي، تُؤَكِّد الأوامر والنواهي دون اهتِمام بالمعنى الرُّوحيِّ لها، لهم نمَط التَّرَف الجدلي، بعيدة عن واقع الناس ومَآسِيهم، لها عالمها الآخَر الذي يلفظ كلَّ مَن ليس حاخاميًّا.

انتِشار السحر والشعوذة والتراث القابالي: فقد أحكمت القبالا هيمنتها على الفكر الديني اليهودي بين جماهير اليهود، وحتى بين طلاب المدارس التلمودية العُلْيَا

وأعضـاء المؤسسـة الحاخاميـة، والفكـر القبـالي الحلـولي قـادِرٌ علـى إشبـاع التطلُّعـات العاطفية لدى الجماهير الساذجة اليائسة[1].

التـأثُّر بـالمُحِيط النصـراني: فبعد أن عاشَـر اليهـود فلاحـي أوكرانيـا وشـرق أوربـا لمئـات السنين بعيدًا عن المؤسسـات الحاخاميـة فـي المـدن الكبـرى والمـدن الملكيـة – تأثَّروا بفولكلور فلاحي شرق أوربا، وبمعتقداتهم الشعبية الدينيـة، وبوضـعهم الحضـاري المُتَدَنِّي بشـكل عـام، وتـأثَّر الحسـيديون بـالتُّراث الـديني النصـراني، خصوصًـا تـراث جماعـات المنشقِّين فـي روسيا وأوكرانيـا، بـا لروسيـة: راسكولنيكس Raskolniks من

(1) تحدث **الحاخام شموئيلي** رئيس الأكاديمية التلمودية العليا بالقدس المحتلة، بمسؤولية ثلاثة حاخامات عن تصفية الرئيس عبدالناصر عام 1970، والحاخامات الثلاثة من كبار المتصوفين اليهود هم إسحق كدورى، وشاؤول داوود حي معلم، ويوسف زاروق، وينتمون جميعا لحركة القبالاه المشهورة بإتقان أعمال السحر الأسود والدجل والشعوذة.، حيث اجتمع الحاخامات المتبحرون فى العلوم الدينية اليهودية، وتشاوروا فيما بينهم لاغتيال عبدالناصر، لكن شاؤول دافيد معلم هو الذى قام بالمهمة الأساسية، فقد أحضر كبد حيوان، وقلبه ورئته، وقرر الثلاثة قتل عبدالناصر عقابا له على الكوارث التى حلت بإسرائيل نتيجة مواقفه السياسية، واتفق الثلاثة على استخدام أسماء الجلالة اليهودية الواردة فى مخطوط ديني قديم، نسخه الحاخام حاييم فيتال تلميذ الحاخام اسحق لوريا مؤسس القبالاه المتوفي فى القرن السادس عشر، وبعد مناقشات كثيرة، اتفقوا على كتابة الأسماء القدسية على الكبد، لاستخدامه فى قتل عبدالناصر، ويقول شموئيلي أنه فجأة هبطت عليهم ملائكة من السماء ودق هاتف فى أذني الحاخام" شاؤول داود حى معلم"، وقال له لا تفعل هذا الأمر، إياك واستخدام أسماء رب العزة، فقال الحاخام "حسنا، لن أستخدم الأسماء المقدسة، لكن عليكم أن تقوموا بهذه المهمة، فليمت عبدالناصر، ويختفى اسمه من سجل الأحياء ." وأخذ الحاخام شاؤول دافيد، والحاخام إسحق كدورى مائة مسمار صلب، وشرعوا يغرسونها فى قلب الحيوان، وكانوا يرددون بعض الكلمات المبهمة مع كل مسمار يغرسونه فى هذا القلب، وفى النهاية وضعوا القلب على موقد طبخ لمدة ثلاثة أيام، حتى تفحم تماما، وصار أسود اللون ولا يمكن التعرف عليه، وبعد ذلك دفنوه، وأعلنوا لتلاميذهم أن عبدالناصر مات .

من جانب آخر نشرت صحيفة "معاريف" تقرير تحت عنوان (اللعنة السرية التي ألقاها المتصوفون على ناصر) قالت فيه أن هناك حالة من الغضب في مصر، بعد أن إكتشفوا أن ثلاثة حاخامات من بينهم الحاخام "كدوري" قاموا بعمل لعنة ضد رئيسهم السابق، الذي مات بعدها بفترة قصيرة، وأضافت أن أحد الطقوس التي قام بها ثلاثة حاخامات متصوفون من القدس قبل 38 سنة، أثارت غضب المصريين بعد أن إكتشفوا أن ناصر مات بعد أن أصيب بلعنة سرية، وأن الأمر تسرب من خلال مشاهد فيديو تحدث خلالها الحاخام "بنيهو شيمويلي" وكشف عن الأمر، كما نقلت الصحيفة الإسرائيلية ما أوردته صحيفة المصري اليوم بالنص، لتجعل الموضوع وكأنه بالفعل يشغل الرأي العام المصري .! وبصفة عامة، تُنشر مثل هذه الموضوعات في عشرات المواقع الإلكترونية الخاصة " بالقبالا" ، وهناك الآلاف من الخرافات التي تنشرها مثل هذه المواقع عن النبوئات والخلاص والتوقعات وتفسير الأحلام، وتطرق حتى للأوضاع الحالية على سبيل المثال أن مصير أولمرت سيكون غيبوبة على غرار شارون، وأنه بوفاة صدام حسين بدأ الخلاص اليهودي انظر: صحيفة "معاريف الاسرائيلية " تقرير تحت عنوان (اللعنة السرية التي ألقاها المتصوفون على ناصر) بتاريخ 2009/3/8 ،وكذلك ، محمد عبود،آخر خرافات إسرائيل.. حاخامات: قتلنا جمال عبدالناصر بالسحر الأسود ، المصري اليوم بتاريخ ٦/ ٣/ ٢٠٠٩

فعل (راسكول raskol) بمعنى (ينشقُّ)، فالقرنان السابع عشر والثامن عشر شَهِدَا ظهور جماعات دينية نصرانية مُتَطرِّفة، مثل:

الدوخوبور: المُتَصارِعون مع الرُّوح، وكان بينهم مدام بلافاتسكي.

الخليستي: مَن يضرِبون أنفسهم بالسِّياط.

السترانيكي: الهائمون على وجوههم، كان راسبوتين عضوًا في هاتين الجماعتين.

السكوبتسي: المخصيُّون.

المولوكاني: شاربو اللبن، وغيرهم.

وكان عدد أعضاء هذه الجمعيَّات كبيرًا إلى درجةٍ غيرِ عاديَّة؛ حيث كان يَصِلُ إلى خُمْسِ عدد السكَّان حسب التقديرات الرسمية، وإلى نحو نصفهم حسب التقديرات الأخرى، وكان أتباع هذه الفِرَق يتبعون أشكالاً حلوليَّة مُتَطرِّفة، فالسكوبتسي طالَبُوا بالإحجام عن الجِماع الجنسي، ولكنَّهم كانوا يقومون في الوقت نفسه بتَنظِيم اجتماعات ذات طابع جنسي جماعي داعر[1].

مفهوم التساديك:

قِيادات هذه الجماعات كانوا يتسمَّون بأسماء غريبة مثل: (المسيح) أو (النبي) أو (أم الإله)، فقد كانوا يُؤمِنون بأنَّ القيادة هي تَجسِيدٌ للإله، تمامًا مثل المسيح.

وأقرب الجماعات النصرانية المنشقَّة إلى الحسيدية هي جماعات الخليستي، وذهب قادة هذه الجماعة إلى أنَّه حينما صُلِب المسيح، ظلَّ جسده في القبر، أمَّا البعث فهو هُبُوط الروح القدس؛ بحيث تحلُّ في مَسِيحٍ آخَر هو قائد الجماعة؛ لذا فإنَّ قادتهم مُسَحاء قادِرون على الإتيان بالمعجزات، ويحلُّ فيهم الإله! [2]

والواقع أن مفهوم (التساديك) في الحسيدية قريب جدًّا من هذا؛ فالتساديك هو القائد الذي يحلُّ فيه الإله، وعادةً ما يَتِمُّ توارُث الحلول؛ لذا فإنَّنا نجد أن قِيادات الخليستي يكونون أسرًا حاكمة، يتبع كلَّ واحدة منها مجموعةٌ من الأَتْباع، وهذا ما

(1) انظر : بليل عبد الكريم، الحركات الباطنية اليهودية الحديثة :الحركة الحسيدية ،مرجع سابق

(2) السابق

حدث بين الحسيديين أيضًا وهم يعتقدون ان الفرد العادي بحاجة إلي أن يتصل بتسديق يكون تسديقيا في مجتمع الحسيديم يرعي شئونه الروحية والدنيوية[1].

بل إنَّ التماثُل في التفاصيل كان يَصِلُ إلى درجة مُدهِشة؛ فكان الخليستي يعيشون بعيدًا عن زوجاتهم؛ باعتبار أن الإله إنْ شاء أن تحمل العذراء لحملت، وهذا هو موقف بعل شيم طوف، برغم أن فكرة (الحمل بلا دنس) أبعد ما تكون عن اليهودية؛ فعندما ماتت زوجته وعُرِض عليه أن يتزوَّج من امرأة أخرى، احتجَّ ورفض، وقال: إنه لم يُعاشِر زوجته قط، وإن ابنه هرشل قد وُلِد من خلال الكلمة "اللوجوس".

وكان دانيال الكوسترومي (1600 – 1700) من أهمِّ زُعَماء الخليستي، وُلِد ابنه (الرُّوحي) بعد أن بلغَتْ أمُّه من العمر مائة عام، وكذلك بعل شيم طوف وُلد – حسب الأساطير التي نُسِجت حوله – بعد أن بلغَتْ أمُّه من العمر مائة عام.

والخليستي يرتَدُون ثِيابًا بيضاء في أعيادهم، وكذلك الحسيديون.

والخليستي يُعِدُّون أنفسهم – من خِلال الغِناء والرَّقص – لحلول روح المسيح فيهم، وهذا قريبٌ من تمارين الحسيديين أيضًا.

والمضمون الفكري الاجتماعي لكلٍّ من الخليستي والحسيديين مضمونٌ شعبي يقف ضدَّ التميُّزات الطبقية بشكل عام، وفي هذا المناخ ظهر "الدراويش" الذين يحملون اسم (بعل شيم)؛ أي: (سيِّد الاسم)، وهم أفراد كانت الجماهير البائسة تتصوَّر أنَّهم قادرون على معرفة الأسرار الباطنية، وإرادة الإله، وطرد الأرواح الشرِّيرة من أجساد المرضى، كما أنهم كانوا يَتَّسمون بالتدفُّق العاطفي الذي افتقدَتْه الجماهير في الحاخامات، وظهرت الحسيدية بحلوليَّتها المتطرِّفة، وبريقها الخاص، ورموزها الشعبية الثريَّة التي تَروِي عَطَشَ الجماهير اليهودية الفقيرة التي كان يُخَيِّم عليها التخلُّف[2].

---

(1) محمد بحر عبد المجيد :اليهودية ،مكتبة سعيد رأفت ،القاهرة 1978 م ، ص 167

(2) انظر : بليل عبد الكريم، الحركات الباطنية اليهودية الحديثة :الحركة الحسيدية ،مرجع سابق

مُعتَقَدات الحسيدية:

وقد تبدَّت هذه الأفكار الحلوليَّة المتطرِّفة في التصادُم الحادِّ بين الحسديين والمؤسَّسة الحاخامية (متنجديم)، وهو تصادُم كان حَتْميًّا، باعتِبار أن الحسيدية تُمَثِّل رؤية بعض قِطاعات الجماعة اليهودية؛ التي استُبعِدت من جانب المؤسسة الحاخامية والقهال[1]، وكانت الحسيدية تُحاوِل أن تُحَقِّق لهم قِسْطًا ولو ضَئِيلاً من الحريَّة، ومن المشاركة في السلطة.

والحسيدية – في جانبٍ من أهمِّ جوانبها – مُحاوَلة لكسر احتِكار المؤسَّسة التَّلمُوديَّة للسلطة الدينيَّة، ومُحاوَلة لحلِّ مشكلة المعنى، وانعَكَس هذا التصادُم على المستوى الفكري، حين قام الحسيديون بالتقليل من شأن الدِّراسة التلمودية أو دِراسة التوراة؛ فإذا كان الهدف من الحياة ليس الدِّراسة وإنما التأمُّل في الإله والالتِصاق به، والتوحُّد معه وعبادته بكلِّ الطُّرُق، فإن هذه العملية لا بُدَّ أن تستَغرِق وقتًا طويلاً، وهو ما لا يتركُ للإنسان أيَّ وقت لدراسة التوراة على الطريقة الحاخامية القديمة، كما أنَّ التواصُل المُباشِر مع الإله يَطرَح إمكانيةً أمامَ اليهود العاديين، ممَّن لا يتلقَّون تعليمًا تلموديًّا لأن يحققوا الوصول والالتِصاق (ديفيقوت דיבי קות) [2].

ومن مُعتَقَداتهم عقيدة التناسُخ التي تُسمَّى بالعبرية "جلجول גלגול "، أخَذُوها عن القابالاه من كتاب "الزوهار"، والأرواح المُتناسِخة إمَّا أن تكون أرواحًا جديدة لم تنزل

---

(1) « **قهال**קהאל » كلمة عبرية بمعنى «جماعة»، وهي تشير إلى أعضاء الجماعة اليهودية ككل، كما تشير الكلمة بالمعنى الضيق إلى الهيئة الإدارية أو المجلس الذي كان يدير شئون التجمعات اليهودية، و "القهال" هو الاسم الحركي للحكومة الخفية التي تنظم شؤون اليهود في العالم. انظر: عبدالوهاب المسيري :"موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" مرجع سابق ، ج 14، المجلد الرابع، الجزء الأول، الباب الثانى، مدخل: القهـــال1

(2) عبدالوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية"؛ مرجع سابق ، ج 14، ص (468 – 475). بتصرف

للأرض من قبل، أو قديمة، والحكمة من التناسُخ تطهير النفس ومنحها فرصة ثانية، و"الصديقيم" يَتناسَخون لمصلحة العالم وأتباعهم؛ كي يستمر الإصلاح [1].

بل إن الجهل – في إطار التجربة الوجودية المباشرة – يُصبِح ميزة كبرى، وهدف التجربة الدينية هو الفرح والنشوة، وهو إعادة تعريف للتجرِبة الدينية، تُؤَكِّد العاطفة (الجوانية) كوسيلةٍ للوصول إلى الإله، بَدَلاً من الشعائر والدِّراسات التَّلمُودِيَّة (البرانية)، فالإله – حسب تصوُّر بعل شيم طوف – لا يسمع الدعاء، ولا يقبل الصلاة إلا إذا نبعَتْ من قلب فَرح؛ ومن ثَمَّ يصبح الإخلاص العاطفي أهمَّ من التعليم العقلي، وقد قلَب الحسيديون الأمور رأسًا على عقب، إذ تبنَّوا الفكرة اللوريانية [2] الخاصَّة بحاجة الإله إلى الشعب اليهودي ككلٍّ، وخُصُوصًا القادة التساديك، وذهب الحسيديون إلى أنَّه لا يُوجَد ملك دون شعب؛ وبالتالي فإن ملك اليهود في حاجةٍ إليهم، ومن خِلال حاجته إليهم تَتضاءَل أهميَّة الأوامر والنواهي[3].

وقد نجحت الحسيدية في تحقيق قدرٍ من الاستِقلال عن المؤسَّسة الحاخامية، فاتَّبعتْ بعض التقاليد السفاردية في الشعائر، ربَّما تحت تأثير القبالا اللوريانية ذات الأصول السفاردية، كما أدخلوا بعض التَّعدِيلات على طريقة الذبح الشرعي؛ وهو ما يعني في واقع الأمر السيطرة على تجارة اللحم، وأصبح للحسيديين معابدهم الخاصَّة وطريقة عبادتهم؛ ولذلك تحوَّلت الحركة من يهودية حسيدية إلى يهودية تساديكية؛ نسبةً إلى التساديك الذي يقوم بالوَساطة بين أتباعه والإله، وقد أصبح هذا مفهومًا محوريًّا في الفكر الحسيدي، وكان الحسيديون يعمدون إلى إحلال التساديك محلَّ

---

(1) **نظرية الجلجول** أو حلول الأرواح وتنقلها بين الأجسام، ليست فقط نظرية في السيكولوجيا القديمة قد ترجع أصولها الى البراهمانية *Brahmanisme الهندية أو الهندوسية أو غيرها من المعتقدات الدينية الشرقية القديمة ولكنها أصبحت أداة مهمة في يد الغنوصية القبالية بواسطتها يعاد تفسير ما وقع في تاريخ الأمة اليهودية وكذلك استشراف مستقبلها المرتبط كما هو معلوم بعودة المسيح ابن داوود. انظر :جعفر الهادي حسن " اليهود الحسيديم"؛ مرجع سابق، ص65..

(2) مني ناظم: المسيح اليهودي ومفهوم السيادة الاسرائيلية، مرجع سابق ، ص245.

(3) جعفر ياسين: الحسيديم ، مرجع سابق ص65.

الحاخام؛ لتقليص سُلطَان المؤسَّسة الحاخامية كلَّما كان ذلك بوسعهم، والتساديك نوعٌ من القِيادة الكاريزمية؛ يحلُّ مشكلة المعنى والانتِماء لأتباعه مُتجاوِزًا المؤسَّسات التلمودية[1].

وقد تحوَّلت الحسيدية (التساديكية) إلى بيروقراطيَّة دينيَّة لها مصالحها الخاصَّة، واستولَتْ على القهال في كثيرٍ من الأحيان، ولكنَّها لم تُدخِل أيَّة إصلاحات اجتماعية، بل كان القهال أحيانًا يَزِيد الضرائب على اليهود بعد استيِلاء الحسيديين عليه ،وقد ارتبطَتْ كلُّ جماعةٍ حسيدية بالتساديك الخاص بها؛ لذا فقد انقسمت الحركة إلى فِرَقٍ مُتَعدِّدة: فبعض هذه الفِرَق اتَّجه اتِّجاهًا صوفيًّا عاطفيًّا مَحْضًا، في حين اتَّجَه بعضُها الآخَر – مثل حركة حبد – اتِّجاهًا صوفيًّا ذهنيًّا؛ يَعتَمِد على دراسة كلٍّ من القبالا والتلمود، كما أنَّ وجود هؤلاء الحاخامات داخل دُوَلٍ مختلفة، زاد من هذا الانقِسام، وأثناء الحرب النابليونية ضدَّ روسيا أيَّد بعض الحسيديين الرُّوس روسيا ضدَّ نابليون، ولكن بعض الجماعات أيَّدَتْه ضدَّ روسيا، بل تجسَّست لحسابه، وقد حاولت المؤسَّسة الحاخامية القضاء على الحسيدية، فأصدر مُعارِضو الحسيدية الذين كان يُقَال لهم: (المتنجديم)، قرارًا بطَرْدِ اليهود من حظيرة الدين، وحرْق كتاباتهم كلها، وعدَم التزاوُج بهم، وكان من أهمِّ الشخصيات الحاخامية التي قادت الحرب ضدَّهم الحاخام إلياهو (فقيه فلنا). [2].

ورغم الانقِسامات والخِلافات بين الحسيدية واليهودية الحاخامية، فقد وحَّدوا صفوفهم في النهاية بسبب انتِشار العلمانية ومُثُل الاستِنارة والتنوير، والنزعات الثورية بين اليهود، ولَمَّا كان القهال قد تَداعَى كإطار تنظيمي فإن الحسيدية استَطاعَتْ أن تحلَّ محلَّه كإطار تنظيمي جديد؛ لذا فإنَّ الحسيدية لم تنتَشِر جغرافيًّا وحسب، بل انتشرَتْ عبر حدود الطبقات أيضًا.

ويتكوَّن الأدب الحسيدي من الكتب التي تُلَخِّص تَفاسِير الزُّعَماء التساديك للكتاب المقدَّس، وتعاليمهم وأقوالهم، وقصص الأفعال العجائبية التي أتوا بها، ومن أشهر

---

(1) جعفر ياسين: الحسيديم ، مرجع سابق ص66

(2) جعفر الهادي حسن: اليهود الحسيديم ، مرجع سابق ، ص 213

القادة التساديك شيناؤور زلمان، وليفي إسحق، ونحمان البراتسلافي حفيد بعل شيم طوف، وكان لكلِّ مجموعةٍ من الحسيديين أغانِيها وطرقها في الصلاة، وكذلك عقائدها وقصصها، وكانت لهم شبكةٌ من العلاقات الاجتماعية والاقتِصادية خارج القهال. [1]

وقد أتَت النازية على المراكز الحسيدية الأساسية في شرق أوربا، فانتقَلَت الحركة الحسيدية إلى الولايات المتَّحِدة، مع انتِقال يهود اليديشية إليها، منذ ثمانينيَّات القرن التاسع عشر، لكن جماعات الحسيديين تفرَّقت وتبعثرت؛ نَظَرًا لابتِعاد زعامتها المُتَمثِّلة في التساديك، وقد هاجَر بعض القادة التساديك بعد الحرب العالمية الأولى، لكنَّ الحركة الحسيدية لم تبدأ نشاطها الحقيقي إلا بعد الحرب العالمية الثانية، وقد استقرَّ الحسيديون في بروكلين في منطقة وليامزبرج [2].

وأهمُّ الجماعات الحسيدية هي [3]: جماعة لوبافيتش (حبد)، وجماعة الساتمار، وبراتسلاف وتشرنوبيل، ولا تزال تُوجَد بينهم جيوب قويَّة مُعارضة للصهيونية، ويُوجَد مركزان أساسيان للحسيدية في الوقت الحاضر: أحدهما في الولايات المتَّحدة، والآخر في إسرائيل[4].

الحركة الحسيدية وفلسطين:

ومن مُعتَقداتهم أنَّ الاستِيطان في فلسطين من الأعمال المُقَدَّسة، فمنذ بِدايَات الحركة وهم يَتَطلَّعون للذَّهاب لفلسطين، ولهم أقوالٌ في التشجيع على الهجرة لفلسطين، ومن أوائل مَن هاجَر أخو زوجة مُؤَسِّس الحركة الحاخام غرشون الذي استقرَّ فيها مع جماعةٍ من أتباعه عام 1748م، وسكَنُوا مدينة الخليل ثم القدس، وقد

---

(1) انظر : بليل عبد الكريم، الحركات الباطنية اليهودية الحديثة :الحركة الحسيدية ،مرجع سابق

(2) عبدالوهاب المسيري :"موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية"؛ ، ج 14، مرجع سابق ، ص (468 – 475) بتصرف.

(3) راجع تفصيل الكلام عنهم: " اليهود الحسيديم" نشأتهم ، تاريخهم ، عقائدهم ،تقاليدهم"؛ جعفر الهادي حسن، مرجع سابق ص (213 – 259).

(4) انظر : بليل عبد الكريم، الحركات الباطنية اليهودية الحديثة :الحركة الحسيدية ،مرجع سابق

سجَّل الحاخام إعجابَه بالعرب وسلوكهم نحو اليهود، ونظرتهم إليهم [1]، ثم توالَتْ الهجرات زرافاتٍ ووُحدانًا، وأنشَؤُوا المؤسَّسات الخيرية والاجتِماعية التي تُعنَى بالإنفاق على المهاجرين والفُقَراء منهم، وأوائل المؤسَّسات تلك التي أنشَأَها شنيور زلمان الزعيم الأوَّل لجماعة الحسيديم اللوبافتش، واسمها "كلل حبد" مقرُّها بالقدس، ولا زالت تنشط إلى يومنا، وبعد إعلان قِيام (الدولة الإسرائيلية) تكاثَرُوا، وزاد نشاطُهم في جميع المجالات حتى صار نصف المدارس اليهودية الدينية تابعة لهم،ويمتازون بإعفاء لِحاهُم والضفائر من أمام الأذن تراها متدلِّية، مع لبس قبعة سوداء[2].

اثر الحسيدية في الوجدان اليهودي المعاصر:

أثَّرت الحسيدية (بحلوليتها المتطرفة) في الوجدان اليهودي المعاصر تأثيراً قوياً، ففرويد العَالم النفسي النمساوي اليهودي[3]، كان مهتماً بالحسيدية القبَّالية، ومن هنا كانت نظرياته في الجنس، وفي علاقة الذات بالكون.

H. Robinowicz: Hasidism and the state of Israel. P38(1)

(2) انظر : بليل عبد الكريم، الحركات الباطنية اليهودية الحديثة :الحركة الحسيدية ،الالوكة الثقافية 2010/5/15 م ، http://www.alukah.net/Culture/0/21748

(3) سيجموند فرويد (6 مايو 1856 – 23 سبتمبر، 1939). هو طبيب نمساوي، اختص بدراسة الطب العصبي ومفكر حر يعتبر مؤسس علم التحليل النفسي الذي أسس مدرسة التحليل النفسي وعلم النفس الحديث..له مؤلفات عديدة أبرزها كتاب موسى والتوحيد (بالألمانية: Der Mann Moses und die monotheistische Religion. Drei Abhandlungen، حرفياً: «ذاك الرجل موسى والديانة التوحيدية. ثلاث مقالات») صدر بالألمانية في سنة 1939، ويذكر فرويد في هذا الكتاب موسى– عليه السلام – ونشوء الديانة التوحيدية من وجهتي نظر تاريخية وتحليلية نفسية فمن وجهة نظر التاريخ يفاجئنا بان موسى لم يكن عبرانياً بل مصرياً، وان اليهود قتلته، ومن وجهة نظر التحليل النفسي يرجع فرويد ظهور التوحيد إلى العقدة الجنسية الأولى أو إلى الجريمة الأولى في التاريخ البشري، جريمة قتل الأب البدائي على يد أبنائه الطامعين في نسائه وسلطته.

إن «موسى والتوحيد» كتاب بالغ الخطورة إلى حد إن فرويد نفسه لم يجرؤ على نشره إلا في العام الأخير من حياته، وبسبب نشره اتهمه أبناء دينه باللا سامية. انظر : مقدمة كتاب سيجموند فر ويد ، موسى والتوحيد،ترجمة جورج طرابيشي، مكتبة المصطفي الالكترونية ،القاهرة

كما أن أدب كافكا[1] متأثر بالحسيدية أيضاً، ويظهر تأثيرها واضحاً تماماً في أعمال مارتن بوبر[2] وفلسفته التي تُوصَف بأنها «حسيدية جديدة» لأن الإله حسب هذه الفلسفة لا يحل في مخلوقاته ويؤثر فيها وحسب، بل إن مخلوقاته تؤثر فيه بدورها، ولذا يكتسب كلُّ فعل، مهما تدنَّى، دلالة كونية. كما أن بوبر كان يقدس الحسيديين بوصفهم جماعة عضوية مترابطة، أو شعباً عضوياً (فولك)، فهذا هو نموذجه للشعب اليهودي. والتساديك بالنسبة له هو القيادة الكاريزمية للشعب العضوي[3].

ومع هذا، يمكننا الحديث عن جو نيتشوي عام في أوربا يتصاعد مع تصاعُد معدلات العلمنة وتآكل المنظومات الدينية المختلفة (مسيحية كانت أم يهودية) الأمر الذي يؤدي إلى تصاعُد معدلات الحلولية إلى أن نصل إلى نقطة وحدة الوجود الروحية والمادية والواحدية الكونية حيث تَمَّحي ثنائيات الخير والشر ويظهر التساديك الحسيدي أو سوبرمان نيتشه؛ قيادات كاريزمية تجسِّد الإرادة الكونية، وتقف وراء الخير والشر، تعيش في بساطة وتلقائية ونشوة، فكل ما تقوم به مقدَّس[4].

---

(1) **فرانز كافكا** (1883 – 1924) ولد لعائلة يهودية متحررة وهو كاتب تشيكي يهودي كتب بالألمانية، وهو رائد الكتابة الكابوسية، و يعد أحد أفضل أدباء الألمانية في فن الرواية والقصة القصيرة ، تعلم كافكا الكيمياء والحقوق والأدب في الجامعة الألمانية في براغ (1901)، وخلال حياته تقرب من المتصوفين اليهود وتعلم العبرية لدى معلمة خصوصية ، و عمل موظفا في شركة تأمين حوادث العمل، أمضى وقت فراغه في الكتابة الأدبية التي رأى بها هدف وجوهر حياته. ، انظر الموسوعة الحرة en.wikipedia.org/wiki/Franz_Kafka

(2) **مارتن بوبر**(1878–1965) وُلد في فيينا، وأمضى صباه في جاليشيا عند جده حيث اتصل بالحركة الحسيدية التي لعبت دوراً حاسماً في تطوره الديني (الصوفي) والفلسفي والسياسي، وهو مفكر ألماني يهودي حلولي متطرف في حلوليته وجودي النزعة كان لا يؤمن باليهودية الحاخامية أو بضرورة تطبيق الشريعة، يُعَدُّ من أهم المفكرين الدينيين اليهود في القرن العشرين. وهو من دعاة التصوف اليهودي، ويُعتبر بوبر أحد كبار مفسري العهد القديم، وأحد أهم مفكري الصهيونية ... انظر عبد الوهاب المسيري،موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، المجلد الخامس، الجزء الثالث، الباب الثامن، مدخل: مارتن بوبر 1، مرجع سابق

(3) عبدالوهاب المسيري:موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية؛المجلد الخامس،الجزء3، ص 485.

(4) المرجع السابق

وهكذا امتلأ الوجدان اليهودي بالفكر الصوفي القبالي ووجدت الشبتائية والفرانكية والحسيدية طريقها إلي شرايين التيارات الدينية الإسرائيلية المعاصرة وغذتها بجميع الأطروحات التي تجسد عقيدة الشعب المختار الملتصق بالرب والأرض .

الباب الثالث: أثر التصوف في الصهيونية

اشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول

المفكرون الصهاينة المتأثرون بالفكر القبالي

الفصل الثاني

التطرف والعنف في الفكر الصهيوني

الفصل الثالث

الأحزاب والحركات الصهيونية وموقفها من الاستيطان

الفصل الأول

المفكرون الصهاينة المتأثرون بالفكر القبالي

سيطرت القبالا على المؤسسة اليهودية الحاخامية نفسها، وأصبحت جزءا لا يتجزأ من اليهودية الكلاسيكية أو اليهودية المعيارية أو التلمودية، ويحدد جيرشوم شولم الفترة بين عامي 1630 و1640 م على أنها الفترة التي أحكمت فيها القبالاه اللوريانية سيطرتها شبه الكاملة على الفكر الديني اليهودي حتى أن الحاخام جويل سيركيس (1561 . 1640 م)، وهو من أهم علماء التلمود، قال إن من يعترض على العلم القبالي يطرد من حظيرة الدين؛ كما أن الشولحان عاروخ [1] نفسه، أهم كتُاب المؤسسة الحاخامية الأرثوذكسية، يجعل الإيمان بالقبالاه فرضا دينيا ، وقد أصبحت القبالا من اللاهوت اليهودي نفسه، ولم يعد بمقدور أي يهودي مهاجمتها، وحينما حاول موردخاي كوركوس عام(1672 م) أن ينشر كتابا في البندقية يهاجم فيه القبالا منعه الحاخامات من ذلك.

ورغم فشل حركة شبتاي تسفي المشيحانية، واعتناقه الإسلام فإنه سيطر على تابعيه، وفسر تحوله عن اليهودية بأنه نزول المخلص إلى عالم الذنوب والنجاسة ليخلص الشرارات الإلهية، وقد أدى هذا الموقف إلى ظهور النزعة المتطرفة المعادية للتشريعات والتي يمكن أن نسميها «الترخيصية» والتي تحاول إسقاط الشريعة وتبطل

---

(1) **الشولحان عاروخ، שולחן ערוך**، عبارة عبرية تعني "المائدة المنضودة" أو «المائدة المعدة»، والشولحان عاروخ هو مُصنَّف تلمودي فقهي يحتوي على سائر القواعد الدينية التقليدية للسلوك، ويُعَدُّ حتى يومنا هذا، المصنَّف المعوَّل عليه بلا منازع للشريعة والعرف اليهوديين، ويشار إليه باعتباره التلمود الأصغر. أعده يوسف كارو ونشره عام 1565 مستنداً إلى العهد القديم والتلمود وآراء الحاخامات اليهود وفتاواهم وتفسيراتهم (الشريعة الشفوية)،ومما هو جدير بالذكر أن حياة اليهود تكبلها العديد من الشعائر والقيود والتشريعات، الأمر الذي يضطرهم إلى البحث عن مصدر دائم للفتاوى ، ولكن التوصل إلى إجابة على أحد التساؤلات الدينية من خلال التلمود مسألة شاقة جداً، إذ يتعيَّن على المتسائل أن يقرأ أربع أو خمس فقرات في مجلدات مختلفة منه ثم يبحث عن التعليقات المختلفة على كل الفقرات وهي تعليقات تحوي كل واحدة منها تفسيرات مختلفة ومتناقضة.ولتبسيط هذه العملية، لجأ مؤلف الشولحان عاروخ إلى إسقاط جميع المناقشات الفقهية الطويلة والآراء المختلفة والأحكام المتناقضة، فلم يدوَّن إلا الأحكام الشرعية المستقرة التي تبيِّن ما هو حلال وما هو حرام، وأوردها في نص واحد،انظر الموسوعة الحرة مرجع سابق - شولحان عاروخ - http://ar.wikipedia.org/wiki

فعالية القانون الإلهي، وقد استمرت هذه النزعة داخل الحركة الفرانكية وبين الدونمه، وأخيرا في الحركة الحسيدية [1].

ويعتبر الحاخام يهودا القلعى من أولئك المبشرين بالصهيونية الدينية والمتأثرين بالقبالا ، فقد دعا إلي ضرورة إنشاء مجلس حكماء يرعي شئون اليهود إلي أن يغادروا ارض المنفي؛ذلك لأن تحقيق خلاص إسرائيل يعتمد علي الجهود البشرية طبقا لنظرية لوريا في الإصلاح ، ومع حلول القرن التاسع عشر، ظهرت الحركة الحسيدية التي اكتسحت يهود شرق أوربا (وهي تصدر عن الإيمان بعقائد القبالا على وجه العموم والقبالا اللوريانية على وجه الخصوص)، وأكدت مفهوم التوحد مع الإله والالتصاق به (ديفيقوت)، ولكن الحسيدية، شأنها شأن كثير من الحركات الصوفية، تحولت بالتدريج إلى بيروقراطية دينية، وتحول التساديك إلى وسيط، وظهرت أسر الحسيديين الحاكمة التي توارث أعضاؤها القداسة. ولكن العامل الأساسي الذي قضى على القبالا وعلى التصوف الحلولي اليهودي هو ظهور العالم الحديث وحركة التنوير.

والصهيونية[2] وريثة التراث القبالي في بنيتها، فكما أن الحسيدية كانت هي الأخرى حركة مشيحانية كامنة ساكنة بدون ماشيح، فإن الصهيونية تحولت إلى مشيحانية نشيطة (بدون ماشيح أيضا) إذ يؤكد الصهاينة عملية خلاص الشعب

---

(1) انظر :عبدالوهاب المسيري ،الموسوعة اليهودية ، مرجع سابق ، المجلد الخامس، الجزء الثاني، الباب الثامن، مدخل: القبَّـــالاه: ، ص (438/13)

(2) مسمى **الصهيونية** قد أستخدمه أول مرة الفيلسوف اليهودى النمساوى *ناثان برنباوم* عام 1885 م واشتق مصطلح الصهيونية من اسم (جبل صهيون) في القدس حيث بنى داود قصره بعد انتقاله من حبرون (الخليل) إلى بيت المقدس في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وهذا الاسم يرمز إلى مملكة داود وإعادة تشييد هيكل سليمان من جديد بحيث تكون القدس عاصمة لها، و جبل صهيون وهو أحد الجبال الأربعة التي أقيمت عليها مدينة القدس ،والتوراة تضفي هالة من القداسة على جبل صهيون خاصة ؛ ففيه يقيم (يهوه) إله اليهود فيما يزعمون ، وفي رحابه يظهر المسيح المخلص الذي ينتظره اليهود ،وقد اشتق (ناثان برنباوم) في القرن التاسع عشر من لفظ صهيون كلمة الصهيونية ليصف بها الاتجاه السياسي الجديد آنذاك بين يهود أوروبا ، ولقد استغل هذا الكاتب تلك اللفظة بهدف استثارة الحمية الدينية لدى الجماعات اليهودية للانضواء تحت لواء هذا الاتجاه الجديد .. انظر : عبد الوهاب المسيري ، الصهيونية واليهودية، ، مرجع سابق ،ص11

اليهودي الذي يأخذ شكل عودة إلى صهيون دون انتظار الماشيح (أي شكل التعجيل بالنهاية) [1].

والصهيونية، في نهاية الأمر، هي التعبير عن الطبقة الحلولية داخل التركيب الجيولوجي التراكمي اليهودي، وهي طبقة عبرت عن نفسها في بداية الأمر من خلال رؤية حلولية تبشر بالخلاص القومي وترابط الثالوث الحلولي (الإله والشعب والأرض) ثم توارت قليلا نتيجة القضاء على السلطة المركزية اليهودية فعبرت عن نفسها بشكل فردي من خلال القبالا(التأملية والعملية) وهي تعود إلى سابق عهدها في العصر الحديث، حيث يصبح الخلاص مرة أخرى خلاصا قوميا ويصبح التأمل هو الأيديولوجيا الصهيونية التي تستعيد تداخل النسبي والمطلق، وتؤكد ارتباط الشعب بالأرض نتيجة الحلول الإلهي أو سريان روحه المقدسة. والقبالا العملية هي الاستيلاء على الأرض ونقل اليهود إلى فلسطين (ونقل العرب منها) وتصبح الدولة الهيكل الذي يتعبد فيه الصهاينة ويهود العالم ويقدمون له القرابين (فهي استعادة للعبادة القربانية المركزية) [2]، وعلى كل، فالنمط الصهيوني ليس مختلفا عن الأنماط القومية العلمانية التي انتشرت في أوربا ابتداء من عصر الملكيات المطلقة حين حول الملك نفسه إلى مطلق، ثم حولت الدولة نفسها إلى مطلق واحد أحد يدين له الجميع بالولاء، فهي محط الحلول الإلهي أو هي التعبير عن الحلولية بدون إله، وهدف هذه الدولة هو التحكم الإمبريالي في كل مواطني الدولة وشعوب الأرض عن طريق عمليات ترشيدهم (في إطار مادي) من خلال المؤسسات التربوية والأمنية وقطاع الفن والعلم والتكنولوجيا وأخيرا القوة العسكرية. وقد كان الحاخام الصهيوني (القلعي) من المهتمين بالحسابات القبالية. كما تأثر كثير من المفكرين الصهاينة بالفكر القبالي، ومن أهمهم الحاخام أبراهام كوك الذي توصل إلى صيغة صهيونية ليست قومية دينية وحسب، وإنما صيغة صهيونية قومية عضوية حلولية لا تقنع فقط بالرؤية التقليدية التي ترى أن الإله قد يجعل اليهود محط عنايته الخاصة بل تؤكد كذلك أن الإله يحل فيهم كجماعة حتى يشكل هو والشعب والأرض ثالوثا حلوليا

---

(1) انظر :عبدالوهاب المسيري ،الموسوعة اليهودية ، مرجع سابق ، ص 438

(2) انظر :عبدالوهاب المسيري ،الموسوعة اليهودية ، مرجع سابق ، ص439

صـهيونيا. وقـد تـأثر مـارتن بـوبر [1] كـذلك بالأسـاطير القباليـة مـن خـلال اهتمامـه بالحسيدية. كما يلاحظ أثر القبالا فـي فكـر جماعـة جـوش إيمـونيم، ويعـد الحاخـام تسفي كوك، حفيد أبراهام كوك، من أهم مفكريها[2].

وقـد شـهد النصـف الأخيـر مـن القـرن التاسـع عشـر تطـورا آخـر فـي مفهـوم المسيحانيه تمثل ذلك في فتاوى ربانيي اليهود في العصـر الحديث وهى الفتاوى التـي سبقت الصـهيونية السياسية بقياده هرتزل [3] ومهدت لظهورها كما ساهمت في دعم الجهود البشرية الاستعمارية في فلسطين من ناحية أخرى , فقد قدم هؤلاء الربـانيون

---

(1) اضافة الي ماسبق ص117 يُعتبَر مارتن (بالعبرية مردخاي) بوبر أحد أهم الفلاسفة الوجوديين والروحانيين الإنسانيين اليهود في القرن العشرين، ولد في الثامن من مايو 1878 في ڤيينا، عاصمة النمسا، وتوفي في الثالث عشر من يونية 1965 في (القدس) عن عمر يناهز التسعين عامًا؛ في عام 1938 م استقر في القدس،وشارك بوبر في تأسيس الحركة الصهيونية و خصص بوبر جزءا كبيرا من حياته لإبراز ما يسمونه القيمة الثقافية للديانة اليهودية والاعتراف بها، وكتب العديد من الكتب ومنها أنا وأنت عام 1923 م وكتاب أقوال الهاسيديزم عام 1961م . انظر : أكرم إنطاقي ، مارتن بوبر حياته وأعماله،دار الحكمة ،دمشق 1998 م ،ص22

(2) انظر :عبدالوهاب المسيري ،الموسوعة اليهودية ، مرجع سابق ، ص 439

(3) عقد **المؤتمر الصهيونى الأول** بعد جهود هرتسل وبناء على دعوته ونفر من مؤيديه مثل نورداو ليلينيوم وغيرهما وذلك فى أغسطس 1897 م ، ودعاة تيار الصهيونية السياسية كان معظمهم من الملاحدة الذين لا يعيرون الدين أي اهتمام ؛ فكان اهتمامهم منصباً على العودة إلى فلسطين لأسباب كثيرة منها المال والثروة والغايات الأخرى التي سبق الكلام عنها مثل التحرر من الجيتو الأوروبي ، ويقول هرتزل في هذا السياق : « إن اليهود يؤمنون بفكرة المسيح المخلص في الأوساط الدينية فقط ، أما في دوائرنا الأكاديمية المستنيرة فليس لمثل هذه الفكرة من وجود » ، ومن أقواله أيضاً : « سوف يلقى المتسلطون المتدينون إذا حاولوا التدخل في إدارة شؤون الدولة مقاومة عنيدة وشديدة من جانبنا » . وكان هرتزل قد تعمد أثناء زيارة له للقدس انتهاك العديد من الشعائر الدينية اليهودية ؛ فضلاً عن أنه لم يقم بختان ابنه الوحيد الذي تنصَّر فيما بعد ،وحينما كان يقرأ خطابه الذي ألقاه في المؤتمر الصهيوني الأول بالعبرية تبين أن الحروف التي كتببها الخطاب كانت باللاتينية ، وبرغم ذلك لم يتجاهل هرتزل أهمية الدين في بناء دولته ، وأن الفكرة في الأساس هي فكرة دينية تقوم وتترعرع على أرض الميعاد والمسيح المنتظر ، فاهتم بدعم الحاخامات ورجال الدين لدعوته ؛ حيث اعتبر الدين أداة من أدوات توحيد صفوف اليهود خلف فكرته , ولكن فكرة العودة عند هذا التيار – الصهيوني السياسي - هي خلاص دنيوي وقومي وملاذ لليهود من الاضطهاد والشقاء،ولم يكن هرتزل بمفرده صاحب هذا المنهج أي المنهج العلماني ؛ فقد كان هناك بن جوريون أول زعيم لليهود على أرض فلسطين الذي قال : « لو تركت حياة اليهود لحاخامات اليهود لظلوا حتى الآن كلاباً ضالة في كل مكان يضربهم الناس بالأقدام » , ومثله حاييم وايزمان الذي تزعَّم المنظمة الصهيونية العالمية ، والذي كان يتلذذ بمضايقة الحاخامات بشأن الطعام المباح في الشريعة اليهودية ،وبرغم ذلك فقد كان يسير وفقاً لمبدأ سابقيه في رؤية الدافع الديني كمقدرة لايستعاض عنها في إيقاظ طاقات الشعب اليهودي . انظر: حسن الرشيدي ، المسلمون والعالم ،جذور التيارات الفكرية في الحياة السياسية الإسرائيلية،الموسوعة الشاملة،
http://islamport.com/w/amm/Web/135/3928.htm

أمثال يهودا القلعى (1798- 1878م) وهيرشى كاليشر (1785-1874م) وشموئيل موهليفر (1824- 1898م) وأبراهام كوك (1865-1935م) وغيرهم – شرطا جديدا لظهور المسيح اليهودي يتمثل في ضرورة هجرة أعداد كبيره من اليهود إلى فلسطين لاستعمارها والاستقرار فيها مدعين أن ذلك يمثل خطوه على طريق تحقيق مملكة الخلاص المسيحانيه بكل ماتتضمنه من معاني السيادة والسيطرة والاستعلاء العنصري ،وقد عرف هذا التيار الصهيوني فيما بعد بالصهيونية الدينية .

وفى إطار الحركة الصهيونية ، انقسم ذلك التيار الديني إلى اتجاهين : اتجاه يؤمن بالطبيعة الدينية البحتة للمفهوم يعتقد أصحابه بالخلاص السماوي على يد المسيح اليهودي الذي ترسله العناية الإلهية ويعتمد هذا على الرب وحده دون تدخل البشر ، وهو اتجاه ظل قائما رغم ظهور الصهيونية السياسية ومازال موجودا حتى الآن ممثلا في مجموعات من الدوائر المؤثرة في إسرائيل مثل حزب (أجودت يسرائيل) وحزب (بوعلى أجودت يسرائيل) .

واتجاه آخر قام أصحابه بتطويع المفهوم من الصورة السماوية البحتة ليسمح ببدء الجهود البشرية اليهودية نحو استعمار فلسطين وقد تمثل هذا الاتجاه فيما قام به بعض الحاخامات والمفسرين الدينيين اليهود الذين أعادوا تفسير المسيحانيه على أنها تعنى ضرورة التمهيد البشرى لمجئ المسيح دون الاعتماد على العناية الإلهية وحدها .(ذلك لأن الرب يساعد أولئك الذين يساعدون أنفسهم) [1] لذلك ففي رأيهم أن اليهود جميعا مطالبون باتخاذ الخطوات العملية التي من شأنها أن تساعد على هذا القدوم .

لأن تحقيق خلاص إسرائيل يعتمد على الجهود البشرية وإن إيجاد تنظيم جسدي يهودي عالمي واحد هو في حد ذاته خطوه نحو الخلاص وهذا من شأنه أن يؤدى إلى مجئ المسيح بن يوسف [2] وفى مقاله تحت عنوان (دريشت تسيون) [3] أى

---

(1) jacop.lowis : princhples of the jewish faith an analytical study, London . 1964.p.358

(2) المرجع السابق صفحة 358

(3)شموئيل موهليفر : هارعيون هتسيونى (الفكره الصهيونيه) مجموعه من كتابات المفكرين الصهيونيين الأوائل والمحدثين ،القدس 1970 ،ص310

الطريق إلى صهيون دعا الحاخام هيرشى كاليشر (1785–1874م) إلى ضرورة الهجرة الجماعية واستيطان الأرض كما اهتم بصفه خاصه بالعمل الزراعي وربط بينه وبين مفهوم المسيحانيه قائلا : (سيكون هذا خطوه لبداية خلاص الأرض المقدسة ويؤدى تدريجيا إلى مجئ المسيح..., ذلك لأننا إذا حققنا الخلاص للأرض سيؤدى هذا إلى ظهور ضوء الخلاص من السماء) [(1)]، وفى نفس المقالة ينبذ كاليشر عنصر الكوارث المفاجئة عند مجئ المسيح , ويرفض الفكرة القائلة بهبوطه فجاه من السماء آمرا شعبه بتجميع الشتات في أورشليم ويعتقد أن مجئ هذا الخلاص سيحدث فقط اعتمادا على الجهود البشرية التي ترمى إلى تجميع اليهود في فلسطين فيقول:(عزيزي القارئ : ألق عنك الفكرة التقليدية التي يؤمن بها جماهير الشعب والقائلة بان المسيح سيصيح ويهتف فجأة , وينفخ في البوق العظيم ليزلزل أركان الأرض الأربعة , إن ذلك ليس صحيحا , بل على العكس , فان بداية الخلاص ستتحقق عن طريق مساعدة الأمم على تجميع عدد قليل من مشتتي إسرائيل في الأرض المقدسة) [(2)].

كما دعا الرابي كوك (1865–1935م) اليهود إلى الهجرة الجماعية إلى فلسطين , ودعا أيضا إلى ضرورة القيام بكافة الأعمال داخل المستوطنات الزراعية وأيد بصفه خاصة العمل في زراعة الأرض ووصف أعضاء المستوطنات بأنهم يؤدون عمل الرب وأن عملهم هذا بمثابة تمهيد لطريق المسيح المخلص [(3)] وبعد ظهور الصهيونية السياسية متمثله في جهود هرتزل الدبلوماسية في إقامة الدولة اليهودية وما أسفر عنها من إنشاء المنظمة الصهيونية , واصل هذا الاتجاه من الصهيونية

---

(1)المرجع السابق

(2) لعل أول دعوة علنية لإنشاء وطن قومي لليهود كانت في **كتاب (نداء اليهود)** الذي أصدره **السير هنري فنش** بإنجلترا عام 1616م ثم جاء الجنرال نابليون بونابرت الفرنسي الذي دعا اليهود إلى إقامة وطن لهم في فلسطين خلال الحملة التي قام بها على مصر والشرق في عام 1798م ووجه إلى اليهود بياناً سماهم فيه (ورثة فلسطين الشرعيين)، ولكن هزيمة نابليون حالت دون إكمال المؤامرة ثم توالت نداءات وكتابات زعماء ومفكري اليهود إلى اتخاذ فلسطين وطناً قومياً لليهود وإقامة دولة لهم فيها بشتى الوسائل ومن أبرز هؤلاء: الحاخام (زفى هيرش كاليشر 1795-1874م) في كتابه (البحث عن صهيون).والحاخام (موسى هيس 1821-1875م) في كتابه (من روما إلى القدس)والمفكر اليهودي (بيريتز سمولنسكن 1842-1885م) في كتابه (فلنبحث عن الطريق) وغيرهم. انظر: صابر طعيمة ، التاريخ اليهودي العام ،ص 194.

(3) Jacob . L : principies of the jewish faith P .188

الدينية جهوده في تبرير ودعم النشاط السياسي ... وأثناء انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول (بازل 1897م) أرسل الرباني مهليفر (1824-1898م) [1] رسالة إلى المؤتمر يؤيد جهوده في إنشاء وطن لليهود ويربط بين هذه الجهود بمفهوم الخلاص فيقول: (لقد انقضى ما يقرب من ألفى سنه ونحن ننتظر قدوم المسيح الذي يخلصنا من سبينا المرير ويجمع إخواننا المشتتين في أركان الأرض الاربعه حيث نعيش هناك تحت رعايته ويعيش كل يهودي في ظل كرامته لان هذا الإيمان عميق في قلوبنا وكان عزاؤنا الوحيد في العصور الطويلة التي عانينا فيها من العذاب والاضطهاد ، وبالرغم من أن القرن الأخير قد شهد ظهور رجال من بيننا أنكروا هذه العقيدة , ونزعوا إيماننا من قلوبهم كما حذفوه من كتب صلواتهم لكن الحسيديم (المدارس الدينية) الموجودة بيننا وكل أبناء الشعب لا يزالون متمسكين بهذا الأمل ويصلون من اجله طوال اليوم ويجدون فيه العزاء لروحهم المشردة , وقد قام مؤخرا بعض الربانيين التقليديين في غرب أوربا وأعلنوا أن كل وعود السعادة الابديه التى تنبأ بها أنبياؤنا ليست إلا رموزا وصورا استعماريه ,مؤكدين أن قدوم المسيح لا يعنى انه أتى ليعيد إسرائيل لأرض أبائه أو لكي يضع نهاية لسبيه الطويل وأحزانه الكثيرة , بل انه سياتى لكي يصلح كل أنحاء العالم في مملكة الرب[2] , أما شعب إسرائيل فسيبقى في منفاه نورا لكل الأمم كما هو حاله الآن في أيامنا هذه , كما أعرب بعض من اولئك الربانيين عن رأيهم باختصار بان القومية تتعارض مع إيماننا بقدوم المسيح , واننى أود أن أعرب عن رأيي لكل الشعب بان ذلك القول ليس صحيحا , إن إيماننا وأملنا كان دائما ولا يزال هو أن مسيحنا سيأتي , وسيجمع مشتتي إسرائيل إلى أرض

---

(1) **مهليفر**حاخام روسي، وأحد مؤسسي حركة أحباء صهيون تلقَّى ثقافة دينية، وتعمَّق في دراسة القبَّالا والحسيدية وتواريخ الجماعات اليهودية، كما كانت له معرفة أيضاً بالرياضيات واللغات الروسية والألمانية والبولندية. وقد اشتغل بالتجارة بعض الوقت قبل قيامه بأعماله ومهامه الدينية التي قَبلْها كارهاً، ثم ذاع صيته كعالم تلمودي. وهو من أهم المدافعين عن التعليم اليهودي وممارسة الأعمال اليدوية والزراعة. وقد ساهم موهيليفر في تنظيم الهجرة إلى فلسطين، وأقنع كلاًّ من هيرش وروتشيلد بأن يساهما في تمويل ومساعدة الاستيطان اليهودي لفلسطين (التوجُّه إلى أغنياء اليهود هو دائماً الخطوة الأولى في أي عمل صهيوني). ،ودعا إلى العودة للإقامة في فلسطين وتعمير البيوت وز رع الأرض، بل يشير إلى أن العودة إحدى الوصايا الأساسية في التوراة وأن الحكماء اعتبروا هذه العودة بمنزلة الناموس الإلهي. انظر :عبدالوهاب المسيري،موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ،مرجع سابق ، المجلد السادس، الجزء الثاني، الباب الثاني عشر، مدخل: صمويل موهيليفر

(2) مني ناظم : المسيح اليهودي ،مرجع سابق، ص251

آبائـه بـدلا مـن وضـعنا كمشـتتين فـى بـلاد غريبـة , وسـوف نسـكن حينئـذ فـي أرضـنا ونصبح شعبا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى , وبدلا من أن نكون في موضع احتقار وسخريه في عيون الشعوب , ستحترمنا وتمجدنا كل شعوب العالم , وهذا هو إيماننا وأملنا الذي أعرب عنه أنبياؤنا وحكماؤنا طيبو الذكر وهو ما يتمسك به شعبنا) [1] .

لقد ربط الربانيون المحدثون بين مفهوم المسيحانيه وبين الحركة الصهيونية التي أصـبحت فـي فكـرهم تمثـل المسـيح المنتظـر الآت لتحقيـق مملكـة عصـر الخـلاص المسيحانى بكل ماتتضمنه من مفاهيم العنصرية والاستعلاء على الشعوب ، وقد عبر عن ذلك الرباني الصهيوني ليفنتال في قوله: (تمثل الصهيونية الرداء الحديث للأمل المسيحانى القديم الذي حفظ اليهود أحياء خلال العصور الماضية , إنه الأمل الذي يهدف إلى تحقيق شقين– كما يقول الأنبياء– فهو يهدف إلى إعادة اليهودي لحياته القوميـة فـى أرضـه الوطنيـة فـي فلسطين , كمـا أنـه يهدف أيضـا إلـى إعـادة إنشـاء إسـرائيل الـذي يسـاعد علـى إعـادة خلـق البشـر جميعـا [2] ولقـد ظـل هـذا الاتجـاه الصـهيوني الـديني مواكبـا للحركـة الصـهيونية يغذيها ويتغذى من وجودها علـى ارض فلسـطين معتمـدا علـى إذكـاء جهـود الاسـتعمار الصـهيوني البشـرى بـالحوافز الدينيـة المتعددة ومن بينها فكرة التمهيد بالجهد البشرى لظهور المسيح اليهودي.

ويمثل هذا الاتجاه من الأحزاب السياسية الدينية حزب المفدال (الحزب الدينى القـومى) والحركـات الدينيـة الحديثـة مثـل حركـة كـاخ وجـوش إمـونيم وهـى حركـات ظهرت بعد عام 1967م وتسعى إلى طرد العرب وإستعمار كامل للأراضي العربية باعتبار هذا الطرد والاستعمار إتصالا للجهود البشرية الضرورية التي تمهد لظهور المسيح اليهودي وعصر السيادة الإسرائيلية المطلقة [3].

---

(1) شموئيل موهليفر : هارعيون هتسيونى (الفكره الصهيونيه) ،مرجع سابق ،صفحة 311

(2) Eichoin .D .M. conversim to Judaism: A History And Analysis .V. S. A 1965

(3) مني ناظم : المسيح اليهودي ،مرجع سابق، ص253

والحقيقة إن ولادة الصهيونية واحتلالها لفلسطين , أدى إلى انتصار القوة على الحق وانهزام التاريخ أمام الفكرة ؛ فإسرائيل اليوم يحكمها الماضي وتحرسها قوى الأساطير ويكبلها بخرافاته الغائبة الذي يحكم الشاهد ويكبله بأغلالها القبالية؟ فالعقل الصهيوني ما زال متمسك بتفسير الواقع بفكر متعال على الواقع ,كما انه يزيد إصراره على تفسير التاريخ بفكر لا تاريخي فكر يخضع لهيمنة الأسطورة وممارسات الخرافة الفجه،ولا تزال كتب القبَّالاه تُكتَب وتُطبَع وتُنشَر في إسرائيل، ويبدو أن القبَّالاه، بصورها المجازية ورموزها الجنسية، تركت أثراً في فرويد [1]، وفي كثير من الأدباء اليهود مثل كافكا [2]كما أن أساليب القراءات الباطنية التي تفصل الدال عن

---

(1) سيجموند *فرويد* (6 مايو 1856 - 23 سبتمبر، 1939) طبيب نمساوي من اصل يهودي، اختص بدراسة الطب النفسي ويعتبر مؤسس علم التحليل النفسي.. انضم عام 1895م إلى جمعية بناي برث أي أبناء العهد، وكان حينها في التاسعة والثلاثين من عمره ،وكان علي علاقة بتيودور هرتزل ، و سعيا معاً لتحقيق أفكار واحدة لخدمة الصهيونية التي ينتميان إليها، مثل فكرة معاداة السامية التي ينشرها هرتزل سياسيًّا، ويحللها فرويد نفسيًّا. و الفرويدية عموما تدعو إلى التحرر من كل القيود لأنها تسبب العقد النفسية والاضطرابات العصبية، وبذلك تريد للمجتمع أن يكون بلا دين، ولا أخلاق ، ولا تقاليد فتتسع هوة الرذيلة والفساد وتسهل لليهود السيطرة على الشعوب المتحللة خدمة لأهداف الصهيونية. وبطبيعة الحال فإنها تنادي بأن الدين الذي يضع الضوابط لطاقة الجنس لا يستحق الإتباع ولا يستوجب الاحترام. انظر:(التراث اليهودي الصهيوني في الفكر الفرويدي، تأليف د. صبري جرجس – عالم الكتاب – طبعة 1970م.ص126

(1) اضافة الي ماسبق ص117 فان ***فرانز كافكا*** (يوليو 1883 - 3 يونيو 1924) كاتب تشيكي يهودي كتب بالألمانية، رائد الكتابة الكابوسية. يعد أحد أفضل الأدباء الألمان وتبرز القضية اليهودية في فكر كافكا وأدبه على اتجاهين، اتجاه يرى أن كافكا كان يهوديا بل صهيونياً حتى النخاع، والاتجاه الآخر يرى انه كان غير مكترث بيهوديته، بل معادياً للصهيونية.
كما أن هناك تناقضا عميقا ـ كما يرى الدكتور المسيري بين مذكرات كافكا من ناحية ورواياته من ناحية أخرى، ففي المذكرات اهتمام شديد بالموضوع اليهودي، على عكس رواياته التي يلتزم فيها الصمت حياله، ونجد أيضاً في المذكرات إشارات واضحة الى المدينة اليهودية القديمة والجيتو والمشروع الاستيطاني الصهيوني.؛ومع ذلك لا نعدم من يقدم قراءة لفكر كافكا وأدبه على أساس صهيونية كافكا، فقد أورد الدكتور المسيري في كتابه »اليهود في عقل هؤلاء« عرضاً لدراستين تناولا بالفعل صهيونية كافكا، دراسة الكاتب العربي كاظم سعد الدين «حل رموز كافكا الصهيونية» الذي ذهب فيها أن كافكا اسقط رمز سور الصين على حدود الدولة المرتقبة، وأن سور الصين سيشكل للمرة الأولى في تاريخ العالم أساساً راسخا لبرج بابل جديد، وأن بدو الشمال هم الشعب العربي، وأن أبواب الهند هي أبواب فلسطين وسيف الملك هو سيف داود، وأن أرض كنعان هي الأمل الوحيد! وعلى ضوء هذه الدراسة رأت الدكتورة بديعة أمين في كتابها «هل ينبغي احراق كافكا» وهو الكتاب الثاني الذي أرخ لصهيونية كافكا أن تفسيرات كاظم سعد الدين استنبطها من الكتب الدينية والتاريخية، ثم اعتبرها معادلات حسية للرمز الكافكاوي ـ نسبة إلى كافكا ـ استناداً الى بعض العوامل الخارجة عن فكر كافكا. وإن كان الدكتور المسيري قد تناول بجانب هايني وكافكا كتابا يهودا آخرين أمثال فيليب روث (1933م) وجيرزي كوز ينسكي (1933م - 1991 م (واسحق بابل (1894م - 1941م)، فإن جوهر قضيتهم جميعا المسألة اليهودية وكيفية صياغتها والحديث عنها وعرضها بهذا العرض الذي يشكل في

المدلول المباشر تركت أثرها علي تطورات الصهيونية من فكرة وضعها رواد الصهيونية أواخر القرن التاسع عشر إلى برنامج منظم يضعه أساطين الصهاينة في مؤتمرات دورية يدرسون خلالها الخطط والبرامج التي تسعى إلى تحقيق المنطلقات الأساسية والإستراتيجية التي وضعها أول مؤتمر صهيوني عقد في بازل السوسرية (1897م) بزعامة تيودور هرتزل.، وتقوم الفلسفة الصهيونية على أن اليهود شعب الله المختار ، ومن هذا الشعار فإنهم يعتبرون أنفسهم مميزين عن باقي البشر، وبأن روحهم جزء من الله ، أما الأرواح الأخرى فهي أرواح شيطانية شبيهة بأرواح الحيوانات [1].

كما تقوم فلسفتهم على أن فلسطين هي الهدف الأساسي لليهود ، ومنها يبدأون تنفيذ مخططهم في إقامة (وطن قومي) كبير من النيل إلى الفرات ، كما يعتقدون ويؤمنون بما ورد في التوراة. وكذلك يعتقدون أن اليهود في العالم يشكلون شعباً ينتمي إلى أصل واحد ، وهو ما فندته وقائع التاريخ . الأنف ذكرها .

استثمر بعض اليهود المثقفين الأوضاع المؤيدة لهم في أوربا ، وتجاوبوا مع طموحات ورغبات زعماء أوربا في السيطرة على بلدان الشرق التي تشكل حلقة وصل بين قارتي أسيا وأفريقيا ، وبين أوربا ، إضافة إلى الخيرات التي تختزنها أرضها. وما أن بدأت هجرة اليهود الروس إلى أوربا الشرقية ، أخذت بريطانيا تسهل هجرة بعضهم إلى فلسطين 1882. [2]

ويعد الكاتب الصهيوني اليهودي النمساوي (ناتان بيرنباوم) هو أول من استل لفظة (صهيون) من إشارات التوراة عام 1885 م ، ونحت منها مصطلح الصهيونية ، الذي أصبح إسم الحركة السياسية التي تبنت إقامة المشروع الصهيوني الاستيطاني. وأكمل عدد من اليهود فكرة المشروع الصهيوني أمثال (هيرش) و (ليوبنسكر) إلى أن جاء (هرتزل) الأكثر ديناميكية فدعا إلى عقد المؤتمر الصهيوني

الأساس مضموناً واحداً هو الحل الصهيوني البديل . انظر :عبدالوهاب المسيري ، اليهود في عقل هؤلاء ، دار المعارف ،القاهرة 1998 م .ص52-54 بتصرف .

(2) سالم الكسواني : الصهيونية واليهودية الجذور والنشأة والعلاقة بينهما،المركز القانوني لمدينة القدس ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان2003، ص43.

(1) المرجع السابق.

في 29 أغسطس من عام 1897م في مدينة بازل بسويسرا، وقد وجد اليهود الذين بشروا بفكرة المشروع الاستيطاني الأجواء مهيئة في أوربا ، ولا سيما عند المسيحيين البروتستانت ، الذين يعتقدون أن فلسطين ليست أرض الفلسطينيين العرب ، وهي أرض خالية بغير شعب ، وأرض يجب أن يعود أهلها إليها[1].

وعلى هذه الخلفية صار بإمكان المفكرين اليهود المتأثرين بالفكر القبالي أن يسندوا ظهورهم على جدار صلب من الأساطير الدينية والتروهات الصوفية، وكان هرتزل هو الذي إلتقط الفرصة المواتية ، ودعا إلى الاعتماد على الدول الكبرى في إقامة مشروعة ، في حين أن آخرين مثل (ليو بنسكر) دعا إلى الاعتماد على الذات ؛أي الاعتماد على قدرات اليهود لإقامة المشروع، وبالنهاية كانت الغلبة لفكرة هرتزل الذي دمج بين قدرات الدول الكبرى وبين القدرات الذاتية لليهود ، إضافة إلى إستثارة المشاعر الدينية لدى اليهود بالعودة إلى مقولات التوراة وأساطير التلمود، والزوهار.

الفصل الثاني

التطرف والعنف في الفكر الصهيوني

ذهب الحاخام تسفي كوك، حفيد الحاخام إسحق كوك، إلى أن الجيش الإسرائيلي له القداسة الكاملة، وهو الذي يمثل حكم شعب الإله فوق أرضه، ولا يختلف الملحدون الحلوليون عنه في موقفهم من الجيش فهم عند احتفالهم بعيد الاستقلال على سبيل المثال يغيرون منطوق المزمور (24/118)الذي يقول: «هذا هو اليوم الذي صنعه الرب» بحيث يصبح: "هذا هو اليوم الذي صنعه تسهال"، أي الجيش الإسرائيلي (الذي يمثل مصدر التماسك والوحدة العضوية)، وقد أسس الصهاينة دولتهم ، بحيث تكون الإطار الشعائري (الحلولي الروحي أو المادي) الذي يعزل اليهودي عن العالم، فهي الدولة الجيتو التي تحيط المواطن برموز وشعارات يهودية، وهي الأداة التي يتحقق من خلالها الثالوث الحلولي المقدس.

و تقوم الفكرة الصهيونية على تجميع يهود العالم وتهجيرهم بشتى الوسائل على أرض فلسطين من أجل إقامة دولة اليهود ، وقد استغلت الحركة الصهيونية التعاليم الدينية اليهودية من اجل إقناع اليهود بفكرها وسلوكها من خلال قدرة الديانة اليهودية

---

(2) السابق.

على تدعيم الفكرة الصهيونية وقد ارتكزت الحركة الصهيونية في فكرها إلى الكتاب المقدس (التورا ة) وإلى التعاليم الدينية (المشناة) و أقوال الفلاسفة والمفكرين القباليين من أجل الوصول إلى أهدافها وتعتبر الحركة الصهيونية بفكرها وبالمرتكزات التي اعتمدت عليها قائمة على أساس عنصري إقصائي إحلالي عرقي وجميع هذه المبادئ لا يمكن أن تكون إلا باستخدام العنف وكان ذلك من خلال سلوك الجماعات الصهيونية تجاه اليهود أنفسهم في الشتات لإجبارهم على الهجرة أوتجاه سكان فلسطين من أجل طردهم و إحلال اليهود مكانهم لذلك فإن الفكر الصهيوني والسلوك الصهيوني مبني على العنف بامتياز أي أنه عنف في النظرية والتطبيق ويتجلى عنفه في نظرة اليهودي الصهيوني إلى الآخر أو من خلال توجهاته في تطهير سوق العمل من غير اليهود والتركيز على العمل العبري لذلك فإننا نجد أن العنف في كل نواحي الحياة الصهيونية متجذر [1].

والمُتأمِّل في تعاليم التَّوراة والتلمود والزوهار وغيرها من مصادر العقيدة اليهوديَّة التي كتبتها أيديهم، يجد عجبًا فيما يتعلَّق حتى بفكرة الإله الخالق عزَّ وجلَّ، الذي منَّ على بني إسرائيل، وجعلهم شعبه المختار، فما كان حمدهم له وشكرهم لذاته العليَّة؛ إلا الكفر والجحود، ويتساءل الإنسان في الوقت ذاته عن طبيعة النَّفسيَّات المُعقَّدة التي أنتجتْ هذه العقيدة، ومصير الإنسانيَّة، مع كونها الهدفَ الرَّئيسيَّ، والغاية النَّهائيَّة للحركة الصُّهيونيَّة، وإذا كان الوبال عامًّا على الإنسانيَّة، فإنَّنا هنا، في العالم العربيِّ والإسلاميِّ، الأكثر ابتلاءً من غيرنا من شعوب الأرض، مع كوننا مُرتكزًا أساسيًّا للمشروع الصُّهيونيِّ، ونقطةَ انطلاقٍ رئيسيَّةً لحراك هذا المشروع العنصريِّ الاستيطانيِّ، ولقد دفع الفلسطينيُّون والعرب من حولهم ثمنًا إنسانيًّا وحضاريًّا فادحا[2]

---

(1) أحمد التلاوي : جذور العنف والإرهاب في الفكر اليهوديِّ والحركة الصُّهيونيَّة ، بحوث مختارة ،موقع هدي الاسلام ،http://www.hadielislam.com

(1) المرجع السابق

ولعلَّ أبرز دليلٌ على ذلك، المجزرتَان الَّلتان ارتكبتهما إسرائيل في لبنان في حرب صيف العام 2006م، وفي قطاع غزَّة في ديسمبر 2008م، ويناير 2009م، وأدَّت الأولى إلى مصرع أكثر من 1200 لبنانيٍّ في 35 يومًا من الحرب، وفي الثَّانية استُشْهِدَ أكثر من 1450 فلسطينيٍّ في 23 يومًا من العدوان المُتواصِل.

كما أنَّه ثمَّة جانبٌ آخر برز للصِّراع مع إسرائيل خلال السَّنوات الأخيرة، حاول الكثيرون إخفاؤه في عقود الصِّراع السَّابقة، وهو الجانب العقائدي والدِّينيُّ الذي وضح خلال الحرب على غزَّة؛ حيث خرجت إلى العلن العديد من "الفتاوى" السَّوداء التي أطلقها حاخامات اليهود المتصوفين، وشرعوا فيها قتل أطفال القطاع إذا ما كان في ذلك مصلحةً لأمن إسرائيل!! (1)

جذور العنف والإرهاب والعنصريَّة في المصادر القبالية

عند محاولة تفسير جذور العنف والإرهاب، والقِيَم العنصريَّة التي تحكُم المشروع الصُّهيونيِّ، والتي صَبَغَتْ السِّياسة الإسرائيليَّة خلال عقود الصِّراع العربيِّ/ الإسرائيليِّ، لا يمكن الاقتصار فحسب على العوامل الخارجيَّة أو المُثيرات الموضوعيَّة، والتي يحاول اليهود ومن نحا نحوهم، الادعاء بها، مثل وقوع إسرائيل في بحرٍ من العداء العربيِّ، بما يفرضه ذلك من "ضروراتٍ" لحماية الدَّولة اليهوديَّة الوليدة، بل إنَّ هذه الجذور تعود، إلى التَّكوين التَّاريخيِّ والعقائديِّ للشَّخصيَّة اليهوديَّة ذاتها، وإلى الرَّوافد التي تُكوِّنُ هذه الشَّخصيَّة.

وبجانب التَّوراة والتَّلمود والزوهار وبروتوكولات حكماء صهيون، وأنساقها

الَّلا أخلاقيَّة، فإنَّ الفكر الصُّهيونيَّ يعتبر ابن البيئة التي نشأ فيها؛ حيث نشأ في تربةٍ أوروبيَّةٍ سادت فيها الفلسفات العلمانيَّة الوضعيَّة، مثل النِّيتشويَّة والدَّاروينيَّة، وغيرها، والتي تتجاوز في أفكارها الكثير من الفطرات الإنسانيَّة السَّوية، في التَّعامُل مع الإنسان والكون المحيط به، وأصبح فيها الإنسان الآخر مُجرَّد أداة لتحقيق أهداف الفرد(2).

---

(1) السابق

(1) المرجع السابق

وقد طبعت الحركة الصُّهيونيَّة بعض سمات العنف والإرهاب والعنصريَّة من طبيعتها على مشروعها في فلسطين والعالم العربيِّ والإسلاميِّ، ومن بين هذه السِّمات:

أولاً: أنَّ المشروع الصُّهيونيَّ ليس مشروعًا استعماريًّا فحسب، وإنَّما هو مشروعٌ استيطانيٌّ إحلاليٌّ، ويقضي بإخلاء الأرض، فلسطين، من أهلها الأصليِّين، وهو ما لن يتحقَّق من دون العنف والإرهاب.

ثانيًا: تُضفي الأيديولوجيَّة الصُّهيونيَّة القداسة على الذَّات وتحجبها عن الآخرين، وهو مبدأٌ موجودٌ في نصوصهم المُحرَّفة، وهو ما يعني إهدار حقوق الآخرين بل وإبادتهم، وقد حفلت التَّوراة والتلمود بالعديد من النَّماذج المماثلة لما يحدث في فلسطين؛ حيث الحروب الكثيرة التي يقوم فيها اليهود بطرد بعض الشُّعوب الأخرى من الأرض، وإبادة البعض الآخر [1].

ومن بين ما جاء في "التَّلمود" من طرائفَ في هذا الشَّأن، أنَّ الإسرائيليَّ معتبرٌ عند الله تعالى أكثر من الملائكة، فإذا ضرب أُمِّيٌّ إسرائيليًّا "فكأنما ضرب العزة الإلهيَّة"، وأنَّ "اليهوديَّ جزءٌ من اللهِ، واللهُ يملك الأرض ومن عليها" وبالتالي فهذه الملكية حقٌّ لليهودِ وحدهُم، وفي نفس الإطار تحتل قيمة "الحرب" مكانةً مُهمَّةً في الفكر اليهوديِّ، فالتَّوراة ترسم صورةً لأخلاقيَّات الحرب التي ينسبونها إلى نبيِّ الله موسى – عليه السَّلام – والمفترض أنَّه قد سار على "هَدْيِها" الأحفاد من بعده، وترتكز على "التَّقاليد العسكريَّة الإسرائيليَّة"، كما أنَّه لا يجب احترام أي تعاهدات مع الأغيار، وخصوصًا خلال الحرب معهم.

وقد صار يوشع بن نون أحد أبطال بني إسرائيل التَّاريخيِّين بسبب ما صوره العهد القديم عليه من وحشيَّةٍ في أسلوبه في التَّعامُل مع الشُّعوب القديمة التي كانت تسكن فلسطين، من غير اليهود، وكانوا من العرب، فيقول سِفر "يشوع" في واقعة دخول "أريحا": "**وقتلوا كلَّ ما في المدينة من رجلٍ وامرأةٍ،من طفلٍ وشيخٍ، حتى البقر والغنم بحدِّ السَّيْف**"[2]. ويقول كذلك أنَّه لما استولى يوشع بن نون على

(2) السابق

(1) يوشع 20

مدينة "عاي": "**وكان لمَّا انتهى إسرائيل من قتل جميع سُكَّان "عاي" في الحقل في البريَّة؛ حيث لحقوهم سقطوا جميعًا بحدِّ السَّيْف حتى فنوا، إنَّ جَمْعَ إسرائيل رَحَلَ إلى "عاي" وضربوها بحدِّ السَّيْف**"[1].

وتحفل الأسفار الأخرى للعهد القديم، بالوقائع التي تتحدَّث عن إجلاء الشُّعوب باستخدام العنف والقسوة، فيقول سفر "التَّثنية" على سبيل المثال: "**الرَّبُّ إلهُك يطرد هؤلاء الشُّعوب من أمامك، ويرفع ملوكَهم إلى يدك فتمحو اسمهم من تحت السَّماء**" [2]، بينما يقول سِفر صوئيل الثَّاني: "**فجمع داوود كلَّ الشَّعب وذهب إلى "ربَّة" وحاربها وأخذها وأخرج غنيمة المدينة كثيرةً جدًّا، وأخرج الشَّعب الذي فيها، ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفئوس حديد وأمَّرَهُم في أتون الأجر، وهكذا صنع بجميع مُدن بني عمون، ثم رجع داوود وجميع الشَّعب إلى أورشليم**" [3].

وقد استند المشروع الصُّهيونيُّ في فلسطين على هذه الأُسُسِ في التَّعامُل مع أهل البلد الأصليِّين، ولم يكُن ما ارتكبته العصابات الإرهابيَّة الصُّهيونيَّة ضد الفلسطينيِّين أمرًا طارئًا أو عابرًا أو لاعتبارات الحرب وتأمين التَّجمُّعات الاستيطانيَّة اليهوديَّة في فلسطين، ولكنَّها، كما رأينا جزءٌ من عقيدتهم، ولذلك استمرَّت هذه الطَّريقة في التَّفكير تحكم طريقة إدارتهم للصراع مع العرب بعد ذلك؛ فالحروب التي تشنُّها إسرائيل هي وِفق الشَّريعة اليهوديَّة "حربٌ مُقدَّسةٌ" للدِّفاع عن الاستيطان اليهوديِّ في فلسطين ضد الجيوش العربيَّة "التي غزت أرض فلسطين لكي تُبيد الشَّعب المقاتل من أجل حُرِّيَّتِه"، ولذلك فإنَّ الخدمة في الجيش الإسرائيليِّ أمرٌ دينيٌّ تأمر به التَّوراة. [4]

ولذلك، فإنَّه بعد تأسيس الكيان الصُّهيونيُّ في فلسطين في العام 1948م، عمل قادة الدَّولة الوليدة على خلق شخصيَّةٍ يهوديَّةٍ جديدةٍ بعيدةٍ عن شخصيَّة اليهوديِّ التَّقليديَّة التي أفرزتها آلاف السَّنوات من الشَّتات، فبدلاً من

---

(2) يوشع 21

(3) التثنية17

(4) صموئل الثاني –21–

(1) أحمد التلاوي : جذور العنف والإرهاب في الفكر اليهوديِّ والحركة الصُّهيونيَّة، مرجع سابق

اليهوديِّ البخيل الجبان الضَّعيف القذر، صار، في جيل "الصَّابرا" الذي وُلِدَ في إسرائيل، اليهوديَّ القويَّ المُحارِب الشُّجاع القاسي على أعدائه[1].

ويتم ذلك من خلال مُؤسَّسات الدَّولة المُختلفة، وخصوصًا في الجيش وفي مناهج التَّعليم الإسرائيليَّة، فتلاميذ الصَّفِّ الرَّابع الابتدائيِّ يدرُسون سفر "يشوع"، والذي يُعتَبَرُ أكثر أسفار العهد القديم حديثًا عن الحرب ،وتمجيدًا للعنف ضد الأغيار؛أمَّا مناهج التَّاريخ في كافَّة مراحل التَّعليم في المدراس الإسرائيليَّة، فتُركِّز على ركيزتَيْن أساسيَّتَيْن:

الأولى: تثبيت وهم "حقوق" اليهود في أرض فلسطين، وامتداد هذه "الحقوق" إلى المساحة الواقعة بين النِّيل والفرات، بما في ذلك منطقة خيبر بالسَّعودية، وأنَّ هذه الأرض هي "إسرائيل الكبرى"، وأنَّه لا حقَّ لسُكَّان هذه الأرض فيها.

الثَّانية: تعميق فكرة الاضطهاد اليهوديِّ في أوروبا، كما في روسيا القيصريَّة وإسبانيا، وخصوصًا الهولوكوست [2]اليهودي على يد النَّازي الألمانيِّ في الحرب العالميَّة الثَّانية[3].

وفي مناهج التَّربية الدِّينيَّة، يتمُّ التَّأكيد على فكرةٍ عنصريَّةٍ أخرى، وهي أنَّ اليهود لا يزالون هم شعب الله المختار، وهو ما يُعمِّق نظرتهم الاستعلائيَّة ضد الآخرين، ومن بين النُّصوص التي يحرصون على تلقينها للأطفال ما ورد في سِفر "التَّثنية": "**لأنَّك شعبٌ مُقدَّسٌ للرَّبِّ إلهِك، ولقد اختارك الرَّبُّ لتكون له شعبًا خاصًّا**

---

(2) المرجع السابق

(1) **الهولوكست** في معجم لاروس (ص 772 ، طبعة باريس 1969م) كلمة مشتقة من اليونانية (ὁλόκαυστον ،holókauston)والتي تعني "الحرق الكامل للقرابين المقدمة لخالق الكون" ، وهي طقس من طقوس التضحية معروف عند اليهود ، وفيه تحرق النار القربان بالكامل و " الهولوكوست" مصطلح يستخدمه اليهود للإشارة إلى المحرقة والإبادة النازية ليهود أوروبا ، حيث يزعم اليهود أن هتلر والنازية قد قاما بإعدام ستة ملايين يهودي بغرف الغاز حرقاً ، "والهولوكوست" مصطلح يهودي ديني يشير إلى القربان الذي يضحي به للرب ، ويعد هذا القربان عند اليهود من أكثر الطقوس قداسة ، وفي هذا تشبيه الشعب اليهودي بالقربان المحروق أو المشوي ، وأنه حرق لأنه أكثر الشعوب قداسة !! في الولايات المتحدة سبع متاحف كبار للهولوكوست ، ومركز عبادة – طقس – لهذه الذكرى هو متحف الهولوكوست في واشنطن و الميزانية السنوية لمتحف الهولوكوست في واشنطن والذي أُنشىءَ بقرار فيدرالي هي خمسون مليون دولاراً ، ثلاثون منها تأتي من الميزانية الفيدرالية الأمريكية.

(2) أحمد التلاوي : جذور العنف والإرهاب في الفكر اليهوديِّ والحركة الصُّهيونيَّة ، مرجع سابق،

فوق جميع الشُّعوب الأخرى على وجه الأرض"، وكذلك ما وَرَدَ في سِفر "الَّلاويِّين": "**أنا الرَّبُّ إلهُك الذي ميَّزَكُم عن الشُّعوب وتكونون لي قُدسيِّين؛ لأنِّي قُدُّوسٌ، أنا الرَّبُّ وقد ميَّزتُكم لتكونوا لي**". [1]

وقد أجرى بعض الأكاديميِّين اليهود بدراساتٍ على نفسيَّات وأفكار طلبة الجامعات في إسرائيل من أجل دراسة تأثير هذه النُّصوص على أفكار الجيل الجديد في الكيان الصُّهيونيِّ، ومن بين هذه الدِّراسات التي قام بها عالم النَّفس البروفيسور جورج تامارين على طلبة جامعة تلِّ أبيب في العام 1996م، حول موقف الطلبة ممَّا روج في سفر "يشوع" والفظائع التي تمَّت في أريحا وغيرها من المُدن الفلسطينيَّة القديمة، وكانت النَّتيجة أنَّ 60% منهم رأوا أنَّ ما فعله "يشوع" كان صوابًا، بينما وافق 30% منهم على فعل المثل ضد أهالي قريةٍ عربيَّةٍ مفترضةٍ يحتلها الجيش الإسرائيليِّ[2].

وعلى الذِّكر، فإنَّه في الفترة ما بين العام 1947م، وحتى العام 1949م، لجأت العصابات الصُّهيونيَّة التي كوَّنت فيما بعد الجيش الإسرائيليِّ إلى إرهاب الفلسطينيِّين العزَّل من السِّلاح لكي يتركوا أراضيهم عنوةٍ، ومن بين أهم هذه العصابات الهاجاناه والإرجون زفاي وشتيرن[3]، وارتكبت في سبيل ذلك حوالي 36 مجزرةٍ، دَفَعَتْ ما بين 750 ألف إلى 900 ألف فلسطينيٍّ إلى الهجرة وترك ديارهم.

ومن بين هذه المجازر، مجزرة دير ياسين التي نفَّذتها عصابات الأرجون وشتيرن الصُّهيونيَّة بحق قرية دير ياسين الواقعة على الطريق الأوسط إلى

---

(3) سفر اللاويين– 22–

(1) أحمد التلاوي : جذور العنف والإرهاب في الفكر اليهوديِّ والحركة الصُّهيونيَّة ، مرجع سابق

(2) **"الهاجاناه"** هي عصابة صهيونية تأسست في مدينة القدس كرد فعل للثورة العربية التي اندلعت في فلسطين من العام 1920م إلى العام 1921م، وكان الهدف من إنشائها العمل على حماية المغتصبين اليهود المهاجرين إلى فلسطين، وطرد العرب من مدنهم، وساهمت في بناء أكثر من 50 مستوطنة صهيونية مغتصبة،و"الهاجاناه" كلمةٌ عبريةٌ تعني بالعربية "الدفاع"، ومنها تكون ما يعرف بجيش الدفاع "الإسرائيلي الحالي فبعد إعلان قيام ما يعرف بـ"دولة" الكيان الصهيوني في 15 مايو 1948م، قررت أول حكومة صهيونية بزعامة رئيس الوزراء الصهيوني ديفيد بن جوريون تشكيل "جيش الدفاع الإسرائيلي" من عناصر عصابة "الهاجاناه بعد دمجها في عصاباتٍ صهيونيةٍ أخرى، مثل عصابات الأرجون زفاي وشتيرن وغيرها.

انظر:http://www.ikhwanonline.com16-09-2009

القدس، في 9 أبريل 1948م، وسقط فيها ما بين 250 إلى 360 شهيدًا فلسطينيًّا، ومذبحة قالونيا بعد دير ياسين بثلاثة أيامٍ فقط، وقامت بها قوَّات الهاجاناه، وأسفرت عن استشهاد 14 فلسطينيًّا، ومذبحة عين الزَّيتون في 3 مايو 1948م، التي ارتكبتها قوَّات البالماخ، الجناح الضارب للهاجاناة، وأسفرتْ عن استشهاد 70 فلسطينيًّا، كما نُفِّذَتْ مذابح أخرى في القرى والمدن العربيَّة الرَّئيسيَّة التي أراد الصهاينة إخلاءها، مثل الُّلد والرَّملة ويافا والجليل. [1]

وهذه الرُّؤية عن اليهود واليهوديَّة ليست دعاياتٍ عربيَّةٍ ضد اليهود وإسرائيل، فهناك دراساتٌ قام بها أساتذة يهود كبار حول هذه المسألة، خلصوا منها إلى أنَّ الدِّيانة اليهوديَّة عمَّقت روح الخصوصيَّة والعنصريَّة لدى اليهود، ومن بين هؤلاء البروفسور إسرائيل شاحاك، الذي أصدر كتابًا قبل سنوات، عرض فيه طبيعة نظرة التَّوراة العنصريَّة والنصوص اليهوديَّة المكتوبة والمحرَّفة للآخر غير اليهوديِّ[2].

ولقد تكرَّست هذه القيم عبر قرونٍ طويلةٍ من الجيتو والانعزاليَّة وظاهرة العداء لليهود في أوروبا، والتي كانت مسئولةٌ عن مُختلف كل الأمراض والعُقد الدِّينيَّة والنَّفسيَّة والعنصرية لدى اليهود، وبدلاً من تغيير الغرب لسلوكه إزاء اليهود هناك، صدَّرَهم إلى فلسطين للخلاص منهم، وهم محمَّلين بكلِّ هذه العُقَدِ.

ومن يقرأ ما كتبه أبو المشروع الصُّهيونيِّ، تيودور هيرتزل المتأثر بالفكر الصوفي القبالي في يوميَّاته ومحاضراته، يفهم ذلك جيِّدًا، ومن بين ذلك ما نشرته مجلة "فرنسا القديمة" من محاضرات هيرتزل؛ حيث نشرت بعض ما جاء في محاضراته في شأن نظرته إلى الآخر غير اليهوديِّ أو "الجوييم"؛ حيث قال حرفيًّا: "لقد حُكِمَ على الجميع أنْ يموتوا، ولذلك خير لنا أنْ نُعجِّل في موت أولئك الذين يتدخَّلون في شئوننا من أنْ نرى أبناءَنا أو مِنْ أنْ نرى أنفسنا نموت"[3].

ويقول هيرتزل أيضًا إنَّ غاية اليهود السَّيطرة على العالم، واستئصال جميع الأديان غير الدِّين اليهوديِّ، فيقول: "ومتى أصبحنا أسياد النَّاس، لا ندع في

---

(3) أحمد التلاوي : جذور العنف والإرهاب في الفكر اليهوديِّ والحركة الصُّهيونيَّة ،مرجع سابق

(1) المرجع السابق

(2) أحمد التلاوي : جذور العنف والإرهاب في الفكر اليهوديِّ والحركة الصُّهيونيَّة ،مرجع سابق

الوجود سوى ديانتنا التي تنادي بالإله الواحد الذي يتعلَّق به مصيرُنا، لأنَّنا نحن "شعب الله المختار"، ولأنَّ مصيرَنا يُقرِّر مصير العالم، ولذلك وجب علينا أنْ نُلاشي سائر الأديان إلى أنْ نتوصَّل إلى السِّيادة على سائر الشُّعوب"[1].

ولعل من أبرز ما جاء في محاضرات هرتزل السرية خطته لتهويد الحكام حتى يكونوا عملاء لليهود عندما يقول :"حينئذ يكون عملاء جميع البلدان يهوداً أو من صنائع اليهود، وهنا يبدأ العهد اليهودي العالمي ويبقى كل تنظيم وكل تدبير في أيدي اليهود دون غيرهم، ويكون الخوارج مأموري تنفيذ ليس إلا " [2].

وجاء بعد هرتزل تروتسكي[3]الذي كان يقاوم عمليات اضطهاد اليهود في روسيا القيصرية بارتكاب مختلف أنواع العنف، إلى أن استطاع أن ينضم إلى قيادة الثورة التي كان يقودها لينين. وكان أول قراراتها هو اعتبار اللاسامية واضطهاد اليهود جريمة لا تغتفر في تنظيماتها حتى أنهم سيطروا على قيادتها، وإذا كان هرتزل نظرياً أكثر منه عملياً أي أنه كان يخطط للقتل ولم يكن يقوم بتنفيذ عمليات القتل بيديه إلا أن تروتسكي كان يختلف عنه نهائياً إذ كان يخطط وينفذ كل عمليات الإرهاب [4] .

فهو صاحب نظرية " إتلاف كل كهل وشيخ ومشوه وعاجز لا يستطيع أن ينفع نفسه بنفسه كما تتلف جميع الحشرات أو الحيوانات الضارة، والتحرر الكلي من

---

(3) المرجع السابق

(4) انظر:المركز الفلسطيني للأعلام ، الإطار والأصول الفكرية للإرهاب الصهيوني، الإرهاب في العقيدة الصهيونية .http://www.palestine-info.com/arabic/terror/alfikr/alettar

(1) **ليون تروتسكي** (بالروسية: Лев Давидович Троцкий) اسمه الحقيقي ليف دافيدوفيتش برونشتاين (25 اكتوبر 1879م – 21 أغسطس 1940م) هو ماركسي بارز وأحد زعماء ثورة أكتوبر في روسيا عام 1917م إضافة إلى الحركة الشيوعية العالمية في النصف الأول للقرن الماضي ومؤسس المذهب التروتسكي الشيوعي بصفته إحدى فصائل الشيوعية الذي يدعو إلى الثورة العالمية الدائمة الرامية لإقامة دولة شيوعية عالمية يسيطر عليها اليهود. وهو أيضاً مؤسس الجيش الأحمر وعضو المكتب السياسي في الحزب البلشفي إبان حكم لينين،انظر: North, David (2010). In Defense of Leon Trotsky. Mehring Books. p. 145

(2) المركز الفلسطيني للأعلام ، الإطار والأصول الفكرية للإرهاب الصهيوني ، مرجع سابق .

المادية " ، وهي النظرية التي يؤكدون بأنها كانت أساس النظرية النازية التي استعان بها هتلر من أفكار اليهودي الصهيوني تروتسكي، وانتهت بأن أصبحت جزءاً من العمليات الإجرامية النازية التي كان أول تطبيق وتنفيذ عملي لتفاصيلها في الشعب اليهودي [1].

أما النظرية الإرهابية التي تعتبر أكبر بشاعة والتي قام تروتسكي بتنفيذها على مسؤوليته ثم حاول انتزاع قرار بتطبيقها من القيادة الشيوعية، وهي التي تؤكد على ضرورة تطهير المجتمع الإنساني بإبادة أكبر عدد ممكن من الجنس البشري ليعيش ما تبقى منه برفاهية ورخاء [2].

وكان أبرز من انضم حول قيادة تروتسكي مجموعة من الإرهابيين الذين أصبح لهم مناصب مهمة في الحركة الصهيونية ، ولعل من أشهرهم مناحيم بيغن واسحق شامير الذْين تولى كلا منهم منصب رئيس وزراء اسرائيل.

العنف في العقيدة والفكر الصهيوني:

إن الأصول الدينية للعنف والإرهاب في اسرائيل كرس لها الفكر القبالي مستندا لنصوص يعتبرها مقدسة مثل " **حين نقترب من مدينة لكي تحاربها فاعرض عليها الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعوب الموجودة فيها تكون لك للتسخير وتستعبد لك، وإن لم تسالمك وعملت معك حرباً فلتحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، أما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها لنفسك وتأكل عتمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك، وهكذا تفعل جميع المدن البعيدة منك جداً، التي ليست من مدن هؤلاء إلا من ها هنا، وإلى مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك فلا تستبق منها نسمة واحدة** " [3].

وغيرها من النصوص التي استلهما القباليون اليهود من التوراة والزوهار وبنو عليها سياستهم في البطش والعنف، وليس تدميرهم لأريحا في قديم الزمان وقضائهم

---

(3) المرجع السابق .

(4) السابق .

(1) سفر التثنية، 16/14.

على جميع سكانها وحتى البهائم، وما دير ياسين القرية العربية التي دمرها اليهود في 1948 م ، وذبحوا جميع سكانها من نساء وأطفال وشيوخ إلا شواهد على البربرية الصهيونية، التي تستمد من التوراة أفكارها الرئيسية، وتستوحيها في منطلقاتها السياسية والعملية في الحياة .

والتوراة تزخر بالآيات التي تحض على هذا السلوك، إذ تأمر باستعمال أقصى درجات العنف مع العدو وتسوق الكثير من أساليب العنف الوحشية كضرب المدن بالسيف والعقاب الجماعي والإبادة التامة ويلزم أن تنحدر الأساليب الوحشية إلى الدرك الأسفل من البهيمية فتنادي بأن تحطم أطفالهم أما عيونهم، وتنهب بيوتهم وتفضح نساءهم، لا يرحمون ثمرة بطن ولا تشفق عيونهم على الأولاد [1] .

ولعل الذي حدث وما زال يحدث للفلسطينيين أكبر دليل على استمرار تلك السياسة .

ويتحمل الفكر الصهيوني المعاصر مسؤولية أدبية كبيرة بموقفه السلبي وغير الموضوعي إزاء حملات إبادة الجنس التي ترتكبها السلطات الإسرائيلية ضد الأقلية العربية، هذه السياسة التي تتنافى مع أبسط الحقوق والقيم الإنسانية التي تعارف عليها المجتمع الدولي، الذي أقر أن لكل إنسان الحق الطبيعي في الحياة.

وهناك أمثلة كثيرة على إبادة الجنس التي يتعرض لها الفلسطينيون كمذابح قبية، ودير ياسين وكفر قاسم، وتلجأ الصهيونية إلى هذا الأسلوب للحد من معدل المواليد المرتفع بين السكان العرب، والذي يهدد الطابع اليهودي للدولة الذي تحرص عليه الصهيونية تمهيداً للأخذ في المستقبل بمبدأ الفصل التام بين الجماعتين [2] .

يقول هرتزل: " فليمنحونا حق السيادة على قطعة من الأرض في هذه المعمورة تكفي لإشباع الحاجات المشروعة لأمة من الأمم، أما الباقي فسنتكفل به بأنفسنا " [3].

---

(2) المركز الفلسطيني للأعلام ، الإطار والأصول الفكرية للإرهاب الصهيوني ، مرجع سابق

(1) المرجع السابق

(2) المرجع السابق.

وتعتبر فكرة الصراع عند اليهود فكرة بدائية تحتوي على الكثير من رواسب حياة الصيد والقنص وأخطار المعيشة في البادية، فهناك كل غريب يعتبر عدواً يجب قتله أو أسره وتسخيره على الأقل، يستوي في ذلك الحيوان والإنسان .

وفي حكايات الكتاب المقدس اليهودي ما لا يحصى من أمثلة هذا الصراع، مثلاً يقرأ أن يوشع بن نون أراد – بعد موت موسى – أن يدخل بقومه إلى فلسطين، فعسكر حول مدينة أريحا وأمر بالنفخ في الأبواق، "**ولما سمع الشعب صوت البوق، هتف الشعب هتافاً عظيماً، وصعد الشعب إلى المدينة كل امرئ لوجهته، وأخذوا المدينة، وأبادوا كل ما في المدينة من رجل وامرأة، وطفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير، بحد السيف**" [1].

وتستقر على مر الزمن فكر الصراع في قلوب اليهود، ويتطور في نفسية اصطبغت بالتعصب العنصري والانعزال الاجتماعي [2] .

ونلاحظ في التراث اليهودي القديم فناً من فنون الأدب الديني، يطلق عليه اصطلاحاً (الأسكاتولوجيا) [3] ومعناه الحرفي (وصف النهاية) التي تصور حتمية معينة ينتهي بها هذا العالم، وفي كل الكتابات اليهودية حول هذا الصراع نلاحظ اقتران فكرة الصراع بهذه النهاية الحتمية، ونجد أن المنتصر الأخير في هذا الصراع هو حتماً وبطبيعة الحال إسرائيل .

فنجد أكثر سفر النبي حزقيال من قبيل هذه الرؤى الحتمية، تشب فيها حروب، تبدأ بتطهير المجتمع اليهودي نفسه من الدنس، وهو تطهير يتم بالحرب والحصار

---

(3) يوشع 21:20:6.

(1) المركز الفلسطيني للأعلام ، الإطار والأصول الفكرية للإرهاب الصهيوني ،مرجع سابق.

(2) **الإسكاتولوجيا** أو علم الأخرويات (دراسة الأخرويات) هي جزء من اللاهوت والفلسفة يهتم بما يعتقد أنه الأحداث الأخيرة قبل نهاية العالم،وفي عدة ديانات تشير الإسكاتولوجيا إلى عدة أحداث مستقبلية متوقعة في النصوص المقدسة أو الفلكلور، وتشمل مواضيع متعلقة مثل المسيا أو العصر المسياني واليوم الأخير،وترتبط الإسكاتولوجيا والأبوكاليبس بنهاية عنيفة للعالم، وترى الإسكاتولوجيا المسيحية واليهودية نهاية الزمن كتكميل الله لخلق العالم ؛ بينما في التصوف عبارة مجازية يشير إلى نهاية للواقع العادي والتوحد مع الاله ، و الأمور التقليدية في العديد من الأديان انها تدرس بوصفها حدثا لأمور مستقبلية تنبأ فى النصوص المقدسة أو فى الأدب الشعبى. و بتوسع أكثر , الايمان بالآخرة قد يشمل المفاهيم المرتبطة بها مثل المسيح أو عصر المخلص, و نهاية الزمن . انظر الموسوعة الحرة،http://ar.wikipedia.org وموسوعة المعرفة ،اليوم الاخر http://www.marefa.org

والموت، ويسلط فيه الله غضبه على أورشليم وساكنيها " **ثلث يموت بالوباء والجوع يهلكون في وسط المدينة، وثلث يسقط بالسيف من حولها، وثلث يذريه الرب في كل ريح، ويرفع من ورائهم سيفاً مسلولاً** "[1] وبعد هذا التطهير يكون الشعب المختار – أو من بقي منه – قد أصبح جديراً بخوض المعركة النهائية التي ينتصر فيها على العالم ويخضع لإرادته [2].

(3) انظر : حزقيال – الإصحاح الخامس –.

(4) المركز الفلسطيني للأعلام ، الإطار والأصول الفكرية للإرهاب الصهيوني،مرجع سابق.

الحقد والكراهية :

إن من أخطر ما جاء في الأيديولوجية اليهودية الصوفية الدعوة إلى هدم الأسرة والأخلاق والدين، دعوة قبالية صهيونية، والدعوة إلى الإباحية من صميم ما خططت له بروتوكولات حكماء صهيون لفرض السيطرة على العالم، باستخدام كل الوسائل وإشاعة الأدب المريض[1]

من هذا الأدب المريض تنطلق الدعوة إلى الإباحية المطلقة لهدم الأسرة وتدمير الأخلاق في المجتمع، ولا ريب أن هدم الأسرة وتدمير أخلاق المجتمع هما سبيل القضاء على مناعة الأمة المقاومة، وقدرة الدولة على رد التحدي. إنهم يجدون في هذا التهديم الاجتماعي قوة فاعلة أكثر من التهديم الأيديولوجي الذي يروجون له في الحركات الفلسفية والاقتصادية والعلمية التي يطلقونها بتوقيت معين [2].

ويصور وليم جاي كار في كتابه " أحجار على رقعة الشطرنج" [3] الدور الخطير الذي قام به اليهود في تخريب العالم، فيقول أن المخطط هو تدمير جميع

---

(1) كشفت وزيرة الخارجية الإسرائيلية السابقة تسيبى ليفنى، عن ممارستها الجنس، خلال عملها بجهاز الاستخبارات الإسرائيلية «الموساد»، مع شخصيات عربية، لتوريطهم فى فضائح جنسية، وابتزازهم لتقديم معلومات مهمة وتنازلات سياسية ،وقالت «ليفنى» فى مقابلة لها مع صحيفة «تايمز» البريطانية، ونشرت صحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية مقتطفات منها، إنها ليست ضد ممارسة الجنس فى سبيل الحصول على معلومات تفيد دولة إسرائيل،وكشفت تسيبي ليفني عن جوانب كثيرة صادمة تتعلق بعملها سابقاً فى جهاز الاستخبارات «الموساد»، حيث تفاخرت بأعمالها البطولية التى تضمنت تنفيذ عمليات خاصة كإسقاط شخصيات مهمة عن طريق الإيقاع بهم فى فضائح جنسية، وأكدت أنها لن تتردد فى فعل ذلك مجدداً طالما أنه يصب فى صالح إسرائيل، وأكدت «ليفني» أنها لا تمانع في أن تقتل أو تمارس الجنس إذا كان الهدف من وراء ذلك هو الحصول على معلومات تفيد إسرائيل، واعترفت بأن «الموساد» أنقذها أكثر من مرة فى قضايا تورطت فيها فى عدة دول أوروبية، راح ضحيتها علماء، كان بعضهم عرباً ،وبررت الزعيمة السابقة لحزب «كاديما» المعارض عدم إقامتها أي علاقة عاطفية طوال تلك السنوات، بقولها إن مثل هذه العلاقات تتطلب الأمانة والصدق والإخلاص بين زوجين، وأنها لم تتمكن من بناء مثل تلك العلاقة مع أحد، وأضافت: «لكن وجود علاقة قصيرة وعابرة لا يسبب أى أذى أو ضرر، إذا التزم الطرفان بالقواعد والضوابط».،وتأتى تصريحات «ليفني» عقب صدور فتوى من الحاخام آري شفات، الذي يعد أحد أكبر وأشهر الحاخامات القباليين في إسرائيل، أباح خلالها للنساء الإسرائيليات ممارسة الجنس مع الأعداء مقابل الحصول على معلومات مهمة، بدعوى أن الشريعة اليهودية تسمح بذلك. انظر: «ليفنى»: مارست الجنس مع عرب مقابل «تنازلات سياسية»، مقابلة لها مع صحيفة «تايمز» البريطانية، ونشرتها صحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية وترجمتها صحيفة المصري اليوم بتاريخ 3نوفمبر2012 م .

(2) المركز الفلسطيني للأعلام ، الإطار والأصول الفكرية للإرهاب الصهيوني،مرجع سابق.

(3)كتاب أحجار على رقعة الشطرنج للمؤلف: وليام غاي كار هو التطبيق العملي للبروتوكولات و هو من أخطر الكتب التي فضحت المخطط الصهيوني و الماسونية العالمية و يكشف دور المنظمات السرية العالمية في=

حكومات وأديان العالم، ويتم الوصول إلى هنا عن طريق تقسيم الجوييم (غير اليهود) إلى معسكرات متنابذة تتصارع إلى الأبد حول عدد من المشاكل التي تتولد دونما توقف، مشاكل اقتصادية وسياسية وعنصرية واجتماعية، ويجري تدبير حادث في كل مرة يكون من شأنه أن ينقض هذه المعسكرات بعضها بعضاً فيحطمون الحكومات الوطنية والمؤسسات والقواعد الدينية [1].

وللوصول إلى الهدف أشار المؤلف إلى استعمال الرشوة والمال والجنس للوصول إلى السيطرة على الأشخاص الذين يشغلون المراكز الحساسة في مختلف المستويات، في جميع الحكومات، وفي مختلف مجالات النشاط الإنساني، ويعد السيطرة على الصحافة وأجهزة الإعلام هدف أساسي في تنفيذ هذا المخطط، بحيث ينتهي الأمر بهم إلى حملهم إلى الاعتقاد بأن تكون حكومة أممية واحدة هو الطريق لحل مشاكل العالم المختلفة [2].

وهناك قول مأثور ردده التلمود هو :"**كما أن العالم لا يمكن أن يعيش بلا هواء فإنه لا يمكن أن يعيش بدون إسرائيل**" [3] ، ومن خلال هذا القول يمكن أن نستنتج النزعة العنصرية التي تجعل الإسرائيلي يشعر أنه من جوهر غير طينة البشر جميعاً، وأن هذا الجوهر مفرد بأسرار ومواهب لا توجد في غيره، وأن الإسرائيلي قد خلق كذلك بتدبير سماوي، لأن الدنيا التي أبدعها الله سبحانه وتعالى ما كان يمكن أن يستقيم أمرها من غير اليهود .

فنرى كيف يتحول الإحساس بالقلة والذلة إلى صورة لا مثيل لها من الغرور وجنون العظمة والصلف والكبرياء، التي تجعل عودة تلك الفئة من الناس إلى إطار المجتمع الإنساني السليم أمراً مستعصياً.

=صنع الثورات والحروب التي جرّت الخراب والدمار على البشرية، كما يشرح مخططاتهم السرية للسيطرة على العالم أو القضاء عليه صدر عن دار النفائس; ترجمة: سعيد جزائرلي ، بيروت، 1970

(1) المركز الفلسطيني للأعلام ، الإطار والأصول الفكرية للإرهاب الصهيوني ،مرجع سابق .

(2) المرجع السابق.

(3) السابق.

إن التاريخ الإسرائيلي القديم كان بشكل رئيسي تاريخ عسكري، فجنود موسى ويهودا وداوود لم يتوقف القتال حتى فيما بينهم – حسب ما جاء في التوراة – فلم يكونوا متساهلين حتى مع أعدائهم المهزومين، ويهودا إله إسرائيل كان أيضاً إله الجيوش اليهودية الذين قاتلوا ضد الآشوريين والبابليين والمصريين والفارسيين واليونانيين والرومان .

وفي ذلك يقول بن جوريون [1]: " إن كل تاريخ إسرائيل القيم يرويه لنا الكتاب المقدس إن هو بالدرجة الأولى إلا تاريخ إسرائيل العسكري لقد حارب اليهود الأوائل الآشوريين البابليين والمصريين والعموريين والفرس والإغريق والرومان، وحين هزموا على يد فيالق تيتوس بعد معركة يائسة آثروا أن يقتلوا أنفسهم في مسعدة رمزاً لإرادتها، فاليوم يقسم المجندون يمين الولاء فوق قلعة مسعدة وهم يرددون لن تسقط مسعدة مرة أخرى" [2]، وترسيخاً لهذا الفكر العسكري بذل المؤرخون العسكريون الإسرائيليون عناية جهدهم لإخراج ما أسموه بالتاريخ العسكري اليهودي، وذهبوا يربطون بين معارك العبرانيين في الماضي السحيق وحروب دولة إسرائيل في الزمن الحديث ليقنعوا أنفسهم قبل غيرهم بأنهم أصحاب مهمة إلهية [3] وحيث استلزم تثبيت هذه المفاهيم في وجدان المواطن وخلق رباط تاريخي متين في ماضي العبرانيين السحيق وحاضر الصهيونيين الماضي أمسى ضرورياً مداومة التأكيد على

(1) **دافيد بن غوريون** (بالعبرية: דוד בן גוריון)؛ (16 أكتوبر 1886 - 1 ديسمبر 1973)، أوّل رئيس وزراء لدولة إسرائيل؛وُلد بن غوريون في مدينة "بلونسك" البولندية باسم دافيد غرين، ولتحمّسة للصهيونية، هاجر إلى فلسطين في 1906. وإمتهن الصحافة في بداية حياته العملية وبدأ باستعمال الاسم اليهودي "بن غوريون" عندما مارس حياته السياسية ،وكان بن غوريون من طلائع الحركة العمّالية الصهيونية في مرحلة تأسيس دولة إسرائيل. وخلال فترة رئاسته لمجلس الوزراء الإسرائيلي الممتد من 25 يناير 1948 وحتى 1963(باستثناء الأعوام 1953 حتى 1955) ، فقد قاد بن غوريون إسرائيل في حرب 1948 التي يُطلق عليها الإسرائيليون، حرب الاستقلال، ويعد بن غوريون من المؤسسين لحزب العمل الإسرائيلي والذي تبوّأ رئاسة الوزراء الإسرائيلية لمدة 30 عاماً منذ تأسيس إسرائيل. انظر الموسوعة الحرة ،ديفيد بن جوريون- http://ar.wikipedia.org/wiki.

(2) المركز الفلسطيني للأعلام ، الإطار والأصول الفكرية للإرهاب الصهيوني ،مرجع سابق..

(3) المرجع السابق.

أن هذا الحاضر إن هو إلا امتداد للماضي، وأن الحروب حتمية تاريخية لا محيد عنها لإنجاز الرسالة اليهودية .

وهكذا عقدوا المقارنات بين فرسان داوود وسليمان وبين دبابات إسرائيل الحديثة، وأقاموا الندوات لبحث أوجه الشبه والخلاف بين الأساليب القديمة والتكتيكات المعاصرة، اقتناعاً منهم بالآتي:

إنه طالما ينمو العمل الصهيوني نحو التوسع فلا مناص أن يعتنق أنماط الإستراتيجية التعرضية بأشكالها المباشرة وغير المباشرة وبكل ما يستتبعه ذلك من ضرورات ترسيخ عقائد ومفاهيم دينية قبالية تلائمه يكون قوامها الحق اليهودي في الاستيلاء على أرض الميعاد حتى يؤمن الجنود بشرعية خوض الحرب العدوانية عن قناعة ورضا نفس، وتتوفر لهم حوافز ممارسة النضال العنيف إطاعة لوصايا رب الجنود وتنفيذاً للوعد الإلهي، ولما كانت تعبئة جيش ضخم تتطلب تحويل مجتمع إسرائيل برمته إلى شعب مسلح أصبح لزاماً أن تحاط بهالة من القدسية حتى يصير شرف الانخراط في سلك الجندية أملاً يتمناه الكافة، وامتيازاً ينفرد به الصفوة [1].

ولتحقيق ذلك لا تنتهي المؤسسة العسكرية الإسرائيلية عن بذل غاية الجهد لترسيخ تعاليم الديانة اليهودية التي تحض على القتال وتحث على تعبئة الموارد والإعداد للحرب كما تعمل بلا ملل على نشر الوصايا الدينية العسكرية لتصبح جزءاً من حياة الجنود وزادهم اليومي، ثقة منهم بأن ذلك هو السبيل الأمثل نحو خلق الشخصية العسكرية المقاتلة المتمتعة بصفات المبادأة والتعرض المشحونة بروح الهجوم والرغبة في القتال .

وهكذا يلقن الجيش الإسرائيلي رجاله دروس التاريخ العسكري الديني لليهود جنباً إلى جنب مع الدروس الحربية المستقاة من التاريخ العسكري العالمي، القديم والحديث، وتنظر إسرائيل إلى تاريخها في القرن العشرين على أنه امتداد للتاريخ السابق، ويرى

---

(1) المرجع السابق .

المفكرون العسكريون الإسرائيليون أن دراسة معارك تلك الغزوات قد تفيد إفادة مباشرة في تلقي الدروس والنتائج المستفادة الملائمة للحرب الحديثة [1] .

وخلاصة القول أن الديانة اليهودية تمثل إطاراً عاماً للنظرية الصهيونية، والقبالا مصدر العقيدة اليهودية، منها نبعت فكرة "الخلاص والعودة"، وعلى هديها رسم اليهود حياتهم ورتبوا معاملاتهم . وقد عملت الحركة الصهيونية على تحويل العقيدة الدينية اليهودية إلى نظرية سياسية تطالب بحق تاريخي، وتستند إلى وعد إلهي، ولهذا كان الدين اليهودي هو الأساس الذي ارتكزت عليه النظرية السياسية الصهيونية، والذي اتخذه دعاتها للمناداة بالقومية اليهودية وسنداً للمطالبة بتحقيق الوعد الإلهي، وصكاً لملكية أرض فلسطين وحق العودة إليها لبناء الدولة الحديثة والمعبد الثالث في أورشليم، وتزعم الصهيونية أنه مثلما حفظ الدين اليهودي الشعب من الاندثار والضياع عبر قرون طويلة، يستطيع الدين في الحاضر أن يعيد شمله فوق أرض الميعاد، وأن يشكل العروة الوثقى التي تربط بين تراث الماضي السحيق وتطلعات الحاضر وأمنيات المستقبل، ثم لا تكتفي الصهيونية بما اقتطعتها التوراة من أراضي فلسطين، فتلك وصية الرب ووعد الإلهي لشعبه المختار " **كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيه كلما كلمت موسى**" [2].

وفي نفس المعنى قال بن غوريون : هنا تكون الحدود حيث يصل الزحف الإسرائيلي إن ما حدده الرب هو فضل ضمان لإسرائيل، أما الضمانات التي أعطتها لنا الدول الثلاث فليس لها مثيل هذا الوضع أو تلك الثقة [3].

---

(1)المرجع السابق.

(2). سفر يشوع 1 : 2 – 6

(3) السابق .

ويعزز موشي ديان[1] هذه الآراء فيكتب قبل حرب 1967 مقالاً عن روح المحارب يسوق فيه قصة المبارزة الصغيرة بين داوود وجالوت ليظهر بعض أوجه الشبه بينهما وبين الموقف الذي كان سائداً بين العرب وإسرائيل في 1967 بالنسبة لاختلال ميزان القوى بين الطرفين المتصارعين، ويسهم دايان في سرده لأحداث تلك المبارزة القديمة بإظهار جانب المقارنة بين خفة الحركة وبين البطء والجمود لتبيان قيمة المرونة المادية والفكرية في تحقيق النصر [2] .

يُمكن تلخيص أهمُّ ما تبُثُّه تلك الأساطير التَّوراتية والتَّلموديَّة في اليهود من روحٍ عدوانية في الآتي:

أولاً: استلهام الرُّوح العدوانيَّة في التُّراث الدِّينيِّ اليهوديِّ المشبع بالفكر القبالي، فالتَّطرُّف الدِّينيُّ والعنصريُّ في النَّظرة الصُّهيونيَّة الجديدة تجاه غير اليهوديِّ، يعكس دمجًا فكريًّا بين القوميَّة المُعادية للأجانب وبين التَّطرُّف الدِّيني الضَّيِّق، أي أنَّها تُشكِّل الأساسَ الدينيَّ للعنفِ والإرهاب اللَّذان ينتج عنهما القتل والسَّبي والتَّدمير والقسوة الوحشيَّة.

ثانيًا: استلهام تقاليد الرُّوح العدوانيَّة في الفكر والسُّلوك الصُّهيونيَّيْن، فالصُّهيونية فكرًا وسلوكًا موبوءةٌ بالتَّعصُّب العنصريُّ والدِّينيُّ، والعُنف هو الأداة التي يستخدمها الصَّهاينة لإعادة صياغة شخصيَّة اليهوديِّ، وتُشكِّل عن طريقها من خلال كتبهم

(1) **موشيه دايان** وبالعبرية משה דיין (20 مايو 1915 - 16 أكتوبر 1981)، شارك موشيه ديان في معظم الحروب العربية الإسرائيلية، وبدأ حياته عضوا في الهاجاناه قبل إنشاء الدولة العبرية،تدرج في المناصب السياسية والعسكرية وعمل وزيرا للدفاع الإسرائيلي أبان حرب عامي 67 و73 التي استقال بعدها نتيجة الغضب والاحتجاج الشعبي الإسرائيلي يُترجم اسمه من العبرية إلى العربية إلى "القاضي موسى" وقد اختاره بيجين وزيرا للخارجية عام 1977 وساهم بقدر كبير في انجاز اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل عام 1979و في 16 أكتوبر 1981، مات دايان متأثراً بسرطان القولون في مدينة تل أبيب ودفن في "ناهال" حيث نشأ.

انظر ، كيف يفكر زعماء الصهيونية، أمين هويدي، دار المعارف بمصر، من دون تاريخ طبع، ص 167 - 206.

(2) المركز الفلسطيني للأعلام ، الإطار والأصول الفكرية للإرهاب الصهيوني ،مرجع سابق..

المُحرَّفة والموضوعة، الأساسَ الدِّينيَّ للاحتلال والتَّوسُّع والسَّيطرة، وما ينتج عن ذلك من اغتصابٍ يهوديٍّ لأرض الغير، بعد طرد أهل الأرض منها.

ثالثًا: تمجيد القوَّة الإسبارطيَّة[1] كمثلٍ أعلى، لذلك تمَّ عسكرة المجتمع الإسرائيليِّ في فلسطين، والتي تُشكِّل الأساس الدِّينيَّ للحرب الجماعيَّة أو الأُمَّة المُسلَّحة، وينتُج عنها وجوب القتال على كلِّ قادرٍ في البلاد، وتسخير الشَّعب كلِّه لهدف الحرب.

رابعًا: الإحساس بحتميَّة الحروب لاستمرار الوجود الإسرائيليِّ في فلسطين، تمهيد لعودة المشايح وبداية الزمن الإسرائيلي [2].

وفي صميم ذْلك كان انتشار المفاهيم القبالية وتعاليمهما عن طريق أتباعها اليهود في أنحاء العالم خاصة الغربي الدور الأبرز حيث تأثر الفكر الصهيوني بالمفاهيم القبالية في تأكيد وحدة الإله بالشعب اليهودي والأرض اليهودية وحلوله فيهما باعتبار أنهما مزيج قدسي واحد وصولا إلى دعوى مركزية أرض إسرائيل المقدسة .حيث أن تفسيرات هذه العقيدة الباطنية تقوى لدى اليهودي الشعور بالسيادة على البشر والإيمان بالثالوث المقدس:" التوراة" ، و" شعب إسرائيل"، و"أرض إسرائيل"، وقد

(1) في القرن الثامن قبل الميلاد نشأت **دولة المدينة الإسبارطية،** على قيم الصرامة والقوة والبحث عن الكمال، من خلال التربية العسكرية والنشاط البدني بل أن مفردة Spartanتعني البسيط والمقتصد والبعيد عن الترف والصارم المنضبط النفس، ومن واقع طبيعة النشأة التي قامت عليها دولة إسبارطة حيث حالة الصراع والمعارك الطاحنة التي قامت بينها ومناطق الجوار، كان الاتجاه نحو إخضاع الشعوب إلى حد استعبادهم ليتجلى دور النخبة المحاربة، في دعم الدولة، و ليتحصلوا على النفوذ والقيمة الاجتماعية والسياسية، و جاءت تشريعات (ليكورغوس) لتعمق دالة التمايز في مفهوم المواطنة، والتي تم اقتصارها على المواطنين القادرين على المساهمة في دعم قوة الدولة،وهي نفس القيم والمفاهيم التي تحتل العقلية اليهودية وتشكل الوجدان الاسرائيلي في العنف والعدوان تقول الدكتورة نوريت بيليد الحنان أستاذة التربية والأدب المقارن في الجامعة العبرية في كتابها الهام» فلسطين في الكتب المدرسية الاسرائيلية: الايديولوجيا والبروباجندا في التعليم» ـــ دار (I.B. Tauris.)القدس (2012)- إن اسرائيل الاسبارطية تبدأ من الكتاب المدرسي حيث التطهير العرقي للفلسطينيين له ما يوازيه في الكتب المدرسية الإسرائيلية «الشبيهة بساحة حرب ولغة البيانات العسكرية»، وتهدف إلى «إعداد الطلاب الاسرائيليين للخدمة العسكرية كي يكونوا جنوداً جيدين» وعن سبب تحوّل الاسرائيليين الى وحوش حين يرتدون البدلة العسكرية؟». أكدت أن الكتب المدرسية التي يتربّى عليها الأطفال الإسرائيليون هي السبب

(2) أحمد التلاوي : جذور العنف والإرهاب في الفكر اليهوديِّ والحركة الصُّهيونيَّة، مرجع سابق

ساهمت هذه العقيدة في تصاعد الفكر الصهيوني الذي ينادى بإعادة الأرض إلى اليهود لقداستها وفكرة التعجيل بالنهاية – أي دون انتظار لمجئ المسيح – ومن ثم تحقق لهم فكرة تعجيل السيادة على شعوب الأرض[1].

ولدلك نجد أن المجتمع الإسرائيلي ليس مجتمعًا عسكريًا فحسب بل أنه على العكس .. أمة محاربة والفرق واضح فالمجتمع العسكري يعني أن الأداة العسكرية ذات المهنة العسكرية هي التي تتحكم في مساراته أما الأمة المحاربة فتعني أنه في حالة المواجهة أو القتال يصير جميع أفراد المجتمع السياسي مقاتلين قد اتخذ كل منهم موقعه في دفع العجلة القتالية، وهكذا غذت الأفكار القبالية عقيدة الحرب والقتال في شتي تيارات المجتمع الإسرائيلي فالحرب وفقا للمفاهيم القبالية حتمية وضرورية لاستيطان الأرض وبسط النفوذ عليها تمهيدا لاستقبال الماشيح اليهودي الذي سيحكم العالم وفقا للنبوءات الصوفية القبالية .

---

(1)هدي درويش: عقيدة القبالة ودورها فى تشكيل العقلية اليهودية العنصرية المعاصرة،رسالة المعرفة ، العدد الثانى ، السنة الثالثة عشر ، ٢٠٠٤ م ،مركز تنمية البحوث ، القاهرة ،ومجلة الدراسات الشرقية ، العدد الثالث والثلاثون ، يوليو ٢٠٠٤ م.

الفصل الثالث

الحركات والأحزاب الصهيونية وموقفها من الاستيطان

أدت هيمنة القبالا وتصاعد معدلاتها في اليهودية إلى تراجع اليهودية الحاخامية [1]ومؤسساتها، وتراجع الفكر التوحيدي تماما، الأمر الذي سبب أزمة اليهودية الحاخامية إلى حد سقوط اليهودية، في نهاية الأمر، في قبضة الفكر الحلولي، فاختفى أي أثر للتجاوز، ولم يعد بالإمكان التمييز بين اليهود واليهودية (من منظور اليهودية نفسها (إذ أصبح اليهود تجسيدا للمطلق، وأصبحت العلاقة بين الشعب والخالق (إن ظل قائما بالاسم) علاقة حوارية، وقد تصاعدت الحمى المشيحانية بين اليهود وتزايدت قابليتهم للعلمنة التي عادة ما تأخذ شكل تأكيد قداسة الشعب وحقه المطلق في العودة لأرضه المقدسة، أي أن النزعة المشيحانية في اليهودية ذات توجه صهيوني واضح ، وقد اكتسحت الصهيونية يهود العالم حتى أصبح من الصعب على الدارسين أو على كل من يتعامل مع اليهودية والصهيونية - وضمن ذلك اليهود أنفسهم– أن يفرقوا بين العقيدة الدينية والعقيدة السياسية[2].

وقد تكللت جهود الصهيونية ومن ورائها القوى الاستعمارية بالنجاح عندما تم الإعلان عن قيام دولة إسرائيل عام 1948 على 77% من مساحة فلسطين

---

(1) «**اليهودية الحاخامية**» أو «اليهودية التلمودية» أو «اليهودية الربانية» أو «اليهودية الكلاسيكية» أو «اليهودية المعيارية» هي شكل العقيدة اليهودية السائد بين معظم الجماعات اليهودية في العالم ابتداءً من حوالي القرن التاسع الميلادي وحتى نهاية القرن الثامن عشر، وهي عبارة استخدمها اليهود القرّاءون ليؤكدوا أن النسق الديني الذي يؤمن به الفريق الديني المعادي لهم لا يتمتع بالمطلقية وإنما هو ثمرة جهود الحاخامات (بمعنى الفقهاء) الذين فسروا التوراة (الشريعة المكتوبة) وابتدعوا الشريعة الشفوية (التوراة الشفوية أو التلمود) وجعلوها الأساس الذي تستند إليه رؤيتهم الدينية والمحور الذي تدور حوله وذلك تمييزاً لها عن اليهودية (التوراتية، إن صح التعبير) التي تستند إلى التوراة وحسب (الشريعة المكتوبة) المرسلة من الإله. انظر :عبدالوهاب المسيري :موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، مرجع سابق ،ص310

(2)عبدالوهاب المسيري :موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، الجزء الأول، الباب الثاني، مدخل الحلولية الكمونية اليهودية: مرجع سابق ،ص312

التاريخية، وتمكنت إسرائيل من طرد معظم السكان الفلسطينيين بعد أن ارتكبت العديد من المذابح والمجازر وتدمير القرى والمدن الفلسطينية، وأصبح الفلسطينيون يعيشون مشردين لاجئين في البلاد العربية المجاورة في مخيمات بائسة، وما زالوا إلى الآن رغم صدور العديد من القرارات الدولية تقضي بضرورة عودتهم إلى أراضيهم، وفي المقابل فتحت أبواب الهجرة اليهودية على مصراعيها ليتدفق الكثير من اليهود من مختلف أنحاء العالم، واستمر هذا الوضع حتى حرب الخامس من يونيو عام 1967، والتي كانت من أهم نتائجها استكمال سيطرة إسرائيل على الأراضي الفلسطينية بعد احتلالها للضفة الغربية بما فيها القدس الشرقية وقطاع غزة، وبذلك تكون فرصة جديدة سنحت لإسرائيل لمتابعة مخططات الصهيونية لتهويد فلسطين بالكامل[1].

وقد وفّرت الأحزاب الدينية المتأثرة بالفكر القبالي للكيان الصهيوني مستلزمات جموحه الامبريالي في حين كان الآباء المؤسسون لهذا الكيان كلهم تقريبا ملحدين غير مبالين بالدين، على الرغم من أن تشريعهم للمشروع الصهيوني برمته أتى من الحكايات والأساطير والمدونات التوراتية التي وجدت لها صدى لدى ما يسمى "الصهيونية المسيحية" [2] المتمثلة في المذهب البروتستانتي الانجليكاني، ومنذ العام 1967 م حولت الصهيونية الدينية، التي غالبا ما توصف بالنزعة المسيحانية الخلاصية والأصولية، الخطابة الصهيونية الهرتزلية من الطموح

---

(1) لؤي عبده :الاستيطان ، دراسة وثائقية ، مركز الاعلام الفلسطيني
http://www.palestine-pmc.com/ainside.php?id=108

(2) **الصهيونية المسيحية** هو الاسم الذي يطلق عادة على معتقد جماعة من المسيحيين المنحدرين غالباً من الكنائس البروتستانتية الأصولية والتي تؤمن بأن قيام دولة إسرائيل عام 1948 كان ضرورة حتمية لأنها تتمم نبؤات الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد وتشكل المقدمة لمجيء المسيح الثاني إلى الأرض كملكٍ منتصر. يعتقد الصهاينة المسيحيون أنه من واجبهم الدفاع عن الشعب اليهودي بشكل عام وعن الدولة العبرية بشكل خاص، ويعارضون أي نقد أو معارضة لإسرائيل خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية حيث يشكلون جزءاً من اللوبي المؤيد لإسرائيل.انظر: محمد السماك، في مواجهة الصهيونية المسيحية، الصهيونية المسيحية، ص 149، دار النفائس، ط 4، عام 2004.

العلماني لإنشاء "دولة اليهود" ذات السيادة، إلى استعادة "ارض إسرائيل الكاملة" بحسب سفر الرؤيا، وتطورت الأصولية اليهودية ورافقت نجاحات الصهيونية في حروبها واعتداءاتها على الدول العربية، وتحولت إلى قوة سياسية وثقافية رئيسية على الساحة الإسرائيلية لها بالغ التأثير في مواقف والتزامات الكثيرين من القادة الإسرائيليين من سياسيين وعسكريين في شتى المناسبات.

وهكذا ترددت التصريحات والدعوات والتحريض السياسي والديني بشأن وجوب أن يستمر الشعب الإسرائيلي في المعارك التوراتية القديمة لاستيطان "أرض إسرائيل" التي يمكن اكتسابها بالجمع ما بين الإيمان الديني والقوة العسكرية تحت شعار: "أرض إسرائيل لشعب إسرائيل بحسب توراة إسرائيل بقوة جيش إسرائيل".[(1)] وقد شجع عدوان إسرائيل الغاشم على لبنان عام 1982 الكثير من اليهود المتدينين على الخلط بين الدين والسياسة، وعلى مناقشة أوامر (الهالاخاه) – الشريعة اليهودية – الملزمة بالتوسع الإقليمي تجاه لبنان مهما يكن الثمن، وزعم هؤلاء اليهود المتدينون إن أراض واسعة من لبنان إنما هي ملك لسبط آشير التوراتي، وحتى اسم بيروت جرت عبرنته إلى "بئروت" –أي "آبار" بالعبرية، واصدر أعضاء من حاخامية الجيش الإسرائيلي منشوراً استشهد بـ"ميراث آشير" من سفر يشوع، وفي شهرسبتمبر من العام نفسه نشرت مجلة "نكوداه" (نقطة) دراسة ليهودا اليتسور يدعي فيها أن أخطر تشويه لحدود إسرائيل التوراتية كان في الشمال، في لبنان [(2)].

وأعلنت مجموعة من الحاخامات تأييدها لاجتياح لبنان الذي بحسب رأيها "أعاد ممتلكات سبطي نفتالي وآشير إلى حدود إسرائيل"، وذهب الحاخام يسرائيل آريئيل إلى أبعد من ذلك مؤكدا أن "حدود أرض إسرائيل الطبيعية تشمل لبنان حتى طرابلس في الشمال وسيناء وسوريا وجزءاً من العراق وجزءاً من الكويت".

وصرّح أربعون حاخاما أميركيا جيء بهم لرؤية العاصمة اللبنانية التي كان يحاصرها شارون ويقصفها، أن عملية "سلامة الجليل" كانت من وجهة النظر

---

(1) إحسان مرتضى- الدور السوسيولوجي-السياسي للاحزاب الدينية في اسرائيل- مجلة الدفاع الوطني الإمارتي ، العدد 324 بتاريخ 2012/7/12

(2) نور الدين مصالحة : إسرائيل الكبرى والفلسطينيون وسياسة التوسع (1967 – 2000) ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ،رام الله 2005 م ، ص 138

اليهودية الدينية حربا محقة و"حربا مأموراً بها" وإلزامية، وأوحى الحاخام بليتش وهو عالم يهودي أميركي بارز بأن مقطعا شعريا من نشيد الأناشيد التوراتي يؤيد الاستيلاء على الجنوب اللبناني، واعتبر ذلك بأنه خطوة أخرى نحو الاسترداد الكامل لهذه المنطقة، وعارض الحاخام لوبا فيتش في بروكلين الانسحاب من جنوب لبنان في العام 1985[1].

وعارض بعض الحاخامات البارزين من "غوش ايمونيم" الانسحاب من مستعمرة ياميت في شمالي سيناء وأنشأوا لهذه الغاية منظمة دعيت "العودة إلى سيناء"، وقد اضطر آرييل شارون رئيس الوزراء الجديد إلى الاعتذار من هؤلاء لتأييده في حينه فكرة الانسحاب من ياميت، والى إعلان التوبة عن تكرار ذلك، وطالب حاخامون عديديون بطرد الفلسطينيين من الأراضي المحتلة بأكملها ونفيهم إلى دول عربية أخرى [2].

واعتبر أتباع الحاخام كوك أن متابعة التوسع الإقليمي مشفوعة بإقامة السيادة اليهودية على كامل "أرض إسرائيل" المذكورة في التوراة وبناء الهيكل في القدس، تشكّل كلها جزءاً من تطبيق الاسترداد المشياحي (نسبة إلى الماشيح وهو في عقيدتهم المسيح المنتظر) المقدر إلهياً، واعتبر الحاخام شلومو آفنير، حاخام مدرسة "عطيريت كوهانيم" الدينية انه "حتى بوجود سلام، يجب علينا إثارة حروب تحرير من اجل الاستيلاء على أجزاء إضافية من ارض إسرائيل [3].

ويعطي العديد من حاخامات غوش ايمونيم توجيهاتهم السياسية إلى أنصارهم وأتباعهم من عتاة المستوطنين من اجل طرد العرب الفلسطينيين من أرضهم تحت شعار "اليهود آتون والعرب ذاهبون" ومن ذلك قول زعيمهم بيني كاتسوفر: "الآن هو الوقت للقيام بهجوم مركز، الآن هو الوقت لتحطيم نفسيتهم نهائيا الآن هو الوقت لسحق قيادة الانتفاضة ولطرد القادة الخمسين الرئيسيين

---

(1) إحسان مرتضى- الدور السوسيولوجي-السياسي للاحزاب الدينية في اسرائيل- مرجع سابق

(2) لوستيك ايان - الاصولية اليهودية في اسرائيل – ترجمة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ،رام الله 2007،ص 5.

(3) العرب ومواجهة إسرائيل - احتمالات المستقبل - الجزء الأول الفصل السادس، مركز دراسات الوحدة العربية. ص 289 وما بعدها.

للمشاغبين. الآن هو الوقت لطرد 5000 محرض ومشاغب رئيسي... الآن هو الوقت لإعطاء الأوامر لجيش الدفاع الإسرائيلي بإطلاق النار من دون تردد بغية إصابة كل مشاغب" (1).

والجدير بالذكر أن المجموعات الاستيطانية الدينية المتمثلة بأنصار غوش ايمونيم والجماعات اليهودية السرية وأنصار جبل الهيكل واغودات يسرائيل وسواها قد تمتعت طيلة السبعينات والثمانينات بشكل خاص بدعم حاسم من زعماء الليكود وقيادات حزبية أخرى ولا سيما من قبل مناحيم بيجين وآرييل شارون ورئيس الأركان السابق الجنرال رفائيل ايتان وأيضا من قبل شامير ونتانياهو...

وبصفة عامة ينقسم عالم المتدينين في إسرائيل من الناحية السياسية والاجتماعية إلى مجموعة من التيارات(2) و الأحزاب والحركات التي يؤيد معظمها الصهيونية ويتحفظ عليها البعض الآخر؛ أما الأحزاب والحركات المؤيدة للصهيونية فهي أولا حزب مفدال (الحزب الديني القومي) الذي تشكل نتيجة اندماج حزبي همزراحي وهبوعيل همزراحي عام 1956، وحزب اغودات يسرائيل الذي انتقل من معاداة الصهيونية ما قبل التأسيس عام 1948 (ما عدا مجموعة صغيرة انسلخت

---

(1) المرجع السابق ص 151.

(2) الجماعات المتطرفة اليهودية تنقسم إلى تيارين رئيسيين يندرج تحت كل منهما عدة جماعات فرعية

• التيار الأول : [الجماعات الصهيونية] التي ترتكز معتقداتها على فكرة أرض الميعاد وشعب الله المختار ويضم جماعات "المرزاحي"، وهي بمثابة الجماعة الأم التي خرجت من قلنسوتها جميع التنظيمات المتطرفة الأخرى ، يأتي بعدها جماعة "المفدال" وحركة تامي، وموراشا ، وميماد

• التيار الثاني : [جماعات التكفير]، التي تنقسم إلى فرعين: جماعات شرقية"سفارديم" ، وتضم حركة "حبد" و "شاس" و "ناطوري كارتا" و "ساطمر"، أما الفرع الثاني: فيضم الجماعات الغربية "اشكنازيم" ، ويندرج تحتها حركات "اجوادات يسرائيل، ويجيل هاثوراه أو علم التوراة" وتصل الخلافات بين هذه الجماعات إلى حد تكفير بعضها البعض ، وحتى تكفير قيام دولة إسرائيل ذاتها ، لكن كلهم يتفقون جميعا على كراهية العرب واستبعاد الموافقة على تأسيس دولة لهم ، أو الاعتراف بحقهم في العيش على "أرض الميعاد" المزعومة .

وتعود نشأة غالبية هذه الجماعات إلى الأسس الفكرية التي عبر عنها الحاخام القبالي آبراهام بن سحاق كوك قبل قيام الدولة بحوالي ربع قرن حينما أسس مدرسة "مركاز هراف" ، التي تعتبر أول مدرسة صهيونية متطرفة تخرج فيها معظم قادة هذه الجماعات . وكانت هذه المبادئ هي الأسس التي قام عليها "حزب العمل الإسرائيلي" قبل أن يتغير الوضع بصورة درامية بعد حرب 1967 ، وتتجه الجماعات المتطرفة في "إسرائيل" إلى التحالف - الذي لم يزل قائما للآن - مع اليمين المتطرف في تكتل الليكود. انظر : خالد النجار ،سمات التيار الديني داخل إسرائيل ،صيد الفوائد، http://www.saaid.net/Minute/67.htm

عن هذا الحزب وبقيت على عدائها للصهيونية ولإسرائيل معا وهي مجموعة "نواطير المدينة" او ناطوري كارتا بالآرامية بالإضافة إلى حركة كتلة الإيمان (غوش ايمونيم) وحركة كاخ العنصرية وحركة الوسط الديني ميماد وحركة كاهانا حاي الشوفينية[1].

والحقيقة انه لا توجد أحزاب معادية للصهيونية بالمعنى الحقيقي للكلمة ، بل هناك حالة سوء تفاهم بين اليهود الشرقيين والغربيين وبين اليهود العلمانيين والمتدينين حول أية صهيونية يريدون، وحول أية دولة ينبغي أن تمثل هذه الصهيونية، إلا أنه توجد مع ذلك مجموعة من الحركات والجماعات الدينية الصغيرة غير الحزبية التي تعارض الصهيونية مثل حركة حباد الحسيدية (الصوفية) وحركة الطائفة الحريدية ، بالإضافة إلى حركة حراس المدينة المشار إليها آنفا، ولكنها لا تتمتع بالثقل التمثيلي السياسي المؤثر على سياسة الدولة.

يضاف إلى ما تقدم انه انشقت عن الأحزاب والحركات الدينية المذكورة حركات ومجموعات أخرى على خلفية طائفية وعرقية أكثر من أي شيء آخر، مثل حركة تامي وحركة متسادا وحركة موراشاه التي انسلخت عن حزب المفدال الذي كان يهيمن عليه اليهود الاشكينازيم، في حين أن أنصار هذه الحركات كانوا من اليهود الشرقيين تحديدا.

في هذا السياق تجدر الإشارة إلى أن الأحزاب والحركات الدينية الصهيونية والمعارضة للصهيونية لا تعدو كونها تتدرج في احد شكلي الصراع بين الدين والدولة اللذين انتهى إليهما الفقيه الفرنسي موريس دي برجيبه [2] ، وهما الصراع من داخل إطار النظام والصراع على النظام، أي بمعنى أن الأحزاب الدينية الصهيونية (المفدال والاحزاب المنشقة عنه) تؤمن بالصهيونية وتعمل على تحقيق مطالبها ومصالحها في إطار النظام القائم، في حين أن الأحزاب الدينية الحريدية المتشددة (حزب اغودات يسرائيل) والأحزاب المنشقة عنه لأسباب طائفية وعرقية

---

(1) إحسان مرتضى- الدور السوسيولوجي-السياسي للاحزاب الدينية في اسرائيل- مرجع سابق

(2) محمد ماضي عبد الفتاح - الدين والسياسة في اسرائيل - مكتبة مدبولي ،القاهرة 2002ص 303.

وخصوصاً حزب شاس [1] التي لا تزال حتى اليوم لا تعترف بالصهيونية العلمانية ولا بإسرائيل ككيان شرعي، ولكنها ارتضت بالدولة كأمر واقع وهي تعمل على تغيير نظامها السياسي من خلال العمل في إطار النظام ذاته، انتظاراً لليوم الذي يتم فيه تحول الدولة الراهنة إلى دولة تحكمها التوراة بعد قدوم الماشيح، وفي هذا المجال تأتي توصيفات الحاخام عوفديا يوسف لنتنياهو بأنه عنزة عمياء ولباراك بأنه عدو لليهود وليوسي ساريد بأنه هامان[2].

صعود الأحزاب الدينية القبالية:

على الرغم من معارضة قادة الدولة (وهم من الحركة الصهيونية العمالية في الأساس) أي دور سياسي للدين التقليدي، إلا أنهم رأوا فيه أحد مقومات القومية اليهودية وبالتالي عمدوا إلى استغلال الدين وما يختزنه من قيم ورموز وأعياد من أجل بلوغ ثلاثة أهداف هي:

1- توحيد أفراد المجتمع عن طريق إيجاد مجموعة من القيم والمعتقدات المشتركة بينهم.

2- إضفاء الشرعية على مؤسسات الدولة القائمة وعلى الأهداف التي تسعى إلى انجازها.

3- تعبئة جهود وطاقات الأفراد في البلد وراء أهداف ومصالح الدولة الاستيطانية التوسعية.

وبجانب استعمالها القيم الدينية، راحت الحركة الصهيونية تعيد تفسير العديد من الأساطير الدينية القديمة أو تبتدع أساطير جديدة؛ فقصة خروج بني إسرائيل من مصر أضحت قصة شعب تحرر وتخلص من نير العبودية، وقصة "المكابيين"

---

(1) **شاس** (اتحاد حراس التوراة السفا راديم) تأسس عام 1983 بعد اعلان التمرد من قبل جمهرة من الناخبين السفاراديم ممن رأوا في الحاخام عوفاديا يوسف زعيما لهم بدلا من الحاخام شاخ الذي هو من اصل اشكنازي غربي، و شاس **שס** هو حزب ديني قبالي ويعود الاسم إلى أن التلمود الذي ينقسم إلى المشناه والجمارا، وتبلغ أقسام المشناه ستة وتسمى بالعبرية سداريم أي المباحث، ولذا يطلق على التلمود لقب شيشا سيداريم، أي المباحث الستة، وتُختصر إلى حرفي شاس. ، وحزب شاس هو حزب ديني بالأساس إضافة لكونه صهيونيا، ويمثل الشريحة المتدينة الشرقية اليهودية في إسرائيل وبالعربية يسمى "حزب الشرقيين المحافظين على التوراة". ،انظر : أحمد إيبش ، التلمود كتاب اليهود المقدس ، دار قتيبة، دمشق 2006 ،ص112

(2) إحسان مرتضى- الدور السوسيولوجي-السياسي للاحزاب الدينية في اسرائيل- مرجع سابق

غدت قصة صراع من أجل الحرية استخدمت فيه القوة المسلحة. وقصة "الماتسادا" صارت ترمز لعدم الاستسلام والتضحية بالنفس والبطولة، وصار كل شيء تقوم به العصابات الصهيونية الإرهابية يفسر تفسيرا دينيا أو وطنيا، وهكذا تم توليف مفاهيم مثل مفهوم الأمة والأرض والدولة مع العبارات والمقولات الواردة في التوراة والزوهار، وتم تشبيه ابن غوريون بيوشع بن نون وموشيه ديان بالنبي موسى...

وتبّنت الدولة العديد من الرموز والشعارات الدينية، فألوان العلم القومي للبلد صارت بألوان شال الصلاة "طاليت" في اليهودية التقليدية، والشمعدان ذو الأفرع السبعة (حانوكا) الذي اقرت تعاليم "الرب" بوضعه في المعبد صار رمزا للدولة نظرا لتعدد معانيه. فقادة الدولة رأوا فيه تعبيرا عن استرجاع السيادة اليهودية والعودة إلى ارض الأجداد، وذلك لأن الرومان سبق أن نهبوه عند تدمير "الهيكل" كما يرمز إلى النور والتنوير، أما المتصوفون فوجدوا في اتخاذه شعارا بمثابة رضوخ لتعاليم الإله ونصوص التوراة وهكذا [1].

وثمة انطباع لدى العديد من المثقفين بأن صعود التيارات الدينية إنما جاء بسبب التنافس بين العلمانيين، ويضيف هؤلاء أن اليهودية الدينية لم تخترع أي اختراع لزيادة قوتها الجارفة، وكل ما حققته أعطي لها بملء الإرادة من قبل سياسيين علمانيين، وقد حصل العناق التقليدي الأول بين بن غوريون وحزب المفدال بقصد تدمير اليسار واليمين العلمانيين، وبقدر ما تتفاقم التناقضات بين المعسكر العمالي ومعسكر الليكود، كان المعسكر الديني يحسن مواقعه ويطرح مطالب دينية أكثر، وبغية هزيمة الخصم السياسي سار قادة الأمة إلى باحات وكلاء الله على الأرض، وكان القادة العلمانيون يكذبون على أنفسهم ويعتمرون (القلنسوة الدينية) – كيباه – التي لا يؤمنون بها ويذهبون للركوع أمام ضريح الحاخام بابا سالي والحاخام لوبا فيتش والحاخام مناحم شاخ [2].

---

(1) محمد ماضي عبد الفتاح - مصدر سابق ص 296.

(2) سامي ميخائيل - أن نتعلم من الشرق - معا ريف 13/9/96 ترجمة حلمي موسى – السفير- بيروت 10/7/1996

ويرى الكاتب سامي ميخائيل أن قوة الأحزاب الدينية لم تنبع من داخل اليهودية الأصولية بل إن قادة هذه الأحزاب اكتسبوا "القوة والنفوذ على شكل رشاوى من قبل اليسار واليمين المتعطشين دوما للسلطة... [1]

وهذا يعني أن من ضمن عملية دياليكتيكية ملتوية، جمعت اليهودية الحريدية القوة من غروب شمس الصهيونية العلمانية ووقوعها في أوحال التآمر الرخيص من اجل السلطة [2]. وهكذا سعت الأحزاب الدينية الماشيحانية والحريدية واليهودية الرسمية المسيطرة على القرار الديني للدولة لجعل إسرائيل دولة تخدم الشريعة اليهودية طالما أن دولة الشريعة لن تقوم إلا بمجيء المسيح المخلص، وقد رأى الكاتب مناحيم راهاط ان صعود حزب شاس اللولبي شكل دفعة قوية لنفوذ الأحزاب الدينية التي: "تحطم وتثير حنق الحكومات في إسرائيل ولسوف ترسو الأمور حسب مشيئتها، وان الدولة بكاملها في يدها كما المادة في يد صانعها... وهي (أي الأحزاب الدينية) تمسك بمفاتيح الدولة" [3]

لقد فرضت حرب عام 1967 ضرورة إعادة ترتيب الأولويات اليهودية والإسرائيلية والصهيونية، وهي بالنسبة لحزب العمل تبنت الإحساس بالثقة والاقتدار على التعايش مع العالم العربي وعلى الانفتاح على الآخر ورفع شعارات القيم العالمية بالتصالح والسلام، ولكن نبوءة أرض إسرائيل الكاملة أو الكبرى تغلغلت إلى داخل قطاعات من الصهيونية العلمانية في حزب العمل وفي الصهيونية الليبرالية، وبذلك فقد حزب العمل الذي أعطى إسرائيل طيلة 30 سنة متواصلة، القدرة على الحسم والمبادرة، وتحول إلى عنصر سياسي ينساق وراء التطورات والأحداث، إلى أن حصل انقلابا عامي 1977 و1996 اللذان نقلا دفة السلطة إلى اليمين الصهيوني الشوفيني المتحالف مع القوى الدينية، التي كشرت عن أنيابها الحادة من خلال إيصالها كلاً من نتنياهو ثم شارون على التوالي، في ظل شعارات إيديولوجية متطرفة لا تهتم بالمغزى الرئيسي لقيمة (ارض إسرائيل) وحسب، بل أيضا بإبراز

---

(1) المصدر السابق

(2) السابق

(3) مناحيم راهط : شاس، اعماق ظاهرة من عالم آخر - معاريف 1990/3/23، ترجمة مجلة الارض السنة 17 العدد 4 ابريل 1990 ص 120..

معنى الدولة في حد ذاته، وإبراز عناصر تكديس القوة في مجمل العلاقات سواء مع العالم بأسرة أو العالم العربي بصفة خاصة، من خلال مقولة:"القوة تحل كل شيء" وإبراز عناصر الاختلاف بين إسرائيل والعالم برفع الشعار: "الشعب يقيم لوحده" والاحتياج المتزايد للكراهية باعتبارها عنصرا رئيسيا في الأيديولوجيا الصهيونية. وفي هذا السياق تزايدت قوة التوجه الماشيحاني في كل من اليهودية والصهيونية، بحيث حذر المفكر الصهيوني جرشوم شالوم من هذا المنزلق الإيديولوجي السياسي البعيد عن الموضوعية والواقعية حيث قال: "اعتقد أن كارثة عظمى ستحدث إذا ما قام الصهيونيون أو الحركة الصهيونية باستبدال أو طمس معالم الحدود، بين المسار الديني الماشيحاني وبين الواقع السياسي التاريخي" [1].

الجدير بالذكر أيضا انه إذا كانت الصهيونية الدينية حتى يونية 1967 م تتسم بالاعتدال في السياسات الداخلية والمطالبة بتطبيق تعاليم الشريعة "الهالاخاه" في قوانين وتشريعات الدولة أو في ما يتصل بالسياسة الخارجية، وكانت مرتبطة دائما سياسيا بالصهيونية السياسية، في إطار من التحالف التاريخي، فان هذا الوضع تغير بصورة راديكالية بعد عام 1967 م ، بحيث أضفى اليهود المتزمتون دينيا، وزنا لاهوتيا على المطالبات السياسية بضم الأراضي العربية المحتلة، وفي هذا المجال يقول يهوشفاط هركابي: "أن اليهودية التقليدية في السنوات التالية لحرب 1967 أخذت تغير من موقفها داخل إسرائيل: فبدلاً من الاكتفاء بالتبعية، أخذت تطالب بدور قيادي، وتصر على أن تتبع السياسات الداخلية والخارجية من التشريعات الدينية، ومن ثم أصبحت القومية اليهودية المناضلة عاملا مهما للوصول إلى الهدف النهائي لليهودية وهو الخلاص، وأصبحت العلاقة بين الدين والسياسة أكثر تألقا، فالدين لخدمة السياسة القومية، والسياسة القومية لتنفيذ الوصايا الدينية[2].

والحقيقة أن الصعود الديني القبالي اخذ مجراه شيئا فشيئا، حين برزت نقاشات سياسية من نوع جديد داخل المفدال الذي كان متماهيا؛ في مواقفه السياسية

(1) رشاد الشامي : اشكالية الهوية في اسرائيل - عالم المعرفة -الكويت العدد 224 اغسطس 1997 ص 133.

(2) السابلق ص222

مع حزب العمل ومقرا باتفاقية "الوضع القائم" على صعيد علاقة الدين بالدولة، وبعد الحرب برز نشاط غوش ايمونيم التي ما لبثت أن حققت مكاسب ضخمة لصالح الصهيونية الدينية؛ أما الأحزاب المشياحية والحريدية الاقل تشددا فإنها لم تكن تعتبر "دولة إسرائيل" بداية الخلاص وتعتقد أن عليها انتظار قدوم (الماشيح) الذي سيأتي بالخلاص؛ إلا أنها باستثناء ناطوري كارتا، تعترف بالوجود السياسي لإسرائيل وتمتثل لقوانينها، وتشارك في انتخابات الكنيست وفي الائتلافات الحكومية، ولكن غالبية أفرادها لا تخدم في الجيش ولديها شبكة تعليم خاصة[1].

وبعد حرب عام 1967 اعتبرت هذه الأحزاب أن "هذه الحرب معجزة وإشارة ربانية لبداية الخلاص الماشيحاني". واعتبر احد حاخاماتها أن "دولة إسرائيل ككيان صهيوني هي تعبير عن الخلاص، ولكن من ناحية أخرى فأن ارض إسرائيل تحت السيادة اليهودية تنطوي على مغاز دينية ذات أهمية" [2].

ولقد شكل العام 1977 معلما بارزا آخر في تنامي قوة الأحزاب والتيارات والحركات الدينية القبالية، فمنذ تسلم الليكود بزعامة مناحيم بيجين الحكم أخذت الأحزاب الدينية تستغل المناخ الشوفيني الملتهب من اجل زيادة حمى الاستيطان.

وقد تجلى نشاط الأحزاب الدينية في هذا الاتجاه بزيادة نشر التعليم الديني، والمزيد من الانخراط في النشاط السياسي والاستيطاني في المناطق العربية المحتلة. وبلغ هذا النشاط أوجه بظهور "الحركة السرية اليهودية" التي قام أعضاؤها بسلسلة من الأعمال الإجرامية والإرهابية ضد المواطنين العرب، ومن الاعتداءات الآثمة على الأماكن العربية المقدسة، الإسلامية والمسيحية، وقد رافقت هذا النشاط أيضا الأعمال الفاشية التي كان مارسها الحاخام المتشدد مائير كاهانا(3) ضد المواطنين

---

(1) إحسان مرتضى- الدور السوسيولوجي-السياسي للاحزاب الدينية في اسرائيل- مرجع سابق

(2) السابق

(3) **مائير كهانا** (بالعبرية: מאיר כהנא) (1 أغسطس 1932 - 5 نوفمبر 1990)، حاخام إسرائيلي ومؤسس حركة كاخ الاستيطانية العنصرية التي حملت في جعبتها، أسسا عنصرية ضد العرب في إسرائيل، ومن أبرزها الدعوة لحل النزاع الإسرائيلي الفلسطيني، والقضية الفلسطينية نهائياً عن طريق الترانسفير (ترحيل المواطنين العرب إلى الدول العربية في المنطقة)، كي تصبح إسرائيل دولة يهودية نظيفة وطاهرة من العرب "على حد تعبيره".وهوعضو سابق في البرلمان الإسرائيلي (الكنيست)؛ اشتهر بالعداء الكبير للعرب ومن تلاميذه باروخ جولد شتاين الذي قام بمذبحة الحرم الإبراهيمي في 25 فبراير 1994 التي قام بها مع عدد من المستوطنين والجيش في حق المصلين، حيث أطلق النار على المصلين المسلمين في المسجد الإبراهيمي أثناء أدائهم الصلاة

العرب ومقدساتهم، جنبا لجنب مع أعمال مماثلة مارستها تنظيمات تنتمي إلى بعض الأحزاب الدينية مثل غوش ايمونيم (كتلة الإيمان).

إن العنصر الديني في إسرائيل اخذ يحتل حيزًا واسعاً من ميدان العمل السياسي ولا سيما في مجال إنشاء المستعمرات والتشدد في المواقف السياسية تجاه الفلسطينيين والعرب، ولا شك بأن هذا المناخ قد تعزز خلال ولايات حكومات الليكود منذ العام 1977 وحتى الآن في أعقاب تسلم آرييل شارون السلطة وزعامة الليكود معا، ويعتقد آشير آريان، رئيس دائرة العلوم السياسية في جامعة تل ابيب ان "القوة الدافعة الدينية القبالية حية وقائمة، ولعلها تتعزز، غير أنها تصارع عاملين يلازمانها: العامل القومي المتشدد والعامل الطائفي و أن خلفية تفكك المفدال تعود إلى منافسة هيئات قومية مثل: هتحيا ومتساد وغوش ايمونيم من جهة وقوائم طائفية مثل تامي وشاس من جهة اخرى" [1] .

دور الأحزاب الدينية القبالية وتأثيرها في صنع سياسة الدولة

اكتسبت الأحزاب الدينية القبالية، من خلال القوة الفاعلة التي حققتها في التمثيل الحزبي والاجتماعي، مجالا واسعا للمناورة إلى حد أنها بدأت تتحدث جهارا عن احتمال تعديل اتفاقية "الوضع القائم" التي عقدت ما بين بن غوريون والحاخام ليفين ممثلا حزب اغودات يسرائيل ذي النزعة اليهودية الرسمية عام 1947، وهي الاتفاقية التي أرست ملامح العلاقة ما بين الدين والدولة في إسرائيل منذ ذلك الحين وحتى الآن، وخصوصا في قضايا التربية التعليم والأحوال الشخصية، وذلك بهدف دفع الكيان أكثر فأكثر للتحول إلى دولة دينية استيطانية واضحة المعالم، أو إلى قيام دولتين وشعبين. وفي هذا السياق يقول عضو الكنيست ووزير الخارجية في حكومة باراك السابقة وأستاذ العلوم السياسية في جامعة تل أبيب، شلومو بن عامي: "إن المجتمع الذي أنشأه الآباء المؤسسون من الصهاينة وأرادوا أن يكون بوتقة صهر تمتزج فيها مختلف الثقافات واللغات، تحول إلى مجتمع متعدد الأعراف

فجر يوم جمعة في شهر رمضان، وقد قتل 29 مصلياً وجرح 150 آخرين قبل أن ينقض عليه مصلون آخرون ويقتلوه.انظر : جواد الحمد، الشعب الفلسطيني ضحية الإرهاب والمذابح الصهيونية، مركز دراسات الشرق الأوسط ، عمان،ص23

(1) من مقابلة اجراها معه يسرائيل لانديرز – صحيفة دافار30. /3 /1984 م

ومتعدد الثقافات ومتعدد الطوائف. لقد تغيرت وتفتت الصورة الأسطورية المأمولة لتحل محلها صور اخرى عديدة لكل منها شرعيتها... بين اليهودي والعربي والمتشددين دينيا (الحريديم) والقوميين الدينيين (غوش ايمونيم) والتقليديين والعلمانيين وغيرهم ممن تمتد جذورهم إلى أصول عرقية مختلفة مثل السفاراديم والاشكنازيم والمهاجرين الروس والإثيوبيين وغيرهم. وقد أدى هذا التفتت للصيغة الإسرائيلية إلى تشرذم بين ثقافات وطوائف مختلفة، ولهجات متباينة ومواقف متصارعة تجاه الدولة اليهودية"(1) ،ويضيف بن عامي أن هذه الانشقاقات "تؤهل لحدوث انفجارات عنيفة داخل المجتمع". (2)

أما الحاخام يسرائيل هارئيل رئيس مجلس المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية فيرى انه يوجد "وطنان آخذان بالتكوين في إسرائيل: وطن الإسرائيليين ووطن اليهود؛ أما الإسرائيليون فهم أغيار (غوييم) غرباء يتكلمون اللغة العبرية لا أكثر ولا اقل، وقد أنكتهم الحروب وسئموا منها، ونسوا الصهيونية، ولم يعرفوا اليهودية يوما، وقد جاء رابيين ليقول لهم فوق ذلك كله أن لا خوف على امن إسرائيل، وان في وسعهم أن يطمئنوا بعد اليوم إلى أنهم لن يرحلوا عن هذه البلاد، فماذا بقي لهم إذن بعد هذا؟ يبقى لا شيء، يبقى الفراغ المطلق وهو فراغ لن تستطيع العلمانية أو الديمقراطية أن تسده، فكلاهما لا تعتبر من القيم البنيوية الأساسية للشعب اليهودي؛ وبمقدار ما كنا نقترب من تنفيذ اتفاقات أوسلو كان يبدو واضحا للفريق الأول، فريق المنتمين إلى وطن الإسرائيليين، أن الأرض قد غدت عقبة في وجه التطبيع، بينما كان يبدو للفريق الثاني، فريق المنتمين إلى وطن اليهود، أن التطبيع خطر على اليهودية الإسرائيلية" (3)

المشاركة في الحروب

لقد أدت الصهيونية الدينية في إسرائيل والمتمثلة في حزبي همزراحي وهابوعيل

---

(1) العرب ومواجهة إسرائيل - احتمالات المستقبل - مركز دراسات الوحدة العربية - الجزء الاول الدراسات الأساسية ص 331، عن مقال لشلومو بن عامي، ورد في صحيفة معاريف، 22/9/96.

(2) إحسان مرتضى- الدور السوسيولوجي-السياسي للاحزاب الدينية في اسرائيل- مرجع سابق

(3) رشاد عبد الله الشامي : القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة - سلسلة عالم المعرفة، العدد 186، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب 1994 وص 335.

همزراحي دورا بارزا في حرب 1948 ضد المجتمع الفلسطيني وذلك من خلال الكيبوتس الديني الذي ساهم في المعارك والعمليات الإرهابية، وفي هذا المجال قام الحاخام موشيه شابيرا بدور بارز في توجيه أنشطة عصابات الهاجانا وآتسل، وقام الحاخامان شابيرا وفيشمان بتمثيل الحزبين الدينيين في حكومة الحرب الإسرائيلية التي أعلنت عام 1948، وبعد اندماج الحزبين المذكورين ضمن حزب واحد هو حزب المفدال (الديني القومي) عام 1956 شارك هذا الحزب الديني الصهيوني في جميع الحكومات الإسرائيلية، ما خلا فترة قصيرة ما بين 1958 و1959 عندما أدى الجدال الذي ثار حول مسألة: من هو اليهودي؟ إلى انسحابه المفاجئ والمؤقت من الائتلاف الحكومي، وهذا الحزب متأرجح باستمرار في مواقفه الداخلية ما بين حزبي العمل والليكود، وهو يحاول تسويغ هذه المواقف من خلال الادعاء بأن مشاركته الدائمة في الحكم تتيح له حماية المصالح الدينية بشكل أفضل مما لو كان في المعارضة. وهكذا فالمفدال خاصة والأحزاب الدينية عامة عملت وتعمل على قولبة الشريعة اليهودية لتتلاءم مع دولة علمانية كافرة ومعتدية وذلك في سياق ادعاءها بأنها تسعى لإضفاء الطابع اليهودي على أسلوب الحياة في إسرائيل سلما أو حربا،ويصف الكاتب اوري افنيري حزب المفدال الديني المتطرف في صهيونيته بقوله: "إن الجناح الفعال فيه ذو لون شوفيني غامض وهو الجناح الذي يملي على الحزب الخط والأسلوب" [(1)]

وتتضح شوفينية هذا الحزب وتطرفه من خلال مواقفه من قضايا الاستيطان في المناطق المحتلة ومن الحروب العدوانية التي شنتها إسرائيل ضد الشعوب العربية ومن مسألة ضم المناطق المحتلة عام 1967؛ فهو من المؤيدين المتحمسين للنشاطات الإجرامية التي تقوم بها عصابات المستوطنين في الضفة الغربية وقطاع غزة. وكان في طليعة المتحمسين لحربي عام 1956 و1967 ولغزو لبنان عام 1982، وهو من مؤيدي أتباع سياسة القبضة الحديدية والأرض المحروقة والتصدي بكل عنف للمقاومة الوطنية في الدول العربية كافة، وهذا على الرغم من تعرض الحزب منذ العام 1968 للعديد من الانشقاقات والتراجع في قوته التمثيلية في

---

(1) حبيب قهوجي - الأحزاب الإسرائيلية والحركات السياسية في الكيان الصهيوني - مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية ص 189.

الكنيست والتي لا تتجاوز حاليا الخمسة مقاعد[1].

والجدير بالذكر أن هذا الحزب اعتبر احتلال الأراضي العربية عام 1967 بمثابة إنجازات عن طريق تحقيق "الوعد الإلهي" لليهود، وهو يطلب تكريس هذا الاحتلال من خلال حديثه عن "الحقوق التاريخية الدينية" وعن ضرورة تأمين الحدود الآمنة. وفي العام 1948 طرح برنامجاً يتمحور حول الاستيطان وزيادته في المناطق المحتلة [2].

أما بالنسبة لحزب شاس الخاص باليهود الشرقيين الذي برز على الساحة الحزبية الإسرائيلية عام 1948، فيعبر عن مواقفه الأساسية الحاخام عوفديا يوسف الذي اصدر عام 1989 فتوى شرعية تقول: انه إذا أتضح بما لا يدع مجالا للشك انه سيحدث سلام حقيقي بيننا وبين جيراننا العرب إذا ما أُعيدت لهم أراض، وفي حين يوجد خطر بنشوب حرب إذا لم تعد هذه الأراضي، فيجب إعادة الأراضي لهم، فالحفاظ على حياة الإنسان يتقدم على أولوية الاحتفاظ بالأرض" [3] وتعتمد كتلة وزراء شاس حتى اليوم على هذه الفتوى في تحديد مواقفها من السلم والحرب مع العرب، إلا أن مثل هذه المواقف لا تنفي بالطبع المضمون العنصري لمواقف الحزب الذي يشبه العرب والفلسطينيين تارة بالأفاعي وتارة أخرى بالحشرات.

اغتيال رابيين بدعوي تخليه عن النهج الاستيطاني

فجرت عملية التسوية التي شرعت الولايات المتحدة في رعايتها في أعقاب حرب الخليج الثانية عام 1990 الصراعات بين دعاة التنازل عن أجزاء من الأراضي المحتلة عام 1967 مقابل السلام مع العرب، وبين دعاة ما يسمى "إسرائيل الكبرى". وقد وصلت هذه الصراعات إلى ذروتها مع اتفاقية أوسلو التي وقعها رئيس الحكومة الراحل اسحق رابيين مع منظمة التحرير الفلسطينية عام 1993، في حين أن دعاة وأنصار الصهيونية الدينية القبالية كانوا قد شرعوا منذ بداية الثمانينات

---

(1) إحسان مرتضى- الدور السوسيولوجي-السياسي للاحزاب الدينية في اسرائيل- مرجع سابق

(1)السابق.

(1) آربيه بندر: في شاس حسموا الامر ،صحيفة معاريف – عرض وترجمة مختارات اسرائيلية العدد 57 - مركز الدراسات الاستراتيجية – الاهرام 1999/7/21، ص 48..

ومطلع السبعينات في المطالبة بفك عرى التحالف مع الدولة العلمانية. وأدت سياسات حزب العمل المتعلقة بعملية التسوية مع العرب إلى تبديل حلفائه من المعسكر الديني؛ فحزب شاس صار حليفا له في ائتلاف عام 1992 وأيد سياساته تلك في مقابل استمرار تدفق المساعدات المالية على مؤسسات شاس وهو الهدف الأول لهذا الحزب باستمرار.

أما بشأن موضوع التسوية مع العرب فيرى شاس أن التنازل عن أجزاء من الأراضي المحتلة عام 1967 هو أمر يحدده جنرالات الجيش الذين في استطاعتهم تحديد ما يحقق امن الدولة ويحافظ على أرواح اليهود. وبالنسبة لحزب المفدال الحليف التاريخي لحزب مباي، فقد عارض بشدة عملية التسوية وانضم إلى دعاة الحفاظ على كامل الأراضي المحتلة في الضفة والقطاع والجولان، وهكذا صار حليف الأمس معارضاً اليوم، ولم تقتصر المعارضة الدينية لسياسة حزب العمل بزعامة اسحق رابيين على هذه الحدود، بل إن الصراع الديني العلماني تقاطع مع صراع دعاة التسوية مع العرب ودعاة "إسرائيل الكبرى" من اليهود، الأمر الذي تصاعد بصورة دراماتيكية وأدى إلى هدر دم رئيس الحكومة اسحق رابين بفتوى شرعية من قبل الأصولية اليهودية القبالية وذلك في أعقاب حملة مسعورة من الشحن والتحريض ساهم فيها أيضا اليمين الشوفيني المتطرف بقيادة بنيامين نتنياهو المعروف بمرجعيته الدينية الصهيونية(1).

وكان المتحدث باسم مجلس مستعمرات الضفة والقطاع اهارون دوفيف قد بعث إلى رابيين عام 1994 برسالة يحذره فيها من تبعات عملية التسوية الذاهبة قدماً، وقد جاء في الرسالة: "بالنسبة للكثيرين في إسرائيل يعتبر عدم انحيازك وحكومتك إلى جانب معاناة اليهود، سببا في إحساس مرير بالغربة، حيث تترجم هذه الغربة لدى الكثيرين إلى اليأس، ولدى القلة قد يؤدي هذا اليأس إلى أعمال متطرفة وللأسف فثمة أصوات ترى أن الحل الوحيد هو الاغتيال السياسي، وهذا الاغتيال – لا سمح الله – يعد أمرا خطيرا من جميع الجوانب، ولكنني وجدت انه من الصواب أن أحذرك من هذا فإذا واصلت هذا الطريق فستتحمل على الأقل المسؤولية غير

(1) إحسان مرتضى- الدور السوسيولوجي-السياسي للاحزاب الدينية في اسرائيل- مرجع سابق

المباشرة بسبب عمل شيطاني من شخص ما" [1]

وفي أعقاب عملية اغتيال رابين تناقلت الصحف الإسرائيلية أخبارا مفادها أن ثلاثة من الحاخامات المعروفين طالبوا بإصدار فتوى بحكم الموت على رابين بسبب التسوية، وذلك من خلال إخضاعه لما يسمى في المصطلح الديني اليهودي "دين موسير" اي حكم الخائن الذي يعرض للخطر المتهم بنقل معلومات أو ممتلكات تخص الشخص اليهودي إلى شعب أجنبي، وقد حصل هذا إلى جانب فتوى 1500 حاخام يتقدمهم الحاخام الأكبر السابق شابيرا بعدم جواز إخلاء القواعد العسكرية في الضفة والقطاع في شهر مايو 1995 م ، وطالبت الفتوى الجنود بعدم إطاعة الأوامر العسكرية الخاصة بالانسحاب تنفيذا لاتفاقات أوسلو لأن الانسحاب المقترح يعرض حياة السكان للخطر بل ويهدد وجود دولة إسرائيل وينذر بوقوع فتنة بين الجيش والشعب، وذهب بعض الحاخامين إلى ابعد من ذلك عندما رأوا أن الحكومة نفسها تفتقد إلى الشرعية وبالتالي فان أوامر الجيش غير شرعية، وارتفعت أصوات بعض الحاخامين لتنادي بالانفصال عن العلمانيين لأنهم يرفضون التراث والتقاليد اليهودية ويظهرون العداوة للمستوطنين؛ كما دعا الحاخام "عوفيديا يوسف– الزعيم الروحي لحزب شاس – " إلى تغيير النشيد الوطني للدولة والمسمى الأمل (هاتيكفا) وهو نشيد الحركة الصهيونية بالأساس واستبداله بالمزمور رقم 26 من مزامير التوراة.

وراح بعض الكنس يبدل الدعاء التقليدي الذي يطلب من الله حفظ زعماء الدولة [2]، وفي نفس الوقت أدت مجموعة خاصة من الحاخاميين شعائر ما يسمى صلاة اللعنة ضد رابين واسمها بالآرامية "بولسانورا" أي أسواط النار أو أسهم النار، التي تعني استنزال لعنة الموت بحقه بقوة روحية، وذلك أمام منزله، بينما كانت تجري مظاهرة ضخمة في ساحة صهيون في القدس وتردد شعارات "خائن"، "آوشفتز"، "تصفية الدولة"، وشعارات مثل: "الحكومة غير شرعية"، "رابين قاتل"، "بالدم والنار سنطرد رابين".

هذه الأجواء المشحونة بالتطرف والتعصب دفعت برئيس الدولة الاسبق عيزر

---

(1) مختارات إسرائيلية - العدد 13 في 21– 2-1996- - ص 22 عن صحيفة معاريف، 10 /2/ 1995..

(2) حسن جعفر هادي - المجموعات اليهودية الحريدية وعلاقاتها بإسرائيل، جريدة الحياة - لندن - 3/9/93

فايتسمان إلى القول: "إن رابين لا يعرف جيدا ما يفعله وانه يتسرع كثيرا، وهو غير حذر... ينبغي وقف ميسرة السلام وإعادة تقييم الوضع... إن اتفاقية أوسلو لا قيمة لها لأنها لم تقر إلا بغالبية صوت واحد" [1].

أما بالنسبة للأحزاب والحركات ذات الطابع اليهودي الرسمي مثل حزب شاس وحزب يهدوت هاتوراه [2] فرأت أن الصهيونية السياسية والدينية على حد سواء قد انحرفتا عن طريق اليهودية الحقة، وان فريضة "استيطان ارض الميعاد" ليست سوى فريضة واحدة من أصل 613 فريضة، وبالتالي فمركزية ارض إسرائيل ليست هدفا بحد ذاته ولا هي غاية الوجود اليهودي برغم أنها تشكل شرطا للمحافظة على وجود الشعب اليهودي والتوراة، ومن هنا فان هذه الأحزاب توجه جلّ اهتمامها في الأساس إلى شؤون العلاقة بين الدين والدولة أكثر من اهتمامها بشؤون الدولة والسياسة الخارجية، فهي تسعى إلى تعزيز الطابع الديني للدولة، ولو في حدوده الرمزية الشكلية، وفرض تعاليم التوراة على المجتمع حسب رؤيتها الخاصة (فرض الطعام الحلال – كاشير – ومنع تجنيد الفتيات في الجيش...) وإذا أيدت هذه الأحزاب الانسحاب من جزء من الأراضي المحتلة فهذا يكون انطلاقاً من نص توراتي يقول: "من أنقذ روحا من شعب إسرائيل أنقذ عالما بأكمله". ومن هنا أيد زعيم حزب شاس يتسحاق بيرتس التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية واعتبر أن الدين مفضل على الديموقراطية؛الجدير بالذكر أن اليهود الأميركيين المعارضين للتسوية ساهموا في تقوية وتأييد اليهود المتطرفين، وقد قال عنهم رابيين "كلامهم كثير ومساعداتهم

---

(1) ماضي عبد الفتاح - الدين والسياسة في إسرائيل،مرجع سابق ، ص 485.

(2) حزب "**يهدوت هتوراة**" وهو حزب ديني يتشكل في غالبيته من الأشكناز "اليهود الشرقيين" القادمين من لتوانيا وكانت انطلاقة هذا الحزب في انتخبات الكنيست عام 1988 عندما استطاع الحصول على مقعدين، ويخضع حزب "يهدوت هتوراة" لقيادة توراتية متمثلة في مجلس حكماء التوراة برئاسة حاخام له كلمة الفصل والنهي، والحزب يرفض بشكل مطلق فكرة الصهيونية ويرى أن أرض "إسرائيل" هي منفى حتى ظهور المسيح وقيام الدولة اليهودي ويكرر الحزب في أدبياته المختلفة أن التوراة وليست الدولة هي التي حافظت على شعب "إسرائيل" طوال الأجيال السابقة ،ويترأس الحاخام الأكبر 'يوسف الياشيف حزب 'يهدوت هتوراة' ' ويفضل أن يكون بعيدا عن الواجهة السياسية، وان يبقى في الظل يقدم التأييد للحكومات الإسرائيلية المختلفة مقابل الحصول على الامتيازات والدعم المالي للمؤسسات الدينية التابعة له، فهو في حالة حرب دائمة مع التيارات الدينية الأخرى وخاصة التيارات المتشددة ذات الأصول الغربية ناهيك عن الخلاف العميق مع التيار الشرقي والذي تمثلة حركة 'شاس' الدينية التي أسسها الحاخام عوفاديا يوسف لتكون ردا على التيار الغربي الاشكنازى المتشدد.،انظر :احمد إبراهيم ،.الأحزاب الدينية وموقعها في الخريطة السياسية 'الإسرائيلية،مفكرة الإسلام ،السبت 25 مارس 2006

قليلة" كما وان اليمين المتطرف تمكن من اختراق أجهزة الاستخبارات (الشاباك) التي غطت على أعمال التحريض ضد رابيين وضد اتفاق أوسلو، وعمل على تقديم عدة خدمات للمنظمة المتطرفة "ايال" التي خرج منها يجال عمير قاتل رابيين[1].

وبمقتل رابيين ابتعدت الأحزاب الصهيونية الدينية أكثر عن الدولة ومؤسساتها وشاع الحديث عن حرب أهلية وشيكة، إلى أن جاءت انتخابات 1996 وفاز فيها بنيامين نتنياهو[2] بمباركة الحاخامات، فهدأت الأجواء المتشنجة بعض الشيء تلافيا لما هو أعظم.

وفي مجال السياسة الخارجية عارضت الأحزاب الدينية القبالية قيام دولة فلسطينية وأي سيادة أجنبية غربي نهر الأردن، وعارضت أيضا عودة اللاجئين والانسحاب من الجولان كما طالبت بإلغاء قرار تجميد عمليات الاستيطان، والعمل على تعزيز هذا الاستيطان وعدم إزاحة أية مستوطنة يهودية من مكانها، وضمان

---

(1) إحسان مرتضى- الدور السوسيولوجي-السياسي للاحزاب الدينية في اسرائيل- مرجع سابق

(2) بنيامين نتنياهو (21 أكتوبر 1949 –)، (بالعبرية: בנימין נתניהו) رئيس وزراء إسرائيل من 31 مارس 2009،حتى الآن وكان قد تولى قبل ذلك رئاسة الوزراء في الفترة من 1996 إلى 1999. هو رئيس حزب الليكود الإسرائيلي..وُلد في تل أبيب واسمه الحقيقي هو بنيامين بن تسيون نتنياهو واصوله من ناحية الاب بولندية اما امه فولدت بالولايات المتحدة الأمريكية. وكان جنديًا وضابطًا في وحدة الكوماندو الخاصة: استخبارات القيادة العامة, في جيش الدفاع (1972–1967) مثل أخيه يوناتان نتنياهو الذي توفي في عملية تحرير رهائن إسرائيليين في عنتيبي أوغندا. وبعد تخرّجه من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا بدرجة الباكلوريوس في الهندسة المعمارية ودرجة الماجيستير في إدارة الأعمال، كان نتنياهو يعمل مستشارًا في مجموعة بوسطن الاستشارية وأشغل منصب مدير في قطاع الصناعة في الولايات المتحدة وإسرائيل،ومنذ 1976 كان نتنياهو مديرًا لمعهد يوناتان وهو مؤسسة لبحث سبل مكافحة الإرهاب، شغل نتنياهو منصب مندوب إسرائيل لدى الأمم المتحدة (88–1984) وكان نائبًا لرئيس البعثة الدبلوماسية في الولايات المتحدة (1984–1982). في 1984، كان نتنياهو عضوًا في الوفد الإسرائيلي الأول للمحادثات الإستراتيجية الأمريكية الإسرائيلية. وكان نائبًا لوزير الخارجية (1991–1988) ونائب وزير في ديوان رئيس الوزراء (1992–1991). وكان نتنياهو عضوًا في الوفد الإسرائيلي لمؤتمر مدريد للسلام في 1991 ولمحادثات السلام في واشنطن التي أعقبت هذا المؤتمر. انتخب نتنياهو عضو في الكنيست منذ 1988. وفي الكنيست ال13 (1996–1992)، كان نتنياهو عضوًا في لجنتي الخارجية والأمن والدستور والقانون والقضاء البرلمانيتين،بعد أن تولّى رئاسة حزب الليكود في 1993، انتُخب بنيامين نتنياهو في منصب رئيس وزراء دولة إسرائيل في مايو 1996 في أول انتخابات مباشرة لرئاسة الوزراء جرت في إسرائيل وأشغل هذا المنصب حتى يوليو 1999. وبعد هزيمته في الانتخابات في 1999 استقال نتنياهو من رئاسة حزب الليكود ومن الكنيست ال15،كان بنيامين نتنياهو وزيرًا للخارجية اعتبارًا من تشرين الثاني نوفمبر 2002 وحتّى شباط فبراير 2003م حيث عُيّن وزيرًا للمالية، واستقال من منصبه هذا في أغسطس 2005. انظر :الموسوعة الحرة ،مرجع سابق ،http://ar.wikipedia.org/wiki

امن المستوطنين. وأكدت على التمسك بالقدس كعاصمة موحدة وأبدية للدولة اليهودية، ونادت بالعمل على تكثيف عمليات البناء في المدينة المقدسة وضواحيها، ومما لا شك فيه أيضا أن الضغوطات والممارسات الفئوية التي قامت بها الأحزاب الدينية كان لها بالغ الأثر في عدم استقرار الحكومات الصهيونية وفي إعادة تشكيل سلم الأولويات القومي وفي إعادة ترتيب وتصنيف الزعامات القومية وفقا لمعايير وقيم دينية وتوراتية ذات طابع أسطوري واضح.

والحاخامات يأخذون في الاعتبار الأمن الشخصي والقومي في أي قرار يؤدي إلى إعادة الأرض، واعتبر وزير البنى التحتية الياهو سويسا أن الحاخام عوفديا يوسف هو الذي يقرر ويحسم، وعلى الرغم من وجود حنين في الوعي الداخلي نحو الجولان فان ناخبي شاس لديهم حنين اكبر نحو جبل موسى في سيناء" [(1)].

وأخيرا فبالنسبة للتيار الحريدي من المتدينين فإنه لا يلتفت إلى الموضوع السياسي من أصله ويعتبر الدولة كافرة، وهو بالتالي ينتظر ظهور الماشيح وينتظر بظهوره يوم الخلاص، ولا يهم عندئذ من سيكون في سدة الحكم.

الحقيقة أنه لم تتغير سياسية الاستيطان في إسرائيل منذ نشأتها عام 1948 م وحتى انتخاب الحكومة التاسعة عشر الأخيرة في يناير 2013 م التي يترأسها نتنياهو والتي هي في الحقيقة حكومة دينية استيطانية بامتياز وهي معبرة بقوة عن طبيعة المجتمع الإسرائيلي المعاصر حيث حصدت الأحزاب الدينية علي أكثرية المقاعد البرلمانية حيث حصلت كتلة الليكود برئاسة نتنياهو وحليفه ليبرمان رئيس حزب إسرائيل بيتنا على 31 مقعد ،وحزب يوجد مستقبل برئاسة لبيد على مقعدا 19

،وحصلت شاس على 11 مقعدا ،والبيت اليهودي علي 11 مقعدا ، ويهوديت هتوراة على 7 مقاعد ليكون المجموع 79 مقعدا من غلاة المتطرفين اليمينيين الذين يؤمنون بحتمية الاستيطان باعتباره واجب ديني كرست له النبوئات التوراتية القبالية ،وقد حل في المرتبة الرابعة حزب البيت اليهودي اليميني المتطرف ، الحلفاء الطبيعيون لنتانياهو الذين يمثلون المستوطنين بزعامة نفتالي بينيت، يليهم حزب

---

(1) **جبل موسي** ويعرف كذلك باسم جبل سيناء هو جبل يقع في محافظة جنوب سيناء في مصر،ويبلغ ارتفاعه 2285 مترا فوق سطح البحر، وسمي بجبل موسي نسبة لنبي الله موسي الذي كلم ربه في هذا الجبل وتلقي عليه الوصايا العشر.مختارات اسرائيلية - مصدر سابق، العدد 57 - ص 49

شاس الديني المتشدد لليهود الشرقيين المعروفين بالسفارديم وحزب يهودية التوراة الذي يمثل اليهود الاشكينازيين ، وقد كان الخيار الرئيسي للناخبين اليمنيين هو حزب "البيت اليهودي" الذي استعاد عافيته مجدداً عبر قيادة نفتالي بينيت الذي نجح في مخاطبة جمهور اليمين بشعاراته المتشددة، التي تلخصت في رفض إخلاء المستوطنات والهجوم على السلطة الفلسطينية والترويج لحل الدولة الواحدة، ويشير المحللون في هذه النقطة إلى أن نفتالي بينيت نجح في الحصول على أصوات الناخبين – غير الروس– الذين صوتوا لصالح ليبرمان في انتخابات ٢٠٠٩م ، وهم الناخبون الرافضون لعملية السلام والتعامل مع السلطة الفلسطينية وأغلبهم من قاطني المستوطنات في الضفة المحتلة والمناطق القريبة من قطاع غزة وعلى حدود جنوب لبنان.

وبالفعل أصبح "البيت اليهودي" المتقدم في استطلاعات الرأي في انتخابات يناير ٢٠١٣، نتيجة تراجعات منافسيه، حيث انتقل من مصاف الأحزاب الصغيرة (٣ مقاعد فقط في الكنيست الثامن عشر) إلى حيز الأحزاب الكبيرة إلى مركز متقدم ، و"البيت اليهودي" هو وريث حزب "المفدال" وحركة "جوش امونيم" الاستيطانية في الأراضي المحتلة، ويتبني الحزب خطاب الحاخامين كوك الأب والابن الذي يدافع عن دولة إسرائيل كجزء من "الحل الإلهي"، فيما يعرف "بالصهيونية الدينية"، إلى جانب الدعم المطلق لمشروعات الاستيطان في الأراضي المحتلة والدفاع عن شعار "إسرائيل الكاملة" الذي يضم الضفة وغزة للدولة العبرية. [1]

ويتضح من تشكيلة الحكومة ومن اتفاقات الائتلاف الحكومي الحالي (نتنياهو 2013) أنّ المستوطنين وأنصارهم يتمتعون بنفوذٍ واسعٍ في الحكومة، مما يشير إلى إمكانيّة زيادة وتيرة الاستيطان بشكل كبير في المناطق الفلسطينيّة المحتلة، إذا لم يتم التصدي لذلك بفاعليّة على المستويات الفلسطينيّة والعربيّة والدوليّة فقد أحرز حزب المستوطنين "البيت اليهودي" الذي كان قد تشكّل من تحالف الحزب الديني القومي (المفدال) وحزب "تكوماه" الاستيطاني مكاسب حقيقيّة عند تشكيل الحكومة، وقد شغل نفتالي بنيت قبل فترة وجيزة من انتخابه كرئيس لحزب "البيت اليهودي"،

---

(1) انظر : قراءات في نتائج الانتخابات الإسرائيلية ، ملف مركز الشرق العربي للدراسات السياسية والإستراتيجية – لندن، 2013/1/25 http://asharqalarabi.org.uk/barq/b-qiraat-1307.htm

منصب مدير عام مجلس المستوطنات في الضفة الغربيّة المحتلة في الفترة 2010 – 2012م ، وقاد خلالها نشاطًا محمومًا لزيادة وتيرة الاستيطان، ودعا في حملته الانتخابية إلى ضم "منطقة سي" والتي تشكل ما يقارب 60 بالمائة من مساحة الضفة الغربيّة إلى إسرائيل، وسوف تُمكّن مكانة نفتالي بنيت المحوريّة في الحكومة (لا سيما شغله منصب وزير الصناعة والتجارة والعمل ووزير الخدمات الدينية) من العمل على تكثيف الاستيطان إلى جانب ذلك فإنّ وزير البناء والإسكان أوري أريئيل هو الآخر من حزب "البيت اليهودي"، وهو مستوطن في إحدى المستوطنات في الضفة الغربيّة المحتلة، وتوجد ضمن وزارته "إدارة أراضي إسرائيل" التي تشرف على أراضي الدولة، ومن المتوقع أن يستعمل صلاحياته المختلفة للمساهمة في وضع الخطط وتخصيص الأراضي وضخ الأموال من وزارته لزيادة وتيرة الاستيطان كما أنّ نيسان سلوميانسكي رئيس اللجنة الماليّة في الكنيست من حزب "البيت اليهودي"، وهو أيضًا مستوطن في إحدى المستوطنات في الضفة الغربيّة المحتلة، ويتمتع رئيس اللجنة الماليّة بصلاحيات واسعة تمكّنه من الضغط والمساومة لزيادة ضخ الأموال للمستوطنات والمستوطنين.

وأمّا وزير الدفاع موشيه يعلون فموقفه الداعم للاستيطان والمستوطنين معروف، إذ انتقد في السنوات الماضية بشدة وزير الدفاع السابق إيهود باراك لعدم تجاوبه مع مطالب المستوطنين بزيادة وتيرة الاستيطان، ويحتل وزير الدفاع دورًا محوريًا ، ويتمتع بصلاحيات واسعة في كل ما يتعلق بالاستيطان ، ومصادرة الأراضي ، وشق الطرق ، ومنح تصاريح لإقامة وحدات سكانيّة استيطانيّة أو مستوطنات جديدة، ومن المتوقع أن يحظى المستوطنون بدعم موشيه يعلون، ولا سيما أنّه يطمح إلى خلافة نتنياهو في زعامة حزب الليكود، ومن شأن دعمه للاستيطان والمستوطنين أن يعزز شعبيته في صفوف حزب الليكود ، ويزيد من فرص نجاحه في المنافسة على قيادته أما نائب وزير الدفاع داني دنون المعروف بتطرفه وعنصريته فقد صرح فور توليه منصبه الجديد أنّ أولويته العليا هي تعزيز الاستيطان وزيادة وتيرته، وأما رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو فهو من أشد الداعمين للاستيطان، ويسعى دائما لإيجاد المعادلة التي تسمح باستمرار الاستيطان بوتيرة معينة في مختلف أنحاء الضفة الغربيّة المحتلة ، وبخاصة القدس الشرقيّة، واستمرار "تبييض" البؤر الاستيطانيّة ، وتوسيعها ، ومنحها وضعًا قانونيًا، وذلك من دون

الوصول إلى قطيعةٍ تامةٍ مع الإدارة الأميركيّة بشأن هذه القضيّة، ومن غير المتوقع أن تنتظم قوة جدّية معارضة للاستيطان داخل الحكومة الإسرائيلية، وربما يسجل كل من تسيبي ليفني ويئير لبيد معارضتهما لبعض حالات الاستيطان، لكنّهما سيكونان في موقع الأقليّة في الحكومة وفي اللجنة الوزاريّة لشؤون الأمن القومي، ومن المستبعد جدًا أن يهدّدا بأزمة حكوميّة بهذا الشأن، فما دامت إسرائيل لا تدفع ثمن استمرارها في الاستيطان والاحتلال فسيكتفيا بتسجيل موقفهما[1]

خلاصة واستنتاجات

إن وجود تسعة وسبعون عضو كنيست من الأحزاب الدينية في الكنيست الإسرائيلي، ووجود ما يزيد عن 30% من أتباع المدرسة التلمودية داخل الجيش والأجهزة الأمنية، قد بات يشكل في نظر العديد من الباحثين والمراقبين للشأن الإسرائيلي مؤشراً ذا مدلول هام وقد تبين أن فتاوى الحاخامات بقتل أو بتوجيه الجرم أو اللعنات والشتائم إلى كبار المسؤولين في الدولة (وصف الحاخام عوفديا يوسف زعيم حزب شاس الروحي كلا من نتنياهو بالعنزة العمياء وباراك بهامان وشارون بآكل الخنازير والعرب بالأفاعي) جنبا إلى جنب مع فتاوى تدعو الجنود الاسرآئيليين إلى عدم طاعة رؤسائهم بصدد قرارات سياسية معينة كما حصل بشأن منع إخلاء المواقع العسكرية والمستوطنات في الضفة الغربية عام 1995 تنفيذا لاتفاقات أوسلو أو بشأن تطبيق المرحلة الانتقالية بين حكومة رابيين ومنظمة التحرير الفلسطينية، إنما طرحت إشكالية تضارب المصالح وتضارب الصلاحيات ما بين رؤساء الحكومات وجنرالات الجيش وكبار الحاخامات، الأمر الذي يؤدي إلى تعريض المجتمع والجيش (الذي هو أداة الصهر الأساسية في الكيان الصهيوني)، إلى التفكك، وإذا كان المسئولون قد تمكنوا بمعجزة من إعادة الرماد فوق الجمر، فان أحداثا وتطورات مقبلة في سياق عرقلة جميع التسويات السلمية المطروحة على بساط البحث وفقاً للشرعية الدولية وقرارات مجلس الأمن المعطلة[2] صهيونياً منذ

(1) انظر : حكومة نتنياهو الجديدة أكثر تطرفًا من حكومته السابقة ،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، وحدة تحليل السياسات –21 /3/ 2013 http://www.dohainstitute.org/release

(2) القرار رقم (237)الصادر في : 14 - 6 - 1967يدعو إسرائيل إلى احترام حقوق الانسان في المناطق التي تأثرت بصراع الشرق الأوسط 1967 ، كما يدعو حكومة إسرائيل إلى تأمين سلامة وخير وامن سكان المناطق التي جرت فيها عمليات عسكرية ، وتسهيل عودة أولئك الذين فروا من هذه المناطق منذ نشوب=

العام 1984، يمكن لها أن تكشف الرماد عن الجمر مجدداً، وتطلق العنان لغرائز الصراع والانتقام كي تأخذ مداها من جديد.

وعلى ضوء ما عرفناه من إشكالات وتعقيدات كثيرة تسببت بها سيطرة الأحزاب الدينية القبالية على العديد من المفاصل السياسية والإدارية للدولة، يمكننا أن نختم بوجهتي نظر تحذر الأولى من خطر الأحزاب الدينية اليهودية ، وتحذر الثانية من خطر سيطرة المتدينين على الدولة، وقد عبّر عن الوجهة الأولى الكاتب يعقوف حسداي[1] الذي قال: "لو كان لدى قادة الأحزاب الدينية الحكمة التي لدى خصومهم، لتذكروا وقت انتصارهم، الدرس الذي تعلموه في الأيام العسيرة التي عاشوها، ولأعربوا عن قدر من الحذر والكرم في استخدام السلطة التي وضعت بين أيديهم، وحيث أننا لم نحظ بذلك، فان الأحزاب الدينية عادت إلى سالف عهدها، أو أودى الانتصار السياسي الكبير بعقولها، فالسياسيون المتدينون الذين يفترض أن لا يضعون في أفواههم لقمة من طعام غير محلل شرعيا، يغتصبون ويبتزون ويدخلون إلى جيوبهم من أموال الدولة، كما لو انه ليس للتوراة أو الشريعة ما تقوله في هذا الشأن، وهذه الأفعال لا تلطخ وجه اليهود فحسب، بل وتثير الغضب والخشية في أوساط شرائح واسعة من الشعب وجماعات كثيرة في الجمهور العلماني تشعر أنها مهددة" [2].

=القتال،و القرار رقم (242)الصادر في: 22 - 11 – 1967جاء في مضمون هذا القرار : إن مجلس الأمن يعرب عن قلقه المستمر بشأن الوضع الخطير في الشرق الأوسط وإذ يؤكد عدم جواز الاستيلاء على الأراضي بالحرب والحاجة إلى العمل من أجل سلام دائم وعادل تستطيع كل دولة في المنطقة أن تعيش فيه بأمان. ،والقرار(338)والصادر في: 22 - 10 - 1973 والدي يدعو فيه جميع الأطراف المشتركة في القتال الدائر حالياً إلى وقف إطلاق النار بصورة كاملة، وإنهاء جميع الأعمال العسكرية فوراً في مدة لا تتجاوز 12 ساعة من لحظة اتخاذ هذا القرار وفي المواقع التي تحتلها الآن. ،والقرار (607) الصادر في: 5 – 1 – 1988 وفيه إن مجلس الأمن الدولي يطالب إسرائيل بالامتناع عن ترحيل مدنيين فلسطينيين عن الأراضي المحتلة " وفي هذا الصدد يعرب مجلس الأمن عن قلقه إزاء الحالة الراهنة في الأراضي الفلسطينية وقرار إسرائيل بمواصلة ترحيل المدنيين الفلسطينيين في الأراضي المحتلة؛ بالإشارة إلى اتفاقية جنيف المتعلقة بحماية المدنيين وقت الحرب يرى مجلس الأمن أنها تنطبق على الفلسطينيين والأراضي العربية الأخرى التي تحتلها إسرائيل منذ عام 1967م بما فيها القدس. انظر موسوعة المقاتل، قرارات مجلس الأمن،http://www.moqatel.com

(1) هو العميد (احتياط) الدكتور **يعقوب حسداي**، المؤرخ والقانوني وحامل وسام الشجاعة لمشاركته في حرب عام 1967 م

(2) يعقوب حسداي - اليهودية في ضائقة المصاريف - 22/9/96 ترجمة حليمة موس، السفير 21/10/96

وعبّر عن وجهة النظر الثانية الكاتب بصحيفة هاارتس موردخاي بيليد الذي يبدأ بالسؤال عما سيكون عليه الحال عندما يتحول المتدينون المتعصبون "الحريديم" إلى أغلبية، متوقعا ومؤكدا أن ذلك سيحدث عام 2020 م على أبعد تقدير، وعندها حسب رأيه، سوف تفرض الشريعة اليهودية على جميع الأجهزة القضائية، وتعود الأمور إلى سالف عهدها، ويعيش اليهود حسب القوانين التي كانت تراث آبائهم منذ القدم، ولكن سيتضّح للسلطة الحريدية الدينية انه من العسير قيادة دولة حسب قواعد تناسب طائفة دينية معينة، وتغدو الخطوة المحتومة تشكيل مجلس فقهاء ينبغي عليه تقديم تفسير معاصر للفتاوى والسنن اليهودية (1).

ومن هنا يتضح ما أحدثه التيار الديني القبالي في بنية المجتمع الإسرائيلي حيث تغلغل بقوة في كل شرايين المجتمع إما عن طريق الأحزاب السياسية أو عن طريق المدارس الدينية أو عن طريق المؤسسات الاستيطانية ومن هنا ندرك أيضا أنه رغم أن تأثير القبالا على التشريع (هالاخاه) ضئيلا، ولكن تأثيرها على الأجاداه (2) كان قويا حتى أنهما امتزجتا وأصبح من المستحيل تمييز الواحدة عن الأخرى الأمر الذي أدى إلى تأثير القبالا تأثيرا عميقا في الوجدان اليهودي. ويظهر أثر القبالا في الصلوات والأدعية والتسابيح والابتهالات وشعائر السبت والأعياد والعادات والأخلاق، وفي الأفكار الخاصة بالملائكة والشياطين والاستيطان والماشيح والأفكار الأخروية بشكل عام ودور الشعب اليهودي في المنفى، أي أن تأثير القبالا في الحياة اليومية يفوق في عمقه تأثيرها في الأمور ذات الطابع التشريعي والفقهي، وهي الرقعة التي تركوها لعلماء التلمود الذين كانوا يصدرون فتاواهم الجافة المجردة التي لا حياة فيها لانفصالها عن الواقع،ومن هنا ندرك مدي تغلغل الأفكار الصوفية القبالية داخل نسيج المجتمع الإسرائيلي مما كان له اكبر الأثر في توجه التيارات الدينية التي تلعب دور خطير في صناعة وصياغة القرار

---

(1) موردخاي بيليد - إقطاع حريدي - هارتس 4/10/96، ترجمة حليمة موس - السفير 21/10/1996

(2) **آجاداه** (بالعبرية **אגדה**) وهي المواد غير الشرعية في الدين اليهودي التي تشتمل على الأساطير والحكم والقصص الأخلاقية وتشتمل على الحوارات والمناقشات الدينية، والشعر والفولكلور وتشتمل حتى على الإرشادات الطبية وعلى معلومات أخرى عن عظماء اليهود وتنبؤات عن المستقبل. انظر : رشاد اشامي ،موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية،المكتب المصري للمطبوعات ،القاهرة 2003 م ،ص 32

السياسي لدولة إسرائيل [1].

ومن هنا ندرك ايضا ان الاستيطان واستعمار ارض فلسطين هو دين وعقيدة بالنسبة لليهود ساهم في تكريسها وغرسها في وجدان الشعب عوامل كثيرة لعل أبرزها وأقواها التصوف اليهودي وفكر القبالا الذي بلور وجسد ومزج فكرة الاحتلال والاستيطان بفكرة الخلاص[2].

وقد عرف الصهاينة الخلاص بشكل عام دون تحديد الدوافع أو الوسائل التي يتم بها، فالخلاص، في نهاية الأمر، خلاص الأرض والشعب، ولكن ذلك يتم لدوافع اشتراكية وبوسائل اشتراكية عند الصهاينة العماليين، أو يتم بدوافع رأسمالية وبوسائل رأسمالية عند الصهاينة الرأسماليين، كما يمكن أن يتم لأسباب دينية ، وبوسائل دينية عند المتدينين وبوسائل إلحادية عند الملحدين، ويلاحظ أن ما يتغير هنا ليس مضمون الخلاص أو حتى طريقته (فالجميع يلجأ إلى العنف والإرهاب) وإنما ديباجته وما يعلن للناس من أهداف، وبناء عليه فان العنف والعدوانية التي صبغت كلا من المشروع الصهيوني والشخصية اليهودية الإسرائيلية لها جذور ضاربة في التكوين التاريخي والعقائدي لهذه الشخصية على اعتبار أن هذه الدموية الكامنة في الشخصية اليهودية عبر التاريخ وحتى اليوم كما هو واقع حالهم وسلوكهم تغذيها وتهيجها على الدوام خلفية فكرية دينية يتربى عليها اليهود من جانب الحاخامات حتى الوقت الراهن ويمكن بلورة ماسبق في النقاط التالية:

• أن اليهود في كل زمان ومكان يتصورون أن وجودهم كشعب يعنى أنهم فوق التاريخ وخارج الزمان نتيجة لعقيدتهم في حلول الإله فيهم فيكونون "وحده" وجود واحديه مادية".

• ساعد الفكر القبالي في تزايد العقيدة الحلولية لدى اليهود بتصوراته عن الإله عن طريق تفسيرات وتأويلات باطنية تضمنتها كتبهم ، وخاصة كتاب الزوهار الذي وضعوه في مكانة أعلى من التلمود،ووصفوا المؤمنين به أنهم الحكماء ،العارفون

---

(3) إحسان مرتضى- الدور السوسيولوجي-السياسي للاحزاب الدينية في اسرائيل- مرجع سابق

(1) هدي درويش:التصوف اليهودي ودوره في الفكر الاستيطاني المعاصر(دراسة تحليلية)،مركز الدراسات الشرقية ،جامعة القاهرة ، رسالة المشرق،العدد الثالث والرابع،ص117

بالأسرار الإلهية الخفية .

• ساعد الفكر القبالي اليهود على التعلق بفكرة عودة المسيح المنقذ لخلاصهم من الاضطهاد والنفي الذي تعرضوا له في مراحل الشتات التى يعيشونها في أنحاء العالم وخاصة أثناء الاضطهاد الإسباني لهم .

• سيطرت أفكار القبالة على الفكر الصهيوني الذي آمن بفكرة الثالوث المقدس، التوراة وشعب إسرائيل وأرض إسرائيل ، وساهمت القبالا في تصاعد معدلات الحلولية لدى الصهاينة بهدف إعادة الأرض إلى اليهود لقداستها، حتى اعتبرت الحرب ضد العرب ، من الأفعال المقدسة لتحقيق الرؤية التوراتية في الخلاص .

الخاتمة

إن تغلغل الفكر الصوفي القبالي في الوجدان اليهودي جعله بالغ التأثير في كافة التيارات الدينية والسياسية في المجتمع الإسرائيلي للدرجة التي يخشي فيها أي حاكم أن يصطدم بالنبوءات والأساطير القبالية خصوصا مايتعلق منها بالأرض والاستيطان وإلا كان مصيره مثل مصير إسحاق رابين رئيس وزراء إسرائيل الأسبق

كما ان روايات الثأر والانتقام والاعتداء والقتل تطغى على كلّ ما يرد في النصوص التوراتية والتلمودية المتداولة حالياً، وهي لا تخلو من الغدر والخيانة والحضّ على الاستعلاء والعدوان والتسّلط والعزلة وضرورة التوّجس من الأغيار والتّرفع عنهم ، وهو ما اتخذته الصهيونية منهجاً رئيسياً وأعادت تشكيله بما يتّفق والواقع الراهن

ولذلك نؤكد إن النزاع العربي الإسرائيلي لا يرجع لأسباب سياسية قابلة للتفاوض من أجل الوصول إلى حلول وسطية، ولكنه عداء ديني مستحكم يرى في وجود العرب والمسلمين في الأرض المقدسة تعويقاً لنبوءة توراتية طال انتظارها بعد أن حقق الله لإسرائيل التفوق والسيطرة على القدس عام 1967 م مما يفسح لها المجال لإقامة هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى الذي آن الأوان لهدمه حتى يأتي المسيح اليهودي ليحكم العالم ألف سنة يحقق فيها العدل والسلام قبل أن تقوم الساعة.

ومن الواضح أن اكبر سلاح تخشاه إسرائيل في حربها القادمة مع العرب هو سلاح الدين والعقيدة الإسلامية وهو ما يجب أن نسلح به كل جنودنا الأبطال

إضافة إلي التدريب والمعدات الحديثة فالحرب مع إسرائيل قادمة لامحالة.

المراجع

المصادر والمراجع

(1) القرآن الكريم

(2) الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس، الطبعة الأولى، 2003م.

(3) الزوهار ،المركز العالمي لتعاليم القبالا.

(4) الغزالي: ميزان العمل، طبعة القاهرة 1923م.

(5) موسي بن ميمون، دلالة الحائرين، ترجمة وتقديم حسين آتاي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة2002م.

(6) سعيد بن يوسف الفيومي:،المواريث ،تحقيق ومقارنة عبدالرازق احمد قنديل، دار الهلال ،القاهرة 1984

(7) محمد أحمد الحاج، مقدمة هداية الحيارى،

(8) عباس العقاد: الله، المكتبة الثقافية، القاهرة 1976.

(9) أحمد سوسة: ملامح التاريخ القديم ليهود العراق، المؤسسة العربية، بيروت2001م

(10) أحمد إيبش : التلمود كتاب اليهود المقدس ، دار قتيبة، دمشق 2006 م

(11) احمد الجداد : قراءة في التصوف اليهودي ، الدار العربية للنشر ،ابوظبى 1998 م

(12) أحمد التلاوي :جذور العنف والإرهاب في الفكر اليهوديِّ والحركة الصُّهيونيَّة ،القاهرة 2003 م

(13) أحمد عثمان: تاريخ اليهود، مكتبة الشروق، القاهرة1994م

(14) أحمد شلبي: اليهودية، النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثامنة، 1988م

(15) أديب صعب: الأديان الحية، دار النهار، بيروت 1993 م .

(16) أودي أديب، اليهود الشرقيون في إسرائيل، مركز دراسات الوحدة العربية، دمشق2003م.

(17) أنيس فريحة، جريس بريس، طرابلس،1991 م .

(18) الأب سهيل قاشا ، بيسان: أثر الكتابات البابلية في المدونات، 1998م

(19) أكرم إنطاقي ، مارتن بوبر حياته وأعماله، دار الحكمة ،دمشق 1998 م

(20) أمين هويدي :كيف يفكر زعماء الصهيونية، ، دار المعارف بمصر، من دون تاريخ طبع

(21) أنور الجندي، المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية، دار الاعتصام ،القاهرة1977م

(22) جعفر هادي حسن : الدونمه بين اليهوديّة والإسلام،

(23) جواد الحمد، الشعب الفلسطيني ضحية الإرهاب والمذابح الصهيونية، مركز دراسات الشرق الأوسط ، عمان2007 م

(24) حسن ظاظا: الشخصية الإسرائيلية، دار القلم (دمشق)، 1990م .

(25) حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي"اطواره ومذاهبه"، دار القلم، ط4، دمشق1999 م.

(26) حسن الرشيدي ،جذور التيارات الفكرية في الحياة السياسية الإسرائيلية، مطبوعات المنتدي الإسلامي ،ابوظبي 2004 م.

(27) رشاد عبد الله الشَّامي: الشَّخصيَّة اليهوديَّة الإسرائيليَّة والرُّوح العدوانيَّة (الكويت: المجلس الوطني للعلوم والثَّقافة والآداب، سلسلة "عالم المعرفة"، العدد رقم "102"، يونيو 1986م.

(28) زكي شنودة: اليهود نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم، مكتبة نهضة مصر، الطبعة الأولى،1974م.

(29) زينب عبدالعزيز: المساومة الكبرى من مخطوطات قمران إلى المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني

(30) سالم الكسواني : الصهيونية واليهودية الجذور والنشأة والعلاقة بينهما،المركز القانوني لمدينة القدس ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان2003م.

(31) سناء عبد اللطيف صبري، الجيتو اليهودي، الدار الشامية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى،1990م.

(32) سيد فرج راشد،اللغة العبرية قواعد ونصوص،دار المريخ للنشر ، الرياض ،المملكة العربية السعودية 1993م.

(33) سعيد فايز السعيد: حضارة كتابة، دار البيارق، دمشق 1998م.

(34) سهيل ديب: التوراة بين الوثنية والتوحيد, دار النفائس, بيروت الطبعة الثانية, 1985.

(35) سليمان قاسم محمد العيد: عقيدة اليهود في الإله من خلال العهد القديم دراسة

نقدية في ضوء القرآن الكريم ،القاهرة 1998 م .

(36) شبرمه عبد الكريم اللبدي، اللغة والسياسة، دار المنار، بيروت1998م.

(37) صابر طعيمة، التاريخ اليهودي العام ، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع ،القاهرة 2000 م..

(38) صبري جرجس ،"التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي.. أضواء على الأصول الصهيونية لفكر سجمند فرويد , الناشر عالم الكتب ط1 ، القاهرة 1970م.

(39) عبد الرحمن بدوي، من تاريخ الإلحاد في الإسلام، دار سينا للنشر، 1993م.

(40) عرفان عبدالحميد بتاح: اليهودية عرض تاريخي دار البيارق، بيروت،1997 م.

(41) علي أبو عساف، ملاحم وأساطير رأس شمرة (نصوص من أغاريت دراسات ونصوص قديمة«3»)، وزارة الثقافة السورية، دمشق 1988م.

(42) عبد الحليم عويس: الفكر اليهوديُّ بين تأجيج الصِّراعات وتدمير الحضارات ، القاهرة: مركز الإعلام العربيِّ، سلسلة "كتاب القدس"، العدد "17"، الطَّبعة الأولى، يناير 2003م

(43) عبد الجليل الطاهر، أصنام المجتمع : بحث في التحيز والتعصب والنفاق الاجتماعي، مطبعة الرابطة، بغداد، 1956م.

(44) عبدالمجيد همو: "الفِرَق والمذاهب اليهودية منذ البدايات"؛ دار الاوئل ، دمشق 2003م.

(45) عبد الوهاب المسيري: من هم اليهود وما هي اليهودية؟ أسئلة الهوية وأزمة الدولة اليهودية، دار الشروق، الطبعة الرابعة، القاهرة 2008م.

(46) عبد الوهاب المسيري: اليد الخفية، دار الشروق، القاهرة، 1998 .

(47) عبدالوهاب المسيري ، اليهود في عقل هؤلاء ، دار المعارف ،القاهرة 1998م.

(48) .غازي ربابعة، الإستراتيجية الإسرائيلية للفترة 1948-1967، مكتبة المنار (عمان) 1983 م.

(49) فاضل عبد الواحد: من سومر الى التوراة، دار سينا للنشر ، القاهرة 1996م.

(50) فراس السواح، الأسطورة و المعنى: دراسات في الميثولوجيا, و الديانات المشرقية، دار علاء الدين ، دمشق 1999 م.

(51) فراس السواح: مغامرة العقل الأولى، دار الكلمة، بيروت 1982م.

(52) فراس السواح :الرحمن والشيطان، دار علاء الدين، دمشق 2000 م .

(53) فيليب حتي: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، دار الثقافة، بيروت 1958م.

(54) محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، المركز الثقافي، الدار البيضاء1986م.

(55) محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن، دار العودة ، بيروت 1998 م .

(56) محمد بحر عبد المجيد :اليهودية ،مكتبة سعيد رأفت ،القاهرة 1978 م .

(57) محمد السماك، في مواجهة الصهيونية المسيحية، الصهيونية المسيحية، ص 149، دار النفائس، ط 4، عام 2004 م .

(58) محمد محمود ربيع، أزمة الفكر الصهيوني المعاصر، المؤسسة العربية للدارسات والنشر (بيروت)، 1979 م .

(59) محمد عبد السلام أبو النيل: بنو إسرائيل في القران الكريم، دار حنين للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003م.

(60)

(61) محمد ماضي عبد الفتاح - الدين والسياسة في اسرائيل - مكتبة مدبولي ،القاهرة 2002 م.

(62) محمود العابدي: مخطوطات البحر الميت، دائرة الثقافة والفنون، عمان، الطبعة الأولى،1967م.

(63) محمود حيدر : نهاية الجدار الطيب، سيرة الاحتلال الإسرائيلي للبنان ، دار رياض الريس للكتب والنشر، بيروت 2010 م.

(64) نائل حنون،عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد الرافدين، المؤسسة العربية ، بيروت 2001م.

(65) نور الدين مصالحة : اسرائيل الكبرى والفلسطينيون وسياسة التوسع (1967 – 2000) ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ،رام الله 2005 م.

(66) هدى درويش: المنهج الصوفي للطريقة البكتاشية وتأثيره على السلطة الحاكمة في تركيا، مجلة كلية الآداب، جامعة الزقازيق، نوفمبر2001 م .

(67) هدي درويش، حقيقة يهود الدونمة؟،عين للبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية، القاهرة2003 م .

(68) هدي درويش:عقيدة القبالة اليهودية ودورها في تشكيل العقلية اليهودية العنصرية المعاصرة،مجلة الدراسات الشرقية ،العدد33 ،القاهرة 2004 م.

(69) هدي درويش: الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام دراسة مقارنة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة 2006م.

(70) هدي درويش:التصوف اليهودي ودوره في الفكر الاستيطاني المعاصر(دراسة

تحليلية)،مركز الدراسات الشرقية ،جامعة القاهرة ، رسالة المشرق،2010 م

(71) هيثم الكيلاني،: الإرهاب يُؤسِّس دولة- نموذج إسرائيل ،القاهرة: دار الشُّروق، الطَّبعة الأولى، 1997م.

(72) هويدا عبد الحميد مصطفى: الجماعات اليهوديَّة المُتطرِّفة والاتِّجاهات السِّياسيَّة الدِّينية في إسرائيل ،القاهرة ، مكتبة الشُّروق الدَّوليَّة، الطَّبعة الأولى، 2010م.

الكتب المترجمة

(1) سلوى ناظم: الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الواقع والأسطورة، دار الكتاب، الطبعة الأولى، 1988م.

(2) والموقع الانجليزي الخاص بهذه الترجمة، والذي يفصل الفروق بين النسخة العبرية، والنسخة السبعينية Genesis / The Septuagint versus the Masoretic

(3) كيث وايتلام: تاريخ إسرائيل القديمة، ترجمة نور فادي، عالم المعرفة، الكويت1999م.

(4) أ.ولفنسون: تاريخ اللغات السامية، دار القلم، بيروت،1980م.

(5) أ. زلمان شازار: تاريخ نقد العهد القديم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،2000م.

يورجدن هابرماس:الفلسفة الألمانية والتصوف اليهودي، ترجمة نظير جاهل،المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان،1996م، تمت ترجمة الكتاب من النسخة الفرنسية الصادرة عن دار غاليمار : prafels philosophqucs et politiques,Jurgen Habermas

(6) زئيف دوري–عيمرام جونان:المتصوفة اليهود بين العقيدة والجيش، ترجمة وتقديم أحمد صلاح البهنسي ، مركز الدراسات الشرقية،جامعة القاهرة 2008

(7) روجي جارودي: فلسطين أرض الرسالات الإلهية، ترجمة وتعليق وتقديم الدكتور عبد الصبور شاهين، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1998م.

(8) روجيه جارودي،: الأساطير المُؤسِّسة للسِّياسة الإسرائيليَّة ، القاهرة: دار الشُّروق، الطَّبعة الأولى، 1997م.

(9) لوستيك ايان - الأصولية اليهودية في إسرائيل – ترجمة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ،رام الله 2007م.

(10) إميل دوركايم : الأشكال الأولية للحياة الدينية ، ترجمة إميل بركات ،بيروت 1972 م .

(11) سيجموند فرويد : موسى والتوحيد (بالألمانية: Der Mann Moses und die monotheistische Religion. Drei Abhandlungen، حرفياً: «ذاك الرجل موسى والديانة

التوحيدية. ثلاث مقالات») صدر بالألمانية في سنة 1939، مقدمة كتاب سيجموند فرويد ، موسي والتوحيد،ترجمة جورج طرابيشي، مكتبة المصطفي الالكترونية ،القاهرة.

(12) شموئيل موهليفر : هارعيون هتسيونى (الفكره الصهيونيه) مجموعه من كتابات المفكرين الصهيونيين الأوائل والمحدثين ،القدس 1970 م،ترجمة مني ناظم ،الاتحاد للصحافة والنشر ،القاهرة 1986م.

(13) جوناثان كوك: الدَّم والدِّين، كشف النِّقاب عن الدَّولة اليهوديَّة والدِّيموقراطيَّة ، ترجمة محمد حسن السَّمهوري ،الرِّياض: ، مكتبة العبيكان، الطَّبعة العربيَّة الأولى، 2007م.

(14) إسرائيل شاحاك، الدِّيانة اليهوديَّة وموقفها من غير اليهود ،القاهرة، ترجمة،حسن خضر ،سينا للنَّشر، الطَّبعة الأولى، 1994م.

(15) نوريت بيليد : فلسطين في الكتب المدرسية الاسرائيلية: الايديولوجيا والبروباجندا في التعليم» ـــ دار(I.B. Tauris.)القدس .2012 م.

(16) ملحمة كلكامش، حول وصف عالم الموت في الديانة العراقية، ترجمة: فراس السواح، دار الكلمة، بيروت 1983.

(17) إسرائيل شاحاك: اليهود واليهودية، ثلاثة آلاف عام من الخطايا، ترجمة،حسن خضر ،سينا للنَّشر، الطَّبعة الأولى، 1994م.

(18) يوسف دان: القصة الحاسيدية، القدس 1975 م ،ترجمة مني ناظم ،القاهرة 1986 م.

(19) وليام غاي كار:أحجار على رقعة الشطرنج، دار النفائس; ترجمة: سعيد جزائرلي، بيروت،2002 م.

الموسوعات العلمية

(1) رشاد الشامي:موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية،المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ،القاهرة2001 م

(2) عبدالوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 1999م.

(3) عبدالكريم الحفني : موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية، مكتبة مدبولي، الطبعة الثالثة، سنة2005م.

(4) عبد العزيز محمد عوض: الموسوعة الفلسطينية، الأطماع الصهيونية في القدس، الطبعة الأولى، بيروت 1990م.

(5) عبد المنعم الحفني : موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، مكتبة مدبولي ،القاهرة 1998 م .

(6) مــانع حمــاد الجهني،:الموســوعة الميســرة فــي الأديــان والمــذاهب والأحــزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية ،مكة المكرمة ،1972 م .

المراجع الأجنبية

(1) **The Zohar, Translated By, Sperling ,H &Simeon .s ,in Five vols ,the soncino ,press ,London. Jerusalam .New York, third published1970**

(2) **Scholem .G:Kbbalah: An Essay in the Ency .judica vol.10,**

(3) **Mireille Hadas-Lebel, Histoire de la langue hébraïque, Des origines à l'époque de la Mishna, Collection de la Revue des études juives, Éditions E. Peeters, 1995**

(4) **Haim ZAFRANI; Kabbale vie mystique et magie. Maisonneuve et Larose, .Paris 1986,**

(5) **G. SCHOLEM; kabbale. éd. Jérusalem, 1974,**

(6) **G. C. ANAWATI et L. GARDET; Mystique musulmane. Paris 1976,**

(7) **Henri lawest ; La Politique d'Al Ghazali. Geuthner, Paris 1970:**

((8) **Mordtmann, J.H. [H. W. Duda] (Ewliya Celebi) The Encyclopaedia of Islam New edition B. Lewis, Ch. Pellat and J. Schacht (eds.) Vol. II London 1965-**

((9) **Gershom Scholem. Major trends in Jewh Mysticism,Schcken Books-New York**

(10) **L'histoire de la Bible : J. H. Alexander La Maison de la Bible**

Sur les traces de la Bible : Dr W.J. Ouweneel La Maison de la kBible

(11) **André .Shahak-Histoir Juive-Religion juive/Paris1994**

(12) **George Vajda; Introduction a la pensée juive de la moyen âge**

(13) **M.R. Ben Hayoun « Maimonide » Ed. Entre lacs-2005.**

(14) **R.M. ben Hayoun «la philosophie juive »Ed.Armand colin/2004-**

(15) **G. scholem:the Messiamic idea in kabbalism,Schcken Books-New York, 1978.**

(16) **jacop.lowis : princhples of the jewish faith an analytical study, London .**

1964.

(17) **H. Robinowicz: Hasidism and the state of Israel**

(18) **Eichoin .D .M. conversim to Judaism: A History And Analysis .V. S. A 1965**

(19) **North, David (2010). In Defense of Leon Trotsky. Mehring Books1969**

الرسائل العلمية

(1) محمد الغرايب: يهود مجتمع المغرب الأقصى الوسيط، رسالة الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، المملكة المغربية، 2002م .

(2) يحيي زكريا محمد اسماعيل: مفهوم العهد في الزوهار دراسة في التصوف اليهودي،رسالة دكتوراه، كلية الآداب ،جامعة القاهرة 2001 م.

(3) مني ناظم ، المسيح اليهودي ومفهوم السيادة الإسرائيلية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب ،جامعة القاهرة 1986 م

(4) عبد الكريم محمد بنداري ،القبالة اليهودية تعاليمها وأسرارها الروحية وخطرها علي المجتمعات الإسلامية في آسيا ، رسالة دكتوراه ، معهد البحوث والدراسات الأسيوية ،جامعة االزقازيق 2007 م .

مراكز الابحاث والدراسات

(1) مركز الأهرام للدراسات السياسية،و الإستراتيجية(العسكرية الصهيونية)، مؤسسة الأهرام، المجلد الثاني، القاهرة، 1974م .

(2) المركز الفلسطيني للإعلام ،الإطار والأصول الفكرية للإرهاب الصهيوني.،وزارة الاعلام الفلسطينية ،رام الله 2012 م.

(3) مركز دراسات الوحدة العربية: العرب ومواجهة إسرائيل - احتمالات المستقبل - الجزء الأول الفصل السادس، عمان 2009 م.

(4) مركز الإعلام العربيِّ، سلسلة "كتاب القدس"، العدد "17"، الطَّبعة الأولى، ،القاهرة يناير 2003م

(5) مركز دراسات الشرق الأوسط ، الشعب الفلسطيني ضحية الإرهاب والمذابح الصهيونية عمان2007 م.

الصحف والمجلات والدوريات

1- مجلة التايم الأمريكية بتاريخ1995/12/18م.

2- جريدة الحياة اللندنية بتاريخ1995/12/24م.

3– صحيفة الدستور الأردنية 21/ 8/ 1997م .

4- مجلة البحث اليمنية 2007/10/1 م.

5- صحيفة "معاريف الإسرائيلية 2009/3/8 م.

6- صحيفة ، المصري اليوم ٦/ ٣/ ٢٠٠٩ م .

7- مجلة السفير اللبنانية 10/7 /1996 م.

8- صحيفة دافار الإسرائيلية 30. /3 /1984م.

9- دورية مختارات إسرائيلية - العدد 13 في 21– 2-1996م.

10- جريدة الحياة - اللندنية - 1993/9/3 م .

11- صحيفة هارتس الاسرائيلية10 /4 /1996 م.

12- مجلة الدفاع الوطني الإماراتي ، العدد 324 بتاريخ 2012/7/12 م .

13- عالم المعرفة -الكويت العدد 224 -8/1/ 1997 م .

مواقع النت الهامة

1- المركز التعليمي للقبالا وكتاب الزوهار www.kabbalah.info/ar:

2- الموسوعة اليهودية www.jewishencyclopedia.com :

3- دائرة المعارف البريطانية www.britannica.com

4- الموسوعة الحرة ar.wikipedia.org.com www

5- موسوعة المعرفة www.marefa.org :

6- موسوعة المقاتل www.moqatel.com :

7- معجم لاروس. www.larousse.com/en/dictionaries

8- المركز الفلسطيني للدراسات www.palestine-info.com

9- موقع قنطرة الألماني www.ar.qantara.de

10- الموسوعة الفلسطينية www. alarabiclub.org/index.php

11- **مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية** library.palestine-studies.org

12- **مكتبة الاقصي ،أبحاث ودراسات مقدسية** www.foraqsa.com/library

13- المركز الفلسطيني للإعلام www.palestine-info.com

14- **موقع المجلس اليهودي الأمريكي** www.aslalyahud.org/subpage.

15- الموسوعة الشاملة ، www.islamport.com/w/amm/Web/135

مقالات وأبحاث

1- سليم مطر : ملف الثقافة اليهودية، ، مركز دراسات الأمة العراقية
www.mesopot.com/default/index.php

2- سليمان بن قاسم بن محمد العيد: عقيدة اليهود في الإله من خلال العهد القديم

دراسة نقدية في ضوء القرآن الكريم www.alukah.net/Web/eleid

3- محمد بن حسن المبارك: الروافد الوثنية للثقافة اليهودية– صيد الفوائد،
www.saaid.net/Doat/almubark/8.htm

4- حسنات عوض ساتي : التصوف اليهودي (القبَّالا)

www.alchamel.org/vb/archive/index.php

5- الأسقف بولس الفضالي : دراسة القراءة المسيحية للعهد القديم (كتاب عزرا ونحميا)

1- www.boulosfeghali.org

6- عدنان حسين احمد : الحوار المتمدن ، 2011/6/8 ،عرض لكتاب جعفر هادي حسن : الدونمه **بين** اليهوديّة والإسلام -www.m.ahewar.org/s.asp?aid

7- بليل عبدالكريم : قراءة في موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، الألوكة الثقافية
www.alukah.net/Culture/10963/22546

8- بليل عبد الكريم: الحركات الباطنية اليهودية الحديثة :الحركة الحسيدية ،الألوكة الثقافية **2010/5/15** ، www.alukah.net/Culture/0/21748

9- أحمد التلاوي : جذور العنف والإرهاب في الفكر اليهوديِّ والحركة الصُّهيونيَّة ، بحوث مختارة ، موقع هدي الإسلام ،www.hadielislam.com/arabic/index

10- لؤي عبده :الاستيطان ، دراسة وثائقية ، مركز الاعلام الفلسطيني

www.palestine-pmc.com/ainside.php?id=108

11- خالد النجار ، سمات التيار الديني داخل إسرائيل ،صيد الفوائد،
www.saaid.net/Minute/67.htm

12- قراءات في نتائج الانتخابات الإسرائيلية ، ملف مركز الشرق العربي للدراسات السياسية والإستراتيجية – لندن،www.asharqalarabi.org.uk/barq/b-qiraat-2013/1/25

13- حكومة نتنياهو الجديدة أكثر تطرفًا من حكومته السابقة ،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، وحدة تحليل السياسات –21 /3/ 2013 www.dohainstitute.org/release

الفهارس